الجوبة

دراسات ونقد

نصوص إبداعية

مواجهـــات

نوافـــذ

ملف العدد:

الأندية الأدبية
المسيرة والتحولات

45

برنامج نشر الدراسات والإبداعات الأدبية ودعم البحوث والرسائل العلمية في مركز عبدالرحمن السديري الثقافي

١- نشر الدراسات والإبداعات الأدبية

يهتم بالدراسات، والإبداعات الأدبية، ويهدف إلى إخراج أعمال متميزة، وتشجيع حركة الإبداع الأدبي والإنتاج الفكري وإثرائها بكل ما هو أصيل ومميز.

ويشمل النشر أعمال التأليف والترجمة والتحقيق والتحرير.

مجالات النشر:

أ- الدراسات التي تتناول منطقة الجوف في أي مجال من المجالات.

ب- الإبداعات الأدبية بأجناسها المختلفة (وفقاً لما هو مبيّن في البند «٨» من شروط النشر).

ج- الدراسات الأخرى غير المتعلقة بمنطقة الجوف (وفقاً لما هو مبيّن في البند «٨» من شروط النشر).

شروطه:

١- أن تتسم الدراسات والبحوث بالموضوعية والأصالة والعمق، وأن تكون موثقة طبقاً للمنهجية العلمية.

٢- أن تُكتب المادة بلغة سليمة.

٣- أن يُرفق أصل العمل إذا كان مترجماً، وأن يتم الحصول على موافقة صاحب الحق.

٤- أن تُقدّم المادة مطبوعة باستخدام الحاسوب على ورق (A4) ويرفق بها قرص ممغنط.

٥- أن تكون الصور الفوتوغرافية واللوحات والأشكال التوضيحية المرفقة بالمادة جيدة ومناسبة للنشر.

٦- إذا كان العمل إبداعاً أدبياً فيجب أن يتّسم بالتميّز الفني وأن يكون مكتوباً بلغة عربية فصيحة.

٧- أن يكون حجم المادة - وفقاً للشكل الذي ستصدر فيه - على النحو الآتي:

- الكتب: لا تقل عن مئة صفحة بالمقاس المذكور.
- البحوث التي تنشر ضمن مجلات محكمة يصدرها المركز: تخضع لقواعد النشر في تلك المجلات.
- الكتيبات: لا تزيد على مئة صفحة. (تحتوي الصفحة على «٢٥٠» كلمة تقريباً).

٨- فيما يتعلق بالبند (ب) من مجالات النشر، فيشمل الأعمال المقدمة من أبناء وبنات منطقة الجوف، إضافة إلى المقيمين فيها لمدة لا تقل عن عام، أما ما يتعلق بالبند (ج) فيشترط أن يكون الكاتب من أبناء أو بنات المنطقة فقط.

٩- يمنح المركز صاحب العمل الفكري نسخاً مجانية من العمل بعد إصداره، إضافة إلى مكافأة مالية مناسبة.

١٠- تخضع المواد المقدمة للتحكيم.

٢ - دعم البحوث والرسائل العلمية

يهتم بدعم مشاريع البحوث والرسائل العلمية والدراسات المتعلقة بمنطقة الجوف، ويهدف إلى تشجيع الباحثين على طرق أبواب علمية بحثية جديدة في معالجاتها وأفكارها.

(أ) الشروط العامة:

١- يشمل الدعم المالي البحوث الأكاديمية والرسائل العلمية المقدمة إلى الجامعات والمراكز البحثية والعلمية، كما يشمل البحوث الفردية، وتلك المرتبطة بمؤسسات غير أكاديمية.

٢- يجب أن يكون موضوع البحث أو الرسالة متعلقاً بمنطقة الجوف.

٣- يجب أن يكون موضوع البحث أو الرسالة جديداً في فكرته ومعالجته.

٤- أن لا يتقدم الباحث أو الدارس بمشروع بحث قد فرغ منه.

٥- يقدم الباحث طلباً للدعم مرفقاً به خطة البحث.

٦- تخضع مقترحات المشاريع إلى تقويم علمي.

٧- للمركز حق تحديد السقف الأدنى والأعلى للتمويل.

٨- لا يحق للباحث بعد الموافقة على التمويل إجراء تعديلات جذرية تؤدي إلى تغيير وجهة الموضوع إلا بعد الرجوع للمركز.

٩- يقدم الباحث نسخة من السيرة الذاتية.

(ب) الشروط الخاصة بالبحوث:

١- يلتزم الباحث بكل ما جاء في الشروط العامة (البند «أ»).

٢- يشمل المقترح ما يلي:

- توصيف مشروع البحث، ويشمل موضوع البحث وأهدافه، خطة العمل ومراحله، والمدة المطلوبة لإنجاز العمل.
- ميزانية تفصيلية متوافقة مع متطلبات المشروع، تشمل الأجهزة والمستلزمات المطلوبة، مصاريف السفر والتنقل والسكن والإعاشة، المشاركين في البحث من طلاب ومساعدين وفنيين، مصاريف إدخال البيانات ومعالجة المعلومات والطباعة.
- تحديد ما إذا كان البحث مدعوماً كذلك من جهة أخرى.

(ج) الشروط الخاصة بالرسائل العلمية:

إضافة لكل ما ورد في الشروط الخاصة بالبحوث (البند «ب») يلتزم الباحث بما يلي:

١- أن يكون موضوع الرسالة وخطتها قد أقرّا من الجهة الأكاديمية، ويرفق ما يثبت ذلك.

٢- أن يُقدّم توصية من المشرف على الرسالة عن مدى ملاءمة خطة العمل.



مركز عبدالرحمن السديري الثقافي

هيئة النشر ودعم الأبحاث

د. عبدالواحد بن خالد الحميد رئيساً
د. خليل بن إبراهيم المعيقل عضواً
د. ميجان بن حسين الرويلي عضواً
محمد بن أحمد الراشد عضواً

المشرف العام: إبراهيم بن موسى الحميد

أسرة التحرير: محمود الرمحي سكرتيراً
محمد صوانة محرراً
عماد المغربي محرراً

إخـــراج فني: خالد الدعاس

المراســـلات: هاتف: ٦٢٦٣٤٥٥(١٤)(٩٦٦+)
فاكس: ٦٢٤٧٧٨٠(١٤)(٩٦٦+)
ص. ب ٤٥٨ سكاكا الجوف - المملكة العربية السعودية
www.aljoubah.org/ aljoubah@gmail.com

ردمد ISSN 1319 - 2566

سعر النسخة ٨ ريالات - تطلب من الشركة الوطنية للتوزيع

قواعد النشر

١- أن تكون المادة أصيلة.
٢- لم يسبق نشرها ورقياً أو رقمياً.
٣- تراعي الجدية والموضوعية.
٤- تخضع المواد للمراجعة والتحكيم قبل نشرها.
٥- ترتيب المواد في العدد يخضع لاعتبارات فنية.
٦- ترحب الجوبة بإسهامات المبدعين والباحثين والكتّاب، على أن تكون المادة باللغة العربية.

«الجوبة» من الأسماء التي كانت تُطلق على منطقة الجوف سابقاً.

مركز عبدالرحمن السديري الثقافي

يُعنى المركز بالثقافة من خلال مكتباته العامة في الجوف والغاط، ويقيم المناشط المنبرية الثقافية، ويتبنّى برنامجاً للنشر ودعم الأبحاث والدراسات، يخدم الباحثين والمؤلفين، وتصدر عنه مجلة (أدوماتو) المتخصصة بآثار الوطن العربي، ومجلة (الجوبة) الثقافية، ويضم المركز كلاً من: (دار العلوم) بمدينة سكاكا، و(دار الرحمانية) بمحافظة الغاط، وفي كل منهما قسم للرجال وآخر للنساء. ويصرف على المركز مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية.


www.alsudairy.org.sa

العدد ٤٥ - خريف ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م





الأندية الأدبية
المسيرة والتحولات



أوراق الغرفة (٨)



حوار مع الشاعر مسفر الغامدي

الغلاف: للفنان التركي ديكان.

المحتويـــات

افتتاحية العدد

▪ إبراهيم الحميد

منذ أكثر من ثلاثة عقود، بزغ فجر الأندية الأدبية، شاقة طريقها الطويل مع نخب الأدب والثقافة وشيوخها، إذ كانت البدايات في المدن الرئيسة متسمة بكثير من التبجيل، كون هذه الأندية بقيت نخبوية، يحتكرها نخبة من شيوخ الأدب والمثقفين، وكان الإشراف الحكومي والتعيين الذي كان يتم من قبل الرئاسة العامة لرعاية الشباب عاملا حَفِظ استقرار تلك الأندية، وأضفى على عملها كثيراً من الرتابة والجمود، نظرا لبقاء بعض رؤسائها سنوات طويلة دون تغيير.

وبقدر ما أسهم وجود الأندية الأدبية في المدن التي وجدت بها في بروز أسماء أدبية وثقافية، وتحفيز أدباء مجتمعاتها نحو الإبداع والتمكين، فقد أسهم عدم وجود الأندية الأدبية في المناطق الأخرى في تثبيط همم المبدعين وشل نشاطهم، وردم وجودهم، وبالتالي أسهم في نكوص التنمية الثقافية في تلك المناطق لأكثر من ثلاثين عاما، ما تسبب في دفن مئات المواهب التي كان يمكن للأندية الأدبية المساهمة في تكريس اهتمامها وإبرازها إلى الساحة الثقافية.

وقد واجهت الأندية الأدبية محطات عديدة في مسيرتها صعوداً وهبوطاً، بقدر ما استطاعت أن تقدم لمجتمعاتها المحلية ولوطنها من منتج ثقافي، ومن مثقفين أدوا دورهم في خدمة الإبداع الثقافي للبلاد. وبقدر ما قدمت هي للمثقفين والأدباء من خدمات وأدوار وفقا لإمكاناتها وأنظمتها التي يرى بعضهم أنها قيّدت حِراكها، وحدّت من انفتاحها؛ وإذا جاز لنا، مع أبعاد الجوانب الشخصية أو المسوغات الخارجية، فقد استطاعت أن تؤدي دورها نسبيا وفقا لمرحلتها.

لم يتغيّر الوضع إلا بعد كسر الجليد، بتأسيس أندية جديدة في مناطق لم تحظَ

بها من قبل، لتبدأ مسيرة جديدة، وليكتب تاريخ جديد من الانعتاق من الجمود، بتعيين وجوه تمثل المشهد الثقافي الجديد، من جيل يعتبر أن مرحلة التجديد طالت كثيرا، حتى وصلت إليه؛ ومع هذا فقد بادر بعضهم إلى التقليل من أهمية المرحلة الجديدة، إذا لم تأت وفقا للمستجدات والمتغيرات التي تشهدها الساحة المحلية والعالمية، معتبرين أن الأندية الأدبية يجب أن لا تقل شأنا عن الغرف التجارية، أو المجالس البلدية التي تنتخب أعضاءها.

وكان أن بادرت وزارة الثقافة باتخاذ قرار بالمجازفة بقرار الانتخابات، من دون أن تلتفت إلى أهمية الأرضية التي تأتي على أساسها، ومن دون أن تلتفت إلى اقتراحات الأندية وشروطها لإدخال المهتمين إلى ساحة الثقافة. وأذكر من تجربتي الشخصية في فترة الإعداد لانتخاب مجلس جديد، وتأسيس جمعية عمومية، أننا بنينا على استمارة تم إعدادها من قبل رئيس النادي الأسبق، لنخرج باستمارة جديدة كانت كفيلة بكفاءة وجَودة أي عضو يمكن أن يتم ترشّحه لعضوية الجمعية العمومية أو النادي، وقد كنت قد استعرضت تلك الاستمارة مع وكيل الوزارة الذي أبدى إعجابه بها في حينه، وعندما أجريت الانتخابات، تمت وفقا لمعادلة جديدة هدفها إحضار أكبر عدد من الأعضاء حتى ولو كانوا من خارج السرب، ما تسبّب في حشد جموع كانت أبعد ما تكون عن هموم الأندية الأدبية واهتماماتها، وتسبب بالتالي في نكوص جديد للأندية الأدبية.

وفي سياق هذه التحوّلات، تطرح الجوبة ملفها لمناقشة موضوعات واقع الأندية الأدبية ومستقبلها، نجاحاتها وإخفاقاتها، والمقارنة بين التعيين والانتخاب، وتفاصيل حول تمويل الأندية الأدبية، ودوريات الأندية وإصداراتها، والملتقيات الأدبية وجوائز الأندية الأدبية، والمرأة في الأندية الأدبية، والمراكز الثقافية كبديل للأندية الأدبية أو إغلاقها، والأندية الأدبية في عصر العولمة، وتجربتين واقعيتين في إدارة الأندية الأدبية.

الأندية الأدبية
المسيرة والتحولات

■ إعداد وتقديم: محمود عبدالله الرمحي

الأندية الأدبية السعودية مؤسسات ثقافية أدبية فكرية، بدأت فكرتها عام ١٣٩٥هـ، والتي جاءت عبر اقتراح قُدم للأمير فيصل بن فهد - رحمه الله - أثناء دعوته ولقائه في العام المذكور بأربعين أديباً من مختلف أنحاء المملكة؛ لدراسة وتنظيم إحياء سوق عكاظ، وقد أثمر هذا اللقاء عن إنشاء ستة أندية. ويعد نادي جدة عميد الأندية الأدبية، تلته أندية مكة المكرمة، والرياض، والمدينة المنورة، وجيزان والطائف؛ وذلك عام ١٣٩٥هـ. ويؤكد الأدباء في المملكة أنه لولا حماسة الأمير الأديب فيصل بن فهد رحمه الله، وإرادته الحرة، وإيمانه القوي برسالة الأدب، وقدرته الفائقة في التأثير في المجتمع، لما كان تأسيس الأندية الأدبية من الأحداث الثقافية والأدبية المهمة في تاريخ أدبنا السعودي. ثم توالت المطالبات بالتوسع في افتتاح أندية أدبية مماثلة في جميع مناطق المملكة، وتحقق بعضها في ظل رعاية الشباب، وقد قدمت تلك الأندية جهدا ملموسا في التأسيس لحراك أدبي ثقافي، كان يسير وفق منظومة التطوير التنموي للوطن..

وبعد أربعين عاما مرت على إنشاء الأندية الأدبية، ورغم أن أداء الأندية الأدبية تطور بشكل ملحوظ في الوسط الثقافي، وإن كان لم يصل إلى طموح القائمين عليها؛ سواء بالوزارة أو الأندية الأدبية نفسها، تضاربت الآراء حولها.. وكتب النقاد الكثير عن دورها.. ما بين مؤيد ومعارض لأدائها وفعالياتها؛ فمن قائل إلى حاجتها إلى توسيع دورها الثقافي وفق المعاصرة والحداثة التي نعيشها الآن..إلى مطالب بإغلاقها وإنشاء مراكز ثقافية جديدة تحمل روح العصر الرقمي والقيم الإنسانية الكونية.. وإلى إنهاء حالة التشطير بين جمعيّات الثقافة والفنون وبين الأندية الأدبيّة، وجعلهما تحت مظلّةِ المركز الثقافي في جميع المناطق والمحافظات في المملكة.

وقد ارتأت الجوبه تخصيص هذا العدد لتقويم عمل الأندية الأدبية وعطائها، ورصد أثرها - في وقت تحتفل ستة منها بمرور أربعين عاماً على إنشائها- على أمل أن هذا العدد الخاص من المجلة سيكون مرجعاً مهماً للباحثين والدارسين الذين سيتصدون مستقبلاً لكتابة بحوث أكاديمية عالية عن الأندية الأدبية.



واقع الأندية الأدبية ومستقبلها

▪ د. صالح زياد - الرياض

الأندية الأدبية من أبرز مجالات الاهتمام الرسمي بالثقافة في المملكة، وهو اهتمام يذهب إلى الأدب (شعرا، وسرداً، ودراسات نقدية وتاريخية متعلقة بهما)، متحاشياً غيره من ألوان الفعل الثقافي والفني التي اختصت بها جمعيات الثقافة والفنون؛ فكانت قياساً على ما تلقاه الأندية الأدبية من اهتمام موضع تهميش رسمي، سواء بعدم الصرف عليها من قبل الجهة المسئولة عن الثقافة.. وهي وزارة الثقافة والإعلام (حتى أعلنت التقشّف في الآونة الأخيرة وتوقف كثير من مناشطها وفعالياتها المجدولة)، أو بما تلقاه الفنون والمناشط الثقافية التي ترعاها (وهي المسرح، والتشكيل، والموسيقى، والفولكلور الشعبي) من تراتبية القيمة على ما تختص به الأندية الأدبية، وضيق المجال الحيوي الذي يعكس ضآلة الاهتمام.

فإذا ما تساءلنا عن أسباب هذه الظاهرة ومدلولها، فإننا سنفهم التصور للأدب والوظيفة التي يُراد للأندية الأدبية أن تنهض بها، ومن ثم نجاعتها في ممارسة دور ثقافي فعّال، وأسباب الصراع والمشكلات التي تنشب فيها: بين أعضائها المنتسبين إليها من جهة، وبينهم وبين الوزارة من جهة ثانية، وبين الأندية الأدبية والأدباء الذين لم يجدوا في الأندية ما يجذبهم إليها من جهة ثالثة. وقد نقول إن الصراع والمشكلات ليست عامة في كل الأندية. وهناك مشروع لائحة جديدة سيغلق الباب من دون أي منفذ للمشادّة والاختناق.. ولكن علينا هنا أن ننظر إلى الصراع الحادث والمشكلات المصاحبة من زاوية مفهومية للأندية الأدبية، بحيث لم يكن التعيين من جهة الوزارة لمجالس إدارات الأندية بأقل إثارة للمشكلات، وأدعى للعزوف عن الأندية، وأمعن في تشتيت جهدها، من التحوّل إلى الانتخاب

للمجالس.

وليس من شأننا هنا أن نبحث عن حلٍّ للصراع، أو براءة من المشكلات؛ بل قد نقول إن الصراع والمشكلات ظاهرة طبيعية وضرورية في المشهد الثقافي، ولا يخلو منها مشهد إلا كان الجمود مآله. لكن الصراع والمشكلات قد تكون باعثاً على الجمود، وقد تكون عرضاً لمرض أو اختناق يحسن معالجته وتنفيسه؛ وما أعنيه هنا هو هذا الصنف الأخير.

والمسألة –من قبل ذلك ومن بعده- يمكن أن تكون موضوع تقويم وتحليل خارج حسابات الصراع، وبعيداً عن متعلقاته أو دواعيه؛ فالبحث عن جدوى للأندية الأدبية ومضمار حيوي لنشاطها، لا يستقل عن بحث مفهوم الأدب الذي تنتسب إليه، والوظيفة التي ينهض بها، وعلاقته في هذا وذاك بالفن في عمومه، الذي لا يمكن تصور الأدب بمعزل عنه، إلا في لحظة الإشارة إلى أزمة في ثقافة المجتمع.

إن اختصاص الأندية الأدبية بالأدب (أي بالفن الذي يتركز في اللغة اللسانية) هو اختصاص متعلق بنخبة اجتماعية محددة؛ ومن ثم، فإن الأدب هنا يمتلك وظيفة «توجيهية» تنزل من الأعلى إلى الأسفل، أو من الأديب إلى جمهوره. وهذه العلاقة العمودية أوضح ما تكون في الشعر وفي المحاضرة، وقد نشأت الأندية الأدبية في المملكة، في وقت كان صدور رواية حدثاً نادراً، ولم يكن المجال يتيح للقصة القصيرة ما يتيحه للشعر.

كان هذا الدور التوجيهي للأديب هو الدور الذي قامت عليه الأندية الأدبية، أي الدور الذي يستلزم حضور الأديب بذاته وشخصه؛ ويمكن أن نفهم هذا الدور ونميزه بمقابلته بدور الكاتب المسرحي الذي تختفي ذاته، مفسحة أمام الجمهور واقعاً فنياً موضوعياً بشخصيات متعددة، وعلاقة أفقية مع الجمهور لا رأسية؛ أي ليست نازلة عليهم من الأعلى.

وما يبدو في المسرحية أو السينما من اختفاء شخصية الكاتب وذاتيته، يبدو في الفنون الشعبية التي تمثِّل ألوان الرقص والغناء التي لا تنتسب لمؤلف محدد. وحتى الشاعر الشعبي بالمعنى الذي يؤدِّيه في الرقصات المحلية المختلفة، يذوب موقعه في إطار الجماعة، أو يكتسب بحكم صوته الفولكلوري موقعاً ضمن المجموع، وليس موقعاً شخصياً وذاتياً؛ ولذلك فهو ينطق بصوت الجماعة، ويغنِّي على الألحان المتوارثة فيها.

والموسيقى التي تتجرد من اللغة المباشرة هي قسيم الفنون التشكيلية في تجريد الذات وإخفائها، وفي الخلوص إلى واقعة فنية عصيَّة على الاستخدام والتوظيف؛ فهي مخدومة في ذاتها ولذاتها التي تجسِّد درجة صافية من درجات الفن والخلوص الجمالي. ولذلك فإن علاقة الجمهور بها علاقة أفقية؛ أي علاقة تفاعل وتشارك ولذة فنية خالصة، أو فرجة، أو لا علاقة. وقد أحاط بعض الفقهاء الموسيقى والفنون التشكيلية بالإنكار أو التحفظ، باستدلالات نقلية هي موضع نظر وتمحيص دقيق، ينتهي إلى نفي صحتها من آخرين، وحين يضعف الدليل النقلي في مواجهتها، فإن العلة العقلية لن تجد سوى الخلوص الجمالي أو الغائية الفنية فيها، التي لا تتيح وظيفة توجيهية ونفعية مباشرة، لا قيمة للجمال الفني عند الفقهاء بمعزل عنها. وينبغي أن نتذكر هذه العلة ما دمنا بصدد التفكير في علة الفصل للأدب عن الفنون الجميلة والتردد في محضها.. المنزلة

نفسها التي نمحضها للأدب وأنديته!

وعلى الرغم من أنه يمكن الاحتجاج بما نَحَتْه القصيدة الحديثة من تحاشي الحضور الذاتي للشاعر بالمعنى التقليدي أو الرومانسي، والهروب من العاطفية، ومن اللغة المباشرة، وتأكيد صفة موضوعية وجماعية للنص؛ فإن الشاعر وجمهوره ظلا مولعين بنرجسية الشاعر وطغيان أناه، وظلت الأمسيات الشعرية والأكف التي يعصف بها التصفيق بين حين وآخر تأخذك إلى أجواء قديمة. أما الرواية التي نعرف مقدار المسافة التي تباعد بينها وبين القصيدة من جهة اختفاء شخصية مؤلفها فيها، وحفولها بالتعدد الصوتي والحوارية بما أكسبها حضورا حديثاً بارزاً، هو حضور التلاؤم مع جمهور أكثر شعوراً بالاستقلالية وتصوراً للحرية، فإن الرواية السعودية في معظم إنتاجها بما فيه مرحلة طفرتها منذ منتصف التسعينيات وإلى الآن، لم تشكِّل مسافة تباعد عن كتَّابها، وظل الصوت التوجيهي صوت المرشد إلى الصواب الذي يراه مؤلفها من وجهته، حاضراً. ولا ننسى –رغم ذلك– أن القصيدة الحديثة لم تكن موضع ترحيب في معظم الأندية، وما تزال الرواية موضع تحاشٍ من بعضها.

ولم يقتصر تأثير هذا التصور الذي انحصرت فيه الأندية الأدبية على سَجْن الأدب في قفص الرسمية والنخبوية، والحيلولة بينه وبين وهج الحياة وحرارتها وكدحها، أعني الحيلولة بينه وبين ما يصنع الأدب بوصفه موقفاً لم يكن ولا يمكن أن يكون لموظف برتبة مثقف، ولا لأجير برتبة شاعر. بل تعدى ذلك إلى اتساع دائرة المتصفين بالأدب، وتزاحمهم على الوجاهة الاجتماعية التي تصنعها لهم الأندية، من دون أي قدرة على تحديد ضوابط صلبة، يمكن بها الحدُّ من عددهم، أو ضمان قدر معقول من التجانس والتشارك بينهم. ولقد حاول المسئولون عن الأندية الأدبية والعاملون فيها تدبير ضوابط لمن يستحق عضويتها والانتساب إليها والعمل فيها، ولكنها كانت تتهاوى أمام سيولة المفهوم الأدبي ذاته؛ سواء نظرنا إلى هذه السيولة من زاوية الكثرة في أعداد الشعراء والكتاب بأي معنى، أو من زاوية القابلية للتمدد في كل اتجاه، زاوية الكتابة عن الأدب والثقافة بأي معنى، تلك التي كانت هي الأخرى مؤهِّلا إلى رتبة الأديب أو المثقف، يستطيع الولوج منها مَن لم يحظ بصفة الشاعر أو السارد أو الكاتب، ويصبح موصوفاً للأدب في مقام باحث، أو مؤرخ، أو ناقد،... الخ.

وقد يبدو الأمر أكثر جلاء إذا ما نظرنا في الصفة التي يتحدد بها الانتساب إلى الفنون الجميلة في جمعيات الثقافة والفنون؛ فمن السهولة بمكان أن تتحدد في أذهاننا صفة الفنان التشكيلي، وهي صفة قائمة على حدود صلبة في التحديد للفن الذي ينتسب إليه؛ بحيث لا يغدو سهلاً ادعاؤها من أي أحد، ولا توافرها بكثرة تشبه كثرة الشعراء والأدباء؛ والأمر نفسه يمكن حسابه لدى المسرحيين والموسيقيين.

ونظرة أخرى إلى منتسبي جمعيات الثقافة والفنون (في مسافة الاختلاف عن الأندية الأدبية)، فإن أحداً لا يمكنه أن يرى تزاحماً على الوجاهة الاجتماعية، كما هو الحال في الأندية الأدبية التي امتازت بحظوة مالية ومعنوية، وبملتقيات ومؤتمرات وجوائز واستضافات في الداخل والخارج، وتشريفات على أعلى المستويات؛ ولهذا نشأت في الجمعيات روابط بين المنتسبين إلى الفنون التي تحفل بها، لا سند لها إلا المحبة للفن والالتقاء عليه

والتشارك فيه، وسجَّلت مناشط الجمعيات صفحات مشرقة لأعضائها في بذلهم وتطوّعهم والتضحية بجهدهم.

لا بد –إذاً– من أن نزهد في تصوراتنا القديمة تجاه دلالة الأدب والأديب، التي أصبحت مخنوقة بتعاليها ورومانسيتها وامتلائها الميتافيزيقي. ولا بد أن نعيد التفكير في حقيقة المحصول الذي يتوافر للثقافة من فهم العلاقة بالأدب بأي معنى توجيهي أو تعليمي. فالأدب –هكذا– يغدو ملوَّثاً بالمصالح والمنافع، يغدو ملوثاً بـ «أنا» متضخمة في تكسبها بالأدب أو شعورها المَرَضي بأنها قادرة على حُكم الواقع، وتعليمه، والتفكير نيابة عن الجماعة الثقافية. وهذا دور ظلت صفة الأدب الرسمية محتكرِة إيَّاه، ومتطابقة معه، حتى استنار الوعي الأدبي حديثاً في المرحلة التي تلت الرومانسية؛ فأصبح الأدب بالصفة السابقة تعتيماً على الواقع لا إنارة، وتخلّفاً عن حركته لا ريادة له، وسبباً في مضاعفة الانقسام والتصادم من حيث يراد له وبه الاضطلاع بمهمة مضادّة لذلك تماماً. لا بد من أن نزهد في دلالة الأدب والأديب بالمعنى القديم والذي ما يزال يكيّف نظرتنا، حتى اختَصَصْنا الأدباء من دون غيرهم من المبدعين والفاعلين في إنتاج الثقافة بالنوادي الأدبية.

وحين نزهد في دلالة الأدب والأديب ووظيفتهما بالمعنى الموصوف أعلاه؛ فإننا لا نعني الزهد فيهما، أو استبدال التحقير لهما بما كانا يحظيان به من تعظيم. كلا، فالمقصود هو أن نحلّهما المحل المستحق لهما في إنتاج الجمال الفني، بالمعنى الذي لا يميّز وظيفة القصيدة عن وظيفة المنحوتة، إلا في اختلاف مادتهما وجنسهما الفني. وهذا معناه استحداث دلالة للفعل الأدبي ووظيفة له في المنظور الذي يصله بغيره من الفنون وأشكال الفعل الثقافي، ولا يفصله عنها. ونتيجة ذلك لا تنحصر –وحسب– في إكساب الأدب والمنتسبين إليه موقعاً جديداً في سياق أوسع وأدعى إلى الحيوية والتلاقح، وأحفل بالمواهب المتنوّعة، وأكثر تركيزاً وتقطيراً للخاصية الأدبية؛ بل تفيض عن ذلك وتتعداه إلى إنعاش الفنون التي انحسر الاهتمام بها وتضاءل تشجيعها والحفاوة بها، فتستحيل من الهامش إلى المتن.

وإذا كان من المقرر في تاريخ الآداب والفنون أن الأجناس الأدبية والفنية تتمايز في حضورها التاريخي، وتختلف تبعاً لاختلاف الحقب أو السياقات التاريخية، والتطور الثقافي والاجتماعي؛ فإن من المعاكسة للتاريخ ألا يُتاح للفنون من فرصة التطور وتكافؤ الحضور ما يحقّق العدالة بينها. فليس معقولاً أن تظل بنية الواقع الثقافي وإدارته مصممة منذ أربعين عاماً على هذا النحو، فلا يساير الزمن ولا يتطور معه إلا زيادة عدد الأندية وفروع الجمعيات، أو نقل إدارة الثقافة والإشراف عليها من رعاية الشباب إلى وزارة الإعلام.

لنقل بصريح العبارة إن من غير المجدي أن نصنع تطويراً ثقافياً ما لم نُعِد هيكلة الأجهزة المعنية بالفنون والآداب. فكيف نطوِّر الثقافة بحصر الاهتمام بالأندية الأدبية؟! كيف نطوِّر الأدب، ونحن نُقصي المسرح ونُحارب السينما، ونُضيِّق الخناق على الموسيقى، ونحتقر الفولكلور، ونقبض أيدينا عن أي دعم أو مؤازرة للفنانين التشكيليين..؟! لماذا لا نتصور، أو لا نريد أن تكون الفنون والآداب أغصان شجرة واحدة؟!

لا بد من أن تتسع الأندية الأدبية لأقسام

ومناشط جمعية الثقافة والفنون، أو تتسع الجمعية للأندية الأدبية، فتتوحد الجهتان أو تندمجا، ولا بد من إضافة المكتبة العامة إلى هذا الاندماج، وتتاح الفرصة لاندراج أقسام فنية وثقافية أخرى، لم تحظ باهتمام الجمعيات والأندية من قبل. وليست هذه الفكرة جديدة؛ فقد ناقشها ملتقى المثقفين السعوديين الثاني المنعقد في الرياض خلال الفترة من ٢٧-١٤٣٢/١١/٣٠هـ، تحت عنوان «المراكز الثقافية»، وكانت محور إحدى جلساته. بل إن إحدى الأوراق التي تم طرحها في هذه الجلسة ذهبت إلى أن تاريخ الفكرة بدأ -في الأقل- عام ١٤١٥هـ، على لسان الأمير فيصل بن فهد (رحمه الله)، الرئيس العام لرعاية الشباب آنذاك، في إحدى المناسبات الثقافية، حين كانت الأندية الأدبية وجمعيات الثقافة والفنون تحت إدارتها. وكانت بعض الأوراق تبارك الفكرة، وتبرهن على جدواها بالمقارنة بفكرة المراكز الثقافية في الدول الغربية، مثل: فرنسا، وإيطاليا، وأمريكا. ولم تحدث معارضة للفكرة بشكلٍ جديٍّ، وظلت التحفظات عليها، تأتي من زاوية التحبيذ لتعدد إدارات العمل الثقافي، وأن الدمج سيضيِّق واسعاً. وكان الإحساس الذي لم يكد يبين في كلمات أن دعم الأندية الأدبية وامتيازات أعضائها ستتضاءل بسبب اندراجها في متعدد أو تفرُّق مبالغ الدعم التي كانت خاصة بها.

وعلى الرغم من ذلك، فإن أقصى ما يمكن أن نصف به مصير الفكرة ليس الإلغاء، لأن أحداً من المسئولين لم يقل ذلك صراحة؛ وإنما تأجيل الفكرة، أي التغاضي عنها مؤقتاً وعما ينشأ عنها من عناء. لكن هذا المصير أكثر إرباكاً واستنفاداً للجهد والمال؛ فها هي بعض الأندية الأدبية تفرغ من بناء مقراتها، وها هي أخرى توشك أن تتسلم مقراتها، أو تشرع في إنشائها، وذلك بملايين الريالات، ولكن بتصاميم لا تأخذ في الحسبان أدواراً مستقبلية يمكن أن تتمثل فيها فكرة المراكز. ويضاف إلى ذلك جهد اللائحة المنظمة لعضوية الأندية الأدبية وإدارتها التي استنفدت جهداً كبيراً. إن فكرة إنشاء مركز ثقافي يشمل مناشط فنية وأدبية وثقافية عديدة، في كل منطقة هي طموح أبعد في تطوير الثقافة، والمعارضون لها حين يعتقدون أن تعدد الإدارات الثقافية أجدى على الثقافة، يتحاشون جناية التشتيت والفصل بين الفنون على المفهوم الذي يطبعها والوظيفة التي تضطلع بها، ولا يكترثون بقلة المتفاعلين من عموم الناس مع النشاطات الأدبية التي يُغْدَق عليها المال، ولا بما تلقاه جمعيات الثقافة والفنون من شُحٍّ وتقتير.

أما الأمر المهم في القضية كلها، فهو أن طرحها على هذا النحو قد لا يصدر عن وزارة الثقافة والإعلام. وهذا طبيعي، فالتخطيط لقطاع من قطاعات العمل، واكتشاف ما يؤدي إلى النهوض به لا يحدث في العادة من المنهمكين فيه والغارقين في لجّته، بل من جهة يتوافر لها مسافة رؤية إلى الأبعد. والجهة التي يمكن أن تتوافر لها مسافة الرؤية هذه هي مجلس الشورى، ولقد قدم مجلس الشورى في السابق توصية بإنشاء مجلس أعلى للثقافة والفنون والآداب، وليس بعيداً أن تتبنى لجنة الشؤون الثقافية (وفيها أسماء من خيرة المثقفين وأكثرهم وعياً بالثقافة وطموحاً إلى ما يرقى بها) مقتَرَحاً بشأن المراكز الثقافية، وأن تبادر إلى تقديم توصية به إلى المجلس.



الأندية الأدبية.. النجاحات والإخفاقات

■ محمد علي قدس

تمهيد

منذ تأسيس الأندية الأدبية عام ١٩٧٥م - وكانت النواة أندية جدة، الطائف، ومكة، والمدينة، والرياض، وجيزان - وهي تقوم بدورها الذي أُنشئت من أجله على مدى أربعين عاما، في دور وطني وقومي، غيّرت - من خلال أنشطتها الثقافية ورسالتها الأدبية - المشهد الثقافي برمّته، وأسهمت في تكوين الوعي الثقافي وبلورته، والعمل على تفعيل الإنتاج الأدبي ودعمه، والإحتفاء بالمبدعين، والإسهام في التنمية الثقافية، ودفع مسيرة النهضة الأدبية والثقافية في المملكة. تعد هذه الأندية بحق من مؤشرات النمو الثقافي والأدبي، من منظور ما قدّمته من عطاء، وما حقّقته للأدب والأدباء من أهداف في مشروع نهضوي يخدم ثقافتنا الوطنية والثقافة العربية.

وإن اختلفت الآراء في مسألة تقويم أداء هذه الأندية، وما لاحظه عليها النقاد برؤية إيجابية من سلبيات وأخطاء لها ظروفها، ولمنتقدي أداء الأندية مبرراتهم، وملاحظاتهم الجيدة، فكانت قراءاتهم منصفة في حق الأندية العاملة، التي حققت في مسيرتها منذ تأسيسها، نجاحها بتنويع نشاطاتها الثقافية والأدبية، وسجلت تقدمها في تاريخها، بما تميزت به بمبادرات وأولويات، وما حققته من انجازات، وهي أندية معروفة عند المنصفين، قامت بدورها الثقافي والأدبي والاجتماعي، وأسهمت في فتح قنوات جديدة متعددة للقراءات النقدية والمشاريع البحثية، من خلال الملتقيات والندوات المتخصصة. ويبقى بالفعل أن تقوم بدورها في فتح قنوات جديدة للنشاطات الثقافية المفتوحة، بتفعيل نشاطات المسرح والسينما والمقاهي الثقافية التي تنمّي الحوار الأدبي العفوي، لما لهذه النشاطات، من تأثيراتها الاجتماعية والثقافية، وما تضيفه بإيجابية لمشاريع التنمية الثقافية الوطنية.

التجربة الفريدة للأندية الأدبية

أربعون عاما مسيرة عطاء عميد الأندية الأدبية، نادي جدة الأدبي، منها يسجل تاريخ



الأندية بعطاء ثقافي، وقد احتفل أدباء المملكة عام ١٤٣٥هـ، بتأسيس ستة أندية أدبية، فبعد صدور قرار صاحب السمو الملكي الأمير فيصل ابن فهد بن عبد العزيز، الرئيس العام لرعاية الشباب، رحمه الله، رقم ١١/٤٢٣ وتاريخ ٢٩ صفر ١٣٩٥هـ، بتأسيس أول نادٍ أدبيٍّ في المملكة، بناء على طلب تقدم به كل من الأستاذين الكبيرين محمد حسن عواد، وعزيز ضياء زاهد، باسم (نادي جدة الأدبي)، ليكون منتدى وملتقى للأدباء والمفكّرين في مدينة جدة، صدر قرار مماثل في العام نفسه والشهر نفسه، بناء على طلبات الأدباء في مناطق المملكة الذي صادف وجودهم في مدينة الرياض، لحضور اجتماع دعا إليه سموه حول مشروع إحياء (سوق عكاظ)؛ فأصدر أمره بالموافقة على إنشاء أندية: مكة المكرمة، والطائف، والرياض، والمدينة المنورة وجيزان.

قد أكون- في نظر بعضهم - متحيزا في شهادتي لنادٍ خدمته لأكثر من خمس وعشرين سنة، إلا إنني لا أتجاوز الحقيقة ولا أبالغ في القول، مستشهداً بآراء الكثير ممن كتبوا عن تجربتهم مع الأندية الأدبية، وبخاصة النادي الأدبي العريق في جدة. ونعود بالتاريخ لليوم الذي شهدت فيه مدينة جدة أول لقاء في أول انتخابات للأدباء والمثقفين في المملكة، اجتمع فيها أكثر من ثلاثين أديبا ومثقفا ومحبا للثقافة والأدب في مدينة جدة في ٢٣ جمادى الأولى عام ١٣٩٥هـ، وقد كانت جدة على وشك تحقيق حلم ثقافي كبير، اجتمعت له تلك النخبة من الأدباء والمثقفين، وهو اجتماع دعا إليه الأديبان الكبيران محمد حسن عواد وعزيز ضياء، بعد عودتهما من الرياض وقد منحا القرار الرسمي، بتأسيس ناديهم الأدبي، وفي منتزه اشتهر بلقاءات الصفوة ونخبة الأدباء والأحبة والأصدقاء، حيث يحلو السمر وتحلو الحوارات، انتظم عقد الأدباء. وتضم قائمة الأسماء التي

سجلت لأول انتخابات شهدتها مدينة جدة لأول نادٍ أدبي رسمي أسس في منظومة الأندية الأدبية في المملكة.

وحين جرت انتخابات نادي مكة بعد مرور ثلاثين سنة على انتخابات نادي جدة الأولى جاءت هذه العبارة (إنها المرة الأولى في تاريخ الأندية أن تحدث هذه الانتخابات). وهذا غير صحيح؛ فلائحة الأندية الأساسية، صدرت بعد تأسيس الأندية الأدبية الستة، ولكنها ظلت معطلة منذ انتخابات نادي جدة الأدبي الأولى التي جرت في كازينو كيلو عشرة عام ١٣٩٥هـ، وذلك بحضور كبار أدباء جدة، ومن بينهم: العواد، وعزيز ضياء، والأمير عبدالله الفيصل، والزمخشري، والمغربي، ومحمود عارف، والقرشي، وغيرهم. وانتخبوا أول مجلس إدارة لأدبي جدة؛ لذلك فهو عميد الأندية الأدبية في المملكة، وأول نادٍ يجري الانتخابات العامة بحضور جمعية عمومية من الأدباء الرواد والمثقفين والإعلاميين. وضمت قائمة الذين رشحوا أنفسهم للدخول في أول مجلس إدارة الأساتذة: حسن القرشي، ومحمود عارف، ومحمد علي مغربي، وعبدالله الحصين، وعبدالله مناع، والأمير عبدالله الفيصل، والأمير سعود بن سعد، وعبدالفتاح أبو مدين. ومن الحقائق أن سمو الأمير عبدالله الفيصل لم يدخل أول مجلس إدارة، حيث حقق سمو الأمير سعود بن سعد (فتى الشاطئ) أصواتا أكثر، وكان هو من دخل مجلس الإدارة. أما الأدباء الذين حضروا وشاركوا بالإدلاء بأصواتهم، فكان منهم الأساتذة: عبدالوهاب آشي، ولقمان يونس، ومطلق الذيابي، ومحمد إبراهيم جدع، وهاشم عبده هاشم، ومحمد سعيد باعشن، وأحمد شريف الرفاعي، ووهيب بن زقر، ومحمد بادكوك.

حماسة أمير الشباب والأدب وشجاعتة

يؤكد الأدباء أنه لولا حماسة أمير الشباب والأدب، فيصل بن فهد، رحمه الله، وإرادته الحرة، وإيمانه القوي برسالة الأدب، وقدرته الفائقة في التأثير في المجتمع، لما كان تأسيس الأندية الأدبية من الأحداث الثقافية والأدبية المهمة في تاريخ الأدب السعودي. ومن وجهة نظر الأديب الرائد عزيز ضياء، أن هذه الأندية كان يمكن أن تظهر في أي وقت قبل الآن، ولكن ظهورها في الوقت الذي أعلن عن تأسيسها، كان له عدة وجوه، منها: الطفرة التي عاشتها المملكة في الثمانينيات الميلادية، وتوفر الإمكانات للنهضة الشاملة وفق خطط التنمية في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والثقافية.

وبتأسيس الأندية الأدبية في إطارها المؤسساتي، والتقدير الكامل لدور الأدب والأدباء في هذه النهضة، ازدهرت الحركة الأدبية، وتطوّر المشهد الثقافي بشكل كامل. وبلا شك فإن الاحتفاء بمرور (٤٠) عاما على تأسيس نادي جدة الأدبي، كان حقا رصدا لمسيرة الأندية الأدبية، وما شهدته الحركة الأدبية من تطور، وما حدث من متغيرات ثقافية، ولا يمكن إنكار سلبياتها ما دمنا بصدد إبراز إيجابياتها. نجد أننا لابد أن نكون صرحاء وصادقين في إيضاح أسباب إخفاقاتها.

صاحب الفكرة والرؤية الصائبة

عرفت الأستاذ محمد حسن عواد، مؤسس نادي جدة الأدبي، حين كنت طالبا في الثانوية، قرأت مقالاته الفلسفية في جريدة البلاد، وأعجبني حماسته الزائدة للتغيير والتجديد، وعرفت أنه من المتحمسين للأدباء الشباب،

والمشجعين لمحاولاتهم في الإبداع، فقد شجع الأديبة نجاة خياط في بدايتها، وطبع لها مجموعتها القصصية الأولى (مخاض الصمت)؛ فطمع كل الشباب الطموح كما أسماهم في دعمه وتشجيعه، وهم الذين عرفوا طبيعة الأستاذ العواد، الذي كان يبحث في إبداع الشباب عن المغامرة والحداثة. كان هاجسه رحمه الله التجديد كحقيقة من حقائق الحياة، والاختلاف في الكتابة. وبعد تأسيسه للنادي الأدبي، وجد أن فكرته قد تحققت ليكون النادي منبرا لهم.. وحاضنا لإبداعهم، ومنطلقا لمستقبلهم. منحني عضوية الجمعية العمومية في النادي وطلب أن أكون سكرتيرا له، بحضور الأستاذ الكبير محمود عارف.. عشت ست سنوات قريبا منه لصيقا به، أسمع همسه وأقرأ نبض مشاعره، وعرفت الشئ الكثير من جوانبه الإنسانية، وعواطفه الجياشة، وبساطة الحياة التي كان يعيشها، والتواضع الذي كان من أبرز سماته الإنسانية. وقرأت أفكار مؤسس الأندية الأدبية.

كان العواد يؤمن تماما بأنه لا بد أن ترفع القيود عن إبداع المرأة، وحقوقها الاجتماعية التي صرح بها في خواطره، ومنح ما تكتبه كل الاستثناءات. ولعله نجح كثيرا، وأثمر تشجيعه وتبنيه للكثير من الأسماء أن أغلبها قد برز واشتهر، وكسب العواد الرهان على تفوق تجاربهن الإبداعية. ومن بين تلك الأسماء: د. أشجان هندي، ود. فوزية أبو خالد، ود. خيرية السقاف، ود. فاطمة حناوي، ونورة خالد السعد وسميرة لاري رحمها الله. لذلك تؤكد د. فوزية أبو خالد أن موقف العواد من قضايا المرأة، موقف وطني، ملتزم ومتقدم على زمن ذوات الخدر والخمار وسقاية الحجيج، وقد أدركت المرأة أن حلقة الخلخال -وإن كانت من ذهب- هي بعض قيدها.

ما كتبه في خواطره المصرحة وأحلامه بمستقبل المرأة اجتماعيا وثقافيا، رأيناه يتحقق في السنوات الأخيرة، من خلال دخول الأديبة والمثقفة مجالس إدارات الأندية، ورئاسة لجانها الفكرية والثقافية، وأصبحت جزءاً من نبضها،



وإن كانت لا تزال تعاني من التهميش في كثير من الأندية.

وفي السنوات الأولى من تسيس نادي جدة الأدبي التف حوله عدد من الأدباء والشعراء الشباب، وكنت سعيدا بأنني كنت واحدا منهم، ألتقي بالشعراء أحمد الصالح (مسافر)، وعبدالله الصيخان، وأحمد عائل فقيهي، وعبدالواسع سعيد عبده، وكانوا في بداياتهم الشعرية، كما التقى به الأستاذ عبدالله نور الذي سماه رائد الأدباء الشباب. وتحققت بذلك، آمال الأستاذ العواد، ورؤيته حول هدف نادي جدة الأدبي وطموحاته المستقبلية.

إخفاقات الأندية في انتخاباتها

رغم اجتهادات الإدارات للأندية الأدبية، إلا أنها أخفقت في معالجة الكثير من الأخطاء التي وقعت فيها، من حيث تجاهل الأصوات التي نادت بتعديل لائحة الأندية، وعدم اهتمامها بالملاحظات والشكاوى، التي طعنت في نتائج الانتخابات الأخيرة. ووجد أن الإخفاقات وأسباب المعوقات حالت دون نجاحه في مهامه، قدم استقالته، وسط دهشة المثقفين.. وصدق توقعاتهم. وكانت الغالبية من الأدباء والمثقفين، يعلنون صراحة أن مجالس إدارات الأندية الأدبية المختارة بالتعيين في السابق أفضل من التي جاءت عبر التصويت في الانتخابات؛ فذلك لأنهم يدركون أن الأندية الأدبية والمؤسسات الثقافية من الأفضل أن يُختار لإدارتها مَن هم الأجدر من أهل الأدب، وبخاصة المثقفين. ولإيماننا بأن الديمقراطية مسلك حضاري، من الأولى بالثقافة أن تهتم به، فلتكن الانتخابات مبدأ أساسا لعدد من الأعضاء، ويتم تعيين بقية الأعضاء من قبل الأمانة العامة للأندية الأدبية؛ وهذا ما يجري عليه في اللائحة الانتخابية لمجالس إدارات الغرف التجارية. لم يكن العمل بهذه الآليات غريبا ولا مفاجئا وقد اعتقد بعضهم، حين رفض المثقفون والأدباء نتائج انتخابات الأندية الأدبية التي جرت قبل نحو أربع سنوات، ليس لأنهم ضد مبدأ الديمقراطية، لكنهم شككوا في الآليات، واعترضوا على النتائج للتكتلات غير المشروعة ولعدم الشفافية والمصداقية، وعزوا



مع د. الغذامي ود. السريحي

أسباب الفشل في الخلل الكبير والفجوات التي نصت عليها بنود اللائحة التنظيمية للأندية الأدبية. كان من أهم الاعتراضات والطعون من المثقفين، انتساب الذين جرى تسجيلهم أعضاء في الجمعيات العمومية للأندية، وكانوا أعضاء ليس لهم تجربة ولا إلماما واهتماما بالأدب، ولا يوجد لهم نشاط أو مشاركات في الأندية والمشهد الثقافي؛ وبدا واضحا أن تسجيلهم كان بهدف التصويت في الانتخابات. وكان التعديل الوحيد المقنع إلى حد كبير في اللائحة الجديدة، هو النظر بصدق وواقعية لشروط المنضمين للجمعيات العمومية؛ والدليل على ذلك أنه ثبت أن الذين انضموا في فترة ما قبل الانتخابات لم يجدد عضويته منهم إلا القلة ممن لهم اهتمام بنشاطات الأندية والمعنيين حقاً بالأدب والثقافة. وهو ما يؤكد وجود اتفاق مع المرشحين الفائزين ضمن قائمة وتكتلات متفق عليها، وهو ما يتعارض مع المادة (٢٠) من لائحة الأندية الأدبية الجديدة، التي ثبت عدم جدواها، ولا تتفق مع المنظومة الثقافية، ومع مبادئها الأساسية التي تحقق للأندية النهوض والاستمرار في نجاحاتها.

كان لا بد أن تنص اللائحة الجديدة على استقلالية الأندية الأدبية كمؤسسات ثقافية لها وجودها وكيانها ضمن مؤسسات المجتمع المدني. وما نزال نطالب بالتمسك بالديمقراطية في اختيار رئيس وأعضاء مجلس الإدارة، على أن تبقى نسبة تتساوى مع النسب المعمول بها في انتخابات المجالس البلدية والغرف التجارية، يتم بها تعيين أعضاءٍ من قبل وكالة الشؤون الثقافية في وزارة الثقافة. لضمان وجود أدباء ومثقفين معنيين بالهموم الثقافية، ولهم إلمام بمتطلبات الأدباء واحتياجات المشهد الثقافي.

حقيقة، لا يشكك الأدباء المعترضون ولا يقللون من قدر وأداء الذين استلموا إدارات الأندية الأدبية، ويظل اعتراضهم قائما على الآلية واللائحة التنظيمية؛ ولكنهم يأملون من الأمين العام للأندية، وقد اقترب موعد الانتخابات الجديدة، تصحيح الأوضاع، وإعادة النظر في شروط الأعضاء المنتسبين للجمعيات العمومية، ودراسة المقترحات المقدمة من الأدباء والمثقفين. ولا وجه للمقارنة بين حال الأندية اليوم، وما كانت عليه في السابق من نجاحات، وإقبال من الأدباء والمثقفين، رغم أنها إدارات جرى تعيين أعضائها بكفاءة ما قدموا من عطاء أدبي ونشاط ثقافي واسع.

المادة المختلف عليها مصدر الإشكال

كان من الطبيعي أن تفشل الأندية الأدبية في عقد جمعياتها العمومية بنصابها الكامل، وإن كان قدر لها أن تعقدها بنسب أقل. لاتخاذ القرارات المهمة لصالح المشهد الثقافي والواقع الأدبي. والسبب أن لائحة الأندية الأدبية بها من الثغرات والخلل، ما لا يمكن تلافيه إلا من الأساس؛ فقد أصرت الوزارة على العمل باللآئحة، والتي كانت قد وزعت مسودتها على الأندية للمشورة وإبداء الملاحظات، وفي النهاية جرى تطبيقها من دون أي تعديلات جوهرية، وبخاصة الباب الثاني، والمادة التي تخص عضوية المنتسب للجمعية العمومية في الأندية الأدبية. ففي أول لائحة تم صدورها عقب تأسيس الأندية الأدبية عام ١٣٩٥هـ (حين كان عددها ستة أندية، سبق ذكرها) ما نصه:

«يزكّى العضو المتقدم بطلب الانتساب

لعمومية النادي من قبل عضوين من مجلس إدارة النادي، يشهدان بكفاءته وأحقيته في العضوية، لنشاطه واهتماماته الأدبية».

وجرى تعديل هذه الفقرة في اللائحة المعدلة، التي صدرت بعد مرور خمس سنوات على تأسيس الأندية، بزيادة عدد الأندية إلى اثني عشر ناديا، بإضافة العبارة الآتية: «أن يكون العضو المنتسب له إنتاج أدبي أو اهتمامات بالأدب والثقافة».

أحدثت هذه الإشكالات فجوة كبيرة أثّرت تأثيرا واضحا في نتائج الانتخابات ومحصلاتها، هي دخول جمعيات الأندية العمومية أعضاء لا علاقة لهم بالأدب ولا علم لهم بمعطيات الثقافة، والحال كذلك لا يمكن لهذا النوع من الانتخابات في كل المستويات - وإن كانت محكمة ونزيهة شكليا - أن تكون ناجحة مهما كانت نتائجها، عندما تكون مفتوحة ولم تحدد شروط الالتحاق بالجمعيات العمومية للأندية. الخطأ أن الأبواب فتحت على مصراعيها لكل شاب بصرف النظر عن ميوله الأدبية، أو أي اعتبار لمواهبه الابداعية، شريطة أن يكون من خريجي اللغة العربية، ولا يشترط كونه موهوبا أو مهتما بالحراك الثقافي، ومن الطبيعي أن يقاطع الأدباء والمثقفون الأندية، وأن يخلو الجو لمن لا علاقة له بالثقافة والإبداع الأدبي. وتلك هي المحصّلة. ما نشهده اليوم من تغييرات جذرية في الساحة الثقافية، والتوجّهات الفكرية، وما يحدث من حراك غريب على المناخ الأدبي، أوجد نوعاً من الصراع والجدل، تسبّب في خلق مناخ غريب، وواقع مأزوم، لا يخدم بأي حال مستقبل الثقافة ولا يحقق طموحات المثقفين.

الشؤون الثقافية ومعالجة الإخفاقات

رغم اجتهاد الإدارات السابقة للأندية الأدبية، إلا أنها أخفقت في معالجة الكثير من الأخطاء التي وقعت فيها؛ من حيث تجاهل الأصوات التي نادت بتعديل لائحة الأندية، وعدم اهتمامها بالملاحظات والشكاوي، التي طعنت في نتائج الانتخابات الأخيرة. وإذا كانت الغالبية من الأدباء والمثقفين، يعلنون صراحة أن مجالس إدارات الأندية الأدبية المختارة بالتعيين في السابق، أفضل من التي جاءت عبر التصويت في الانتخابات؛ فذلك لأنهم يدركون أن الأندية الأدبية والمؤسسات الثقافية، من الأفضل أن يُختار لإدارتها مَن هم الأجدر من أهل الأدب. وضرورة تعديل شروط الفئات التي يحق لها التسجيل في الأندية ضمن جمعياتها العمومية، تحديداً من تكون تخصصاتهم تتلاءم مع طبيعة الدور الذي تقوم به هذه الأندية كـ(الآداب، اللغة العربية، التاريخ، المعلومات، والإعلام).

أسئلة شائكة تقلق الأدباء والمثقفين

من الأسئلة الشائكة المطروحة مؤخرا، التي يبحث الأدباء والمثقفون عن إجابات لها: لماذا فشلت الأندية الأدبية في عقد جمعياتها العمومية بنصابها القانوني؟ أستاذنا محمد العلي عدَّ ما حدث تدميراً للثقافة، وبعضهم يؤكد أنها إخفاقات لوزارة الثقافة، تسببت في فشل الأندية، والسبب وهو جوهر مبررات الطعون التي تقدم بها الأدباء القلائل الذين شاركوا في الانتخابات ويمثلون الثقافة والأدب. وعلى حد قول الدكتورة لمياء باعشن، التي كانت إحدى ضحايا تكتلات الانتخابات؛ فإن شروط اللائحة كانت بحق العقبة والمانعة. فحين صدرت اللآئحة، عقب تأسيس الأندية عام ١٩٧٥م،

اشترطت أن يكون العضو المنتسب للنادي، له إنتاج أدبي أو اهتمامات بالأدب والثقافة. لكن اللائحة الجديدة فتحت المجال لكل راغب من دون استثناء ولا شروط؛ ما أحدث الفجوة الكبيرة التي أثرت تأثيرا واضحا في انتخابات الأندية. فقد تشكلت الجمعيات العمومية للأندية من أعضاء لا علاقة لهم بالأدب، ولا خلفية لديهم عن معطيات الفعل الثقافي ومتطلباته، ولا يشترط ميولهم الأدبي واهتمامهم بالثقافة؛ لذلك من الطبيعي أن يقاطع الأدباء والمثقفون الأندية، وأن يخلو الجو لمن لا علاقة له بالثقافة والعطاء الأدبي. خاصة وأن الكثير منهم أدركوا أن مهمتهم كانت محددة بحضور الانتخابات والتصويت، لمن جاءوا خصيصا لإعطائهم أصواتهم، وانتهى الأمر.

ونعتقد جميعا أنه لا حل إلا بإعادة النظر في اللائحة، وإن كان بعضهم يظن أن الحل في العودة لما سارت عليه الأندية في الفترات الماضية بتعيين مجالس إدارات الأندية، وهو يتعارض مع طموحاتنا؛ لكننا نرى أنه أهون وأخف ضررا مما هو الحال عليه الآن، فقد كان التعيين لا يأتي بأسماء بعيدة عن الثقافة وهمومها.

مستقبل الأندية الأدبية وفكرة المراكز الثقافية

طغت فكرة المراكز الثقافية الشاملة، ووضع تصور مستقبلي للحركة الثقافية والأدبية، يحلم به الأدباء والمثقفون على حوارات المثقفين ونقاشهم.. وجاءت الأخبار بما يبشرهم بصدور قرار وزاري رسمي بإنشاء مراكز ثقافية في وقت قريب، كبديل للأندية الأدبية، ولأن بعض الأندية كما ورد في الخبر، الآن في مرحلة بناء



في ملتقى قراءة النص مع السريحي وأبو مدين


الأستاذ الزيدان يقدم محاضرة المفكر الدكتور المهدي بن عبود رحمهما الله


أمسية مع عبده خال


من أرشيف النادي

نادي جدة الأدبي
أدب و خدمة و توعية و تعاون و تعريف
تأسس في ٨ صفر ١٣٩٥هـ - ١١ مارس ١٩٧٥م
صندوق البريد: ٥٩١٩ تليفون: ٥٣٥٥٠
LITRARY CLUB OF JEDDAH SAUDI ARABIA
TEL 53550 - P.O. Box 5919 JEDDAH

لمقرات جديدة، كنادي مكة الثقافي ونادي أدبي الشرقية، مشروعان تحت الإنشاء والإعمار منذ خمس سنوات، يرجّح بعض المثقفين أن تقوم الوزارة بإنشاء مراكز ثقافية والإبقاء حاليا على الأندية بوضعها الحالي، فيما رجّح غالبية الأدباء لجوء الوزارة للقيام بدمج الأندية الأدبية مع فروع جمعيات الثقافة والفنون، للخروج بمراكز ثقافية شاملة لجميع أطياف الثقافة والفكر والفن.

فكرة المراكز الثقافية الشاملة التي تجمع الثقافة والأدب والفنون في كيان واحد، فكرة باتت مطلباً ملحاً من قبل المثقفين والفنانين، إلا أن الجميع يتخوّفون من استعجال تنفيذ الفكرة قبل نضوجها، واستيفاء حقها من البحث والدراسة بشكل جيد، لتعود بالنفع على المشهد الثقافي برمته. لأن مشروع المراكز الثقافية يحتاج لدراسة وافية من قبل الوزارة، ويُوصى بتكلفة القيام بهذه الدراسة لذوي العقول والخبرة الواسعة في مجال العطاء الثقافي والإنتاج الأدبي، والتي حملت الهمَّ الثقافي على عاتقها، وخدمت ثقافة الوطن بوعي وجد وإبداع. وكان عدد من المثقفين قد اقترح على وزارة الثقافة والإعلام دراسة بعض التجارب الحيّة للمراكز الثقافية في العالم، كنماذج يمكن تطبيقها في المملكة، منها تجربة مركز بومبيدو الثقافي في باريس، والمراكز الثقافية الأمريكية في واشنطن ونيويورك ولوس أنجلوس، والإفادة من أنشطة الأندية الطلابية السعودية في أوروبا ودول شرقي آسيا، والعمل على اختيار ما يتلاءم مع حراكنا الثقافي وعطائنا الأدبي.

خاتمة

بعد أربعين سنة من عمر الأندية الأدبية، ظهرت على السطح تكهنات في الوسط الأدبي حول الأندية الأدبية وفق ما يحدث في عالمنا من متغيرات في المعطيات والمحصّلات الثقافية، وما تتطلبه المعاصرة في عالمنا الجديد بثقافته وإعلامه، وبخاصة أن آمال المثقفين تجددت بعد قناعتهم بعدم واقعية نظام الأندية الأدبية وآلياتها التي تلقى معارضة ونقدا من الأدباء والمثقفين. خصوصا فيما يتعلق بآليات انتخابات الأندية، وقواعدها وشروطها. وإذا كان هذا النظام يلبّي بعض احتياجاتهم ويحقق جزءا من طموحاتهم، كمؤسسات ثقافية مستقلة، لها دورها الأدبي الذي له مقاصده وخصوصياته، إلا أنها بحاجة إلى تطوير؛ وأياً كانت الآلية التي ستتبعها الوزارة، لإبراز فكرة المراكز الثقافية، فإن آمال المثقفين لا تتوقف عندها، لذلك نراهم يجددون مطالبتهم بعودة جائزة الدولة التقديرية في الأدب، وتأسيس الصندوق التعاوني لدعم الأدباء. وتشكيل المجلس الأعلى للثقافة والآداب والفنون. والتوسع في النشاطات المسرحية والسينمائية.

الأندية الأدبية.. بين الانتخابات والتعيين

■ د. عبدالواحد الحميد

تبدو فكرة الانتخابات، من الناحية النظرية، جذّابة لمعظم المثقفين، إن لم يكن جميعهم! وقد لا تجد مثقفاً يهاجم الانتخابات كآلية للوصول إلى «السلطة»، أياً كانت هذه السلطة، من دون أن يقرر أنه مع الانتخابات من حيث المبدأ، ولكنه ضدها في زمان معيّن أو في مكان محدّد؛ لعدم توافر الشروط الموضوعية التي تضمن نجاحها، هذه الشروط الموضوعية التي لا تأتي أبداً..!!

هذا ما حدث في أعقاب النتائج التي أسفرت عنها انتخابات الأندية الأدبية في بعض مناطق المملكة، فقد رفض بعض المثقفين تلك النتائج، ودعا صراحة إلى العودة إلى آلية التعيين، بدلا من الانتخابات!

ما حدث عندنا ربما يبدو صادماً، ولكن، من الإنصاف للمثقف السعودي، أن نذكر أنَّ رفض نتائج الانتخابات يكاد يكون تقليداً راسخاً في العديد من اتحادات الأدباء والمثقفين في العالم العربي؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر، يندر في السنوات الأخيرة أن يتم تشكيل هيئات إدارية جديدة في رابطة الكتاب الأردنيين من دون أن يعقب ذلك موجة من الاستقالات والاحتجاجات، وهو الأمر الذي يحدث في العديد من اتحادات الكتاب والأدباء في العالم العربي.

يروي الدكتور غازي القصيبي تجربة شخصية مرَّ بها عندما كان عميداً لكلية التجارة بجامعة الملك سعود، فيقول إنه حاول جاهداً من خلال مشاركاته في لجان الجامعة العملَ على إلغاء نظام "تعيين" عمداء الكليات بقرارات إدارية، واستبداله بنظام يقوم على الترشيح من مجالس الكليات. وقد نجح في ذلك، وتم اعتماد نظام الانتخابات بدلاً من نظام التعيين، واعتبر القصيبي أن هذا الإنجاز هو أحد أهم الإنجازات في حياته. لكن الكارثة وقعت بعد أن دخلت التجربة حيّز التنفيذ. يقول القصيبي: «عندما بدأ تطبيق النص اندلعت المشاكل في كل كلية تقريباً. كانت هناك انقسامات، وتعذّر على بعض المجالس ترشيح أحد. كانت هناك شكاوى إلى أعلى سلطات الدولة"[1].

لم يرضَ "الدكاترة" بنتيجة الانتخابات، ودبّت الخلافات بينهم، ثم تطورت حتى وصلت

إلى درجة الخصومة المطلقة والاستعداء برفع خطابات إلى وزير الداخلية، وإلى الملك! وقد كانت النتيجة أن تم إلغاء نظام الانتخابات والعودة إلى نظام التعيين، أو كما يقول القصيبي إلغاء «نص» الانتخاب والعودة إلى «نص» التعيين! وهنا يتساءل:

هل أنا بحاجة إلى القول إن الديمقراطية لا تنبع من النصوص وإنما من النفوس؟ وهل أنا بحاجة إلى القول إن الديمقراطية لا تنبع من النفوس إلا بعد فترة من الحرث ووضع البذور والسقاية والعناية والرعاية؟ (٢).

بالطبع لا يقصد القصيبي أنه ضد فكرة الانتخابات، فهو معها وليس ضدها، لكنه يقرر أن وجود نصوص نظامية تفرض الانتخابات فرضاً لا يضمن نجاح الفكرة عند التطبيق، حتى لو تم التطبيق في بيئات ثقافية يعمل فيها أناس يحملون أعلى الشهادات العلمية، التي اكتسبوها من بيئات تسودها الروح الديمقراطية المتسامحة. هو هنا، ببساطة، يرى أن الديمقراطية، لكي تنجح، تحتاج إلى «وضع البذور والسقاية والعناية والرعاية»، أي تحتاج إلى «الزمن». فهل بمقدورنا أن نراهن على الزمن حتى يؤمن الناس بفكرة الانتخابات ويقبلون بنتائجها؟ وكم نحتاج من الوقت كي ينضج المجتمع، ويقبل بنتائج الانتخابات؟

المؤكد أن «الحرث ووضع البذور والسقاية والعناية والرعاية» لا يمكن أن تحدث من تلقاء نفسها. لا بد أن يكون هناك مَن يحرث الأرض، ومَن يضع البذور ويسقي ويعتني ويرعى. والمؤكد أيضا أن النخب المثقفة هي المرشّحة أكثر من غيرها للقيام بهذا الدور. لكن المزعج هو أن هذه النخب المثقفة، عندنا، كانت دائماً تعثر على الذرائع التي تبرر بها عدم قبول نتائج الانتخابات.

نحن لا نجد مثل هذا التبرّم لدى التجار الذين كانوا وما يزالون ينتخبون ممثليهم في الغرف التجارية منذ عقود طويلة، رغم إن التجار والمثقفين ينتمون إلى البيئة والعادات والتقاليد الاجتماعية نفسها. نعم تحدث خلافات حول نتائج انتخابات الغرف التجارية في بعض الأحيان، لكنها قليلة.. وهي لا تكاد تذكر بالمقارنة مع الخلافات التي تثور بين المثقفين عندما تجري انتخابات الأندية الأدبية. فما الذي يجعل التجار يقبلون بنتائج الانتخابات، ولا يجعل المثقفين يقبلون بها؟! علماً بأن الغرف التجارية تحقق مصالح حقيقية للتجار، فهي بمثابة نقابات تحمي مصالحهم وتدافع عنها أمام الحكومة والمستهلكين المحليين والشركاء الأجانب، ومن ثَمَّ، فإن نتائج الانتخابات تعني الكثير جداً بالنسبة لهم، وليست مجرد مناصب وكراسي ومواقع فخرية!؟

الواقع أنه، على الرغم من التنظير الكثير، فإنه توجد علاقة ملتبسة بين المثقّف والسلطة. فالمثقف رغم تظاهره بالعزوف عن السلطة، يعتقد في قرارة نفسه أنه أحق بها من غيره. وقد يكون المثقف "فرداً" أو ربما "تياراً"، لكنه في كل الأحوال يجد صعوبة كبيرة في التنازل لغيره؛ لأنه يعتقد أنه على حق، وإن ما يراه هو الصواب. ومن المدهش أن بعض المثقفين في تحوّلاتهم الفكرية عبر مراحل زمنية مختلفة كانوا يتعصبون دائماً للأفكار المتناقضة التي كانت تعبّر عن انتماءاتهم الفكرية في المراحل الزمنية المختلفة! هناك مثقفون كانوا يقفون في أقصى اليسار، وكانوا شديدي التعصّب لأفكارهم اليسارية، ويعملون على إقصاء كل من لا يشاركهم الرأي، ثم تحوّلوا في مراحل لاحقة إلى أقصى اليمين، وأصبحوا شديدي التعصب

للأفكار اليمينية، فعملوا على إقصاء كل من لا يشاركهم أفكارهم الجديدة، والعكس صحيح!

قيل في تفسير رفض بعض المثقفين لنتائج انتخابات النوادي الأدبية، إن بعض المرشحين الذين خاضوا تلك الانتخابات وفازوا فيها هم من خارج الساحة الثقافية، وإن النتائج التي حققوها إنما كانت بسبب تكتلات واصطفافات لا علاقة لها بالثقافة، بقدر ما هي نتيجة مخططات ذات دوافع أيديولوجية هدفها الحقيقي هو توظيف النوادي لتحقيق غايات أصحاب تلك الأيديولوجيات.

ربما يكون هذا صحيحاً في بعض الحالات، ولكن هل وجود مثل هذه الحالات يبرر رفض فكرة الانتخابات والمطالبة بالعودة إلى التعيين، أم يدعونا إلى بذل الجهد لإصلاح نظام الانتخابات المعمول به؟

من المعروف أن عملية الانتخابات في أي مجال أو نشاط لا بد أن تكون محكومة بشروط وقواعد، وعندما يتعلق الأمر بانتخابات النوادي الأدبية.. يجب أن لا تتاح فرصة الترشّح لأي شخص لا تنطبق عليه الشروط والقواعد. وعلى سبيل المثال، يمكن تضمين قواعد الانتخابات لعضوية مجالس إدارات النوادي الأدبية أن يكون المترشح ذا إنتاج أدبي، وليس من خارج الساحة الثقافية. ومن المؤكد أنه لن يكون من المستحيل وضع الشروط التي تمنع غير المعنيين بالثقافة بشكل حقيقي من التطفل على انتخابات النوادي الأدبية.

واقع الأمر هو أن الكثير من المثقفين لا يُطيق الرأي الآخر، ولا يستطيع التأقلم مع أي توجّه ثقافي يختلف عن التيار الذي يميل إليه. وواقع الأمر هو أن الشللية جزء من تركيبة ثقافتنا المحلية؛ ولذلك، يفضل الكثير من المثقفين الانسحاب بالكامل بدلاً من التعايش مع الآخرين في بيئة ثقافية تتنوّع فيها الميول والتوجّهات.

في حالات كثيرة حدثت خلافات أدت إلى تعطيل أنشطة بعض النوادي الأدبية بسبب الميول والشلليات، وليس بسبب وجود أعضاء في مجلس الإدارة من خارج الساحة الثقافية. ولهذا، لا يمكن نسف فكرة الانتخابات بحجة أنها تأتي بأشخاص من خارج الساحة الثقافية، والقول إن وجود مثل هؤلاء الأشخاص هو سبب الفوضى الإدارية، والنزاعات المستمرة التي تعاني منها بعض النوادي الأدبية.

إن فكرة الانتخابات فكرة حضارية نبيلة، ويجب أن يكون للنوادي الأدبية دورٌ كبير في ترسيخها في جميع الأنشطة والقطاعات بالمجتمع، هذا الدور الذي وصفه القصيبي بـ «الحرث ووضع البذور والسقاية والعناية والرعاية».

ربما لن تتحقق في المدى القصير الصورة المثالية التي يطمح إليها معظم المثقفين، لكن ممارسة الانتخابات والاستفادة من الأخطاء يثري التجربة وينضجها. وإذا كان المثقفون يضيقون ذرعاً بالانتخابات؛ لأن نتائجها لا تعجبهم بسبب حداثة التجربة ووجود الأخطاء، فلن تنضج هذه التجربة أبداً، وسوف تظل النوادي الأدبية تعاني من القصور الذي هو صفة ملازمة للعمل البيروقراطي الوظيفي الذي تحكمه لوائح التعيين وفرض الوصاية.

---

(١) غازي القصيبي، حياة في الإدارة، ط ١٣ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٦م) ص ٩٣.
(٢) المصدر نفسه.



الأندية الأدبية في عصر العولمة

■ عبدالرحمن الدرعان

يقتضي نجاح أي مؤسسة، والثقافية منها على وجه الخصوص، أن تقرأ - بلا تعالٍ ولا مثالية - معطيات الواقع؛ لكي تنطلق برؤية إستراتيجية تستشرف تحوّلات المستقبل وآفاقه وممكناته؛ ما يمكّنها من مواكبة حراك المجتمع، والانسجام مع تحوّلاته ومُتغيّراته، من خلال العمل على مشروعات ثقافية.

وإذا ما تتبّعنا تاريخ الأندية الأدبية، فإنه يتوجب بدءاً ألا ننسى أن تأسيس الجيل الأول منها تزامن مع بواكير حركة (الصحوة)، وهو ما يدعوني أتساءل بارتياب عن غياب أثر هذه المؤسسات الثقافية، وعجزها عن التصدّي لرياح الصحوة التي عصفت بالمجتمع، بشكل لم يكن مسبوقا من قبل.

ولكي نتوصل إلى أسباب إخفاق المؤسسة الثقافية طوال العقود الأربعة الماضية، علينا قراءة المراحل التي مرت بها الأندية الأدبية- نظريا- إلى عدة مراحل تاريخية، بدايتها منذ عام٩٥هـ. تلك الفترة الطويلة نسبيا، والتي كانت الرئاسة العامة لرعاية الشباب تمثل مرجعية الأندية الأدبية، وإذا ما استثنينا نادي جدة الأدبي، الذي كان له حضوره المتميز، وأثره في المشهد الثقافي؛ فإن معظم الأندية الأخرى في تلك الفترة يغلب عليها طابع الخمول، والعمل التقليدي، والمحسوبيات، وسيطرة الذهنية الواحدية على جُلِّ مجالس الأندية. ومن هنا، كانوا يمارسون أشد درجات الإقصاء لكل من يختلف مع توجهاتهم الفكرية

والأيدلوجية؛ ذلك أن رؤساء الأندية لا يؤمنون بالعمل المؤسسي، بقدر ما كانوا يديرون العمل على طريقة الموظفين. بل يحدث أن تدار هذه الأندية لدى بعض هـؤلاء - مع الأسف - كما لو أنها ملكية خاصة؛ يتجلى ذلك في تصريحات القائمين عليها، الذين لم يستنكف بعضهم عن التصريح بكونه شخصية اعتبارية يرى في هذا (المنصب) مكافأة شخصية، وذلك بعد الإعلان عن نية الوزارة في تغيير أعضاء مجالس الأندية.

وعندما تحوّلت الأنديـة إلـى جهاز وزارة الثـقـافة والإعــلام، وغــادرت الإدارات التي استحوذت عليها، بدأت ملامح التجديد تظهر مجددا بعد طول انتظار، وعادت الأندية إلى حالة الانتعاش، وبدأت تدخل في حالة من التنافس. حدث ذلك بعد أن قامت وزارة الثقافة والإعلام بمضاعفة عدد الأنـديـة الأدبيـة، لتشمل جميع مناطق المملكة. ولعلنا نشير في هـذا المقام إلى العديد من البرامج الثقافية، والمسابقات الأدبـيــة، والأنـشـطـة الـنـوعـيـة فـي عـدد من الأنـديـة. وجدير بنا أن نذكر بالشكر عـرّاب تلك المرحلة الدكتور عبدالعزيز السبيّل، الذي كان لجهوده المخلصة أثـر كبير في الحراك الإيجابي الذي طرأ على هذه الأندية الأدبية ؛ كما لا ننسى احتضان الوزارة لمعرض الرياض الدولي للكتاب، والفعاليات الثقافية المصاحبة له، التي كان لها دور كبير في إثـراء المشهد، وكسر حاجز القطيعة بين المثقفين.

وكان يجب أن يتحرك العمل تصاعديا، ولكن قدر هذه المسيرة أن ترتد من جديد، بعد تطبيق لائحة الانتخابات التي جلبت - بسبب غياب الضوابط والمعايير التي كنا نؤملها - الكثير من الطارئين وأشباه المثقفين والأكاديميين، الذين وثبوا مستغلين ركاكة اللائحة، على هذه المؤسسات، وأعتقد أن الحالة الراهنة التي نحن بصددها الآن تنبئ عن الحال أكثر مما يدوّنه المقال.

لا شـك أن الـرهـان عـلى انـتـخـاب أعـضـاء مجالس الأندية حالة يطمح لها الشارع الثقافي، رغم ما قد يعتريها من تعثر في بداياتها، وها نحن نرى أن مراجعة اللائحة وتعديلها أصبح هاجس الإدارة العامة للأندية الأدبية، فهل ثمة وقت لتدارك الأخطاء المتراكمة عبر عقود في عصر التحوّلات الثقافية، والانفجارات المعرفية، والثقافة العابرة للحدود؟ وهل سيتوقف العالم في انتظار المتقاعسين والمتخلّفين عن الركب؟!

ويبدو أنه يتعين أن نطرح السؤال الآتي، بكل ما فيه من حرقة: هل هو زمن الأندية الأدبية التي عجزت عن مواجهة تحديات الماضي؟! وهل يمكنها التفاعل مع راهن الثقافة على الصعيد المحلي والعالمي؟!

لا أعتقد أننا نغامر في الاعتراف بأننا لن ننتظر من هذه الأندية التي ما تزال تطوف في الظلام، مكبّلة بأغلال العوز المعرفي وغياب الرؤية، أن تواكب الراهن، ولا أن تقدم الإضافة والتغيير. غير إن ما يجعلنا نبتهج قليلا أن هذه الإدارة العامة للأندية تتداول - وهو ما لم يعد خافيا- هذه الأسئلة، وتشاطرنا هذه الهواجس، بحثاً (ربما) عن بدائل لهذه الأندية.



ميزانية الأندية الأدبية

■ هاني الحجي

يكتسب مفهوم تمويل عمل المؤسسات الثقافية أهمية حيوية؛ لأنه يفتح آفاقاً كبيرة لتنمية الثقافة. وعلى كل المؤسسات الثقافية أن تراعي عدداً من الشروط لتحقيق هذا الهدف، وذلك بتخفيض المصاريف من ناحية.. وزيادة الدخل من ناحية أخرى، عن طريق الإدارة الفعالة التي تحقق التوازن بين المصروفات والإيرادات. من جانب آخر، فإن أمام المؤسسات الثقافية معادلة صعبة؛ فالإحجام عن الإنفاق على أنشطتها اللازمة بسبب قلة مواردها يوازيها مشكل في عملها؛ ومن المهم أن تتضافر جهود المؤسسات الثقافية للتوصل للنسبة المعقولة للمصاريف الإدارية.

إن تمويل العمل الثقافي يُعَدُّ عنصراً فاعلاً لزيادة النشاطات وتوفير الخدمات، كما أن معظم المؤسسات العاملة في هذا الميدان هي مؤسسات تعتمد على الإعانة السنوية.

لاشك أن الموارد المالية تعد من أهم العوائق التي تواجهها الأندية الأدبية؛ فالإعانة السنوية المقررة بمليون ريال سنويا لا تكفي، وقد يرى مَن هو خارج نطاق عمل الأندية أن هذا المبلغ كبير، لكن قبل أن ننتقل إلى معوقات الصرف والتطرق لكفاية المنحة من عدمها، لا بد من الإشارة إلى أن توزيع مبلغ المنحة نفس لجميع الأندية، في حد ذاته، يحتاج إلى إعادة نظر؛ فهناك أندية تقع في مدن رئيسة، وتتبعها محافظات عديدة.. بخلاف الأندية التي تقع في الأطراف، ولا يعني ذلك تقليل الميزانية لمناطق الأطراف، بل رفع ميزانية المدن الرئيسة، وبالخصوص نادي العاصمة الذي يمثل الواجهة الثقافية الأولى للوطن، لضيوف المملكة في المهرجانات والملتقيات الثقافية من خارج المملكة.

نعود لميزانية المليون ريال، وهي الإعانة السنوية المخصصة للأندية. لو كانت تقتصر على الأنشطة والفعاليات الثقافية، لربما كانت مقبولة نوعا ما؛ فهناك عدة بنود أولها رواتب الموظفين، ومكافآت مجالس الإدارة واللجان، ولعل الرواتب تأخذ البند الأكبر من الميزانية؛ خصوصا أن لدى الأندية الأدبية موظفين رسميين من أيام الرئاسة العامة لرعاية

الشباب، ورواتبهم مرتفعة، وتتجاوز المائة ألف ريال شهريا، فأحد الأندية تقاعد لديه موظف رسمي، ووفقا لنظام العمل والعمال يستحق مكافأة نهاية خدمة مقدارها ربع مليون ريال، وهو يمثل ربع ميزانية النادي لسنة واحدة، وبعد مكاتبات مع الوزارة، تم إلزامهم بدفع المبلغ للموظف؛ هذه حالة، وهناك حالات كثيرة للصرف على هذا البند؛ أيضا بند المكافآت الذي يتضمن مكافأة اللجان المختصة حسب ما تضمنته المواد من لائحة الأندية الأدبية.

ومما لا شك فيه أن زيادة الميزانية هو المطلب الأهم للأندية، إذ طرح هذا المطلب من قبل رؤساء الأندية، وفي مقدمتهم معالي وزير الثقافة والإعلام، وذلك عند تشرفهم بلقاء ولي العهد صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز، وبحضور معالي وزير الثقافة والإعلام، واقترحوا رفع الميزانية إلى ثلاثة ملايين ريال، لتغطي جوانب الصرف على الأنشطة والفعاليات في الأندية الأدبية، وخصوصا أن الأندية لديها توجّه للتوسّع في لجان المحافظات، وهي تتطلب ميزانيات إضافية.

ولذا، أقترح هنا عدة توصيات ومقترحات، منها: أهمية دعم وزارة الثقافة والإعلام ممثلة في وكالة الوزارة للشؤون الثقافية، للمهرجانات والملتقيات السنوية الثابتة التي تعقدها الأندية الأدبية؛ وتوحيد الدعم لجميع مهرجانات الأندية في المملكة؛ وتشكيل لجان استثمارية داخل الأندية الأدبية بإشراف من الإدارة المالية، تقوم بتعزيز التواصل مع الغرف التجارية والصناعية داخل المناطق التي توجد فيها الأندية؛ والتواصل مع رجال الأعمال من أجل إيجاد رعاة ودعم للأنشطة والفعاليات الثقافية؛ واستفادة الأندية من مبانيها، بأن تخصص الأندية القائمة والتي ستنشأ مستقبلا مواقع استثمارية داخل هذه المباني، مثل صالات للتأجير لإقامة فعاليات تتقارب مع نشاط النادي، وإنشاء مكاتب وتأجيرها على دور النشر مثلا؛ وضرورة التأكيد على الاستقلال المالي للأندية الأدبية، من خلال البحث عن قنوات ومصادر تحقق إيرادات إضافية لها.

ونظراً لما تتحمله الأندية من مصاريف صيانة وتشغيل تصل إلى ٥٠٪ من الإعانة السنوية، فهناك حاجة إلى أن تقوم وزارة الثقافة والإعلام بطرح مشروع الصيانة والتشغيل والحراسات الأمنية لجميع الأندية في منافسة عامة، وتتولى الوزارة توقيع عقد موحّد عن جميع الأندية، وأهمية استقطاب الرعاة والاستفادة من تجارب بعض الأندية، والبحث عن آلية لتوقيع عقد موحّد مع شركة لتوزيع كتب الأندية الأدبية، والمشاركة بكتب النادي في معارض الكتب.

كما يمكن تحقيق إيرادات من بيع الكتب من خلال عدة قنوات منها:

- إقامة معرض موحّد للكتاب في المدن الرئيسة: الرياض، جدة، الدمام.
- إقامة معرض أسبوعي مع الجامعات الحكومية والأهلية.
- البحث عن إمكانية إيجاد وقف للأندية الأدبية؛ إما من خلال متبرعين، أو شراء وقف موحّد لجميع الأندية بعد دراسة كافة الجوانب المالية والقانونية للموضوع.

ونظرا لأهمية إيجاد مصادر للتمويل وبحث عن الرعاة، تم تأسيس ملتقى المسئولين الماليين بفكرة ومبادرة من كاتب هذا المقال، وعقد اللقاء الأول بنادي الرياض، بحضور عدد من المسئولين الماليين.

الدوريات الأدبية.. مراجعة واقتراح

■ صالح محمد المطيري*

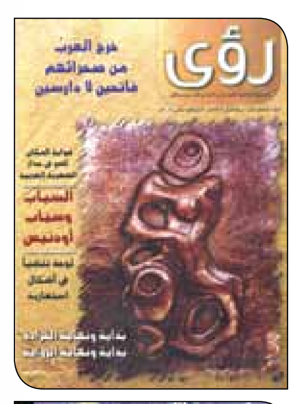
لعله لا أحد يجادل في أن الدوريات والمجلات التي تصدرها الأندية الأدبية تعد من أهم المنافذ التي يعبر خلالها النتاج الثقافي إلى مجتمع القراء. صحيح أن الإصدارات الأخرى؛ كالكتب النقدية، والدواوين الشعرية، والمجموعات القصصية، والروايات.. تشغل حيزا لا بأس به من قناة النشر لأي ناد، إلا أن الدوريات تتميز على الكتب بانتظام صدورها حسب تصنيفها، وتنوّع مادتها، وتعدّد كتّابها، وحداثة محتواها. لذا ما إن حدثت تلك القفزة التاريخية في تشكيل الأندية الأدبية، حتى شرعت تخلخل البنية التقليدية لأنشطة الأندية، وطال هذا التغيير الدوريات التي تصدرها هذه الأندية، صحيح أن معظم هذه الدوريات مثل: (علامات)، و(جذور)، و(الآطام)، و(رؤى)، و(دارين)، و(قوافل)، و(مرافيء)، كانت موجودة قبل إعادة تشكيل مجالس الأندية الأدبية، إلا أنها شهدت تغيّرا ملحوظاً بعد عام ١٤٢٧هـ، شمل تشكيل لجان خاصة تعمل على تحرير كل مجلة ومتابعة إصدارها، كما شمل التغيير أيضا حذف بعض الأسماء التي كانت تترهل بها لوحة التحرير، من غير أن يكون لهم دور ملموس في إصدارها؛ كما بات من الملحوظ أيضا تحسن مستوى الطباعة والإخراج الفني، واستخدام عناصر الإنتاج بالشكل الذي يجذب القارئ إلى الإصدار؛ هذا مع أن المجلة الأدبية ليس من الضروري أن تكون مطعّمة بالأصباغ الشكلية، مثل المجلات التي توضع في واجهة مراكز التسوق والمحال التجارية، أعني تلك المجلات الاستهلاكية المزدانة بالأغلفة السميكة الساطعة مع الصور والعناوين والبهارج الخاطفة؛ لأن للمجلة الأدبية خصوصيةً - في نظري - تقرب أن تكون كخصوصية الدوريات العلمية الرصينة، تلك التي يتابعها الباحثون والمتخصصون كل في مجاله.

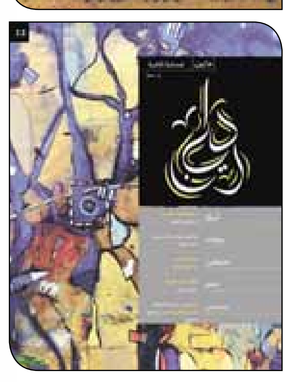
إن الحقيقة التي لا مراء فيها أن المجلة التي يصدرها النادي، هي بمثابة نسغ الحياة له. نعم هناك أنشطة أخرى تمدّ النادي بالحياة أيضا؛ كالأنشطة المنبرية من أمسيات ومحاضرات ومنتديات، إلا أن هذه الأنشطة محصورة طبعا بعامل المكان، أي النطاق المحلي للنادي، ومحصورة أيضا بعامل الزمان، لأن معظمها يُلقى في حينه.. وقد لا يُسجّل، وإذا سُجّل..

فيحفظ للأرشيف فقط، وقد لا ينشر، فتضيع علينا مادة قيّمة، وقد لا يبقى من النشاط المنبري إلا فائدة واحدة، ألا وهي تحريك المياه الراكدة، أي تحريك العقول، وإثارة التفكير، وتحفيز المتلقين، مع بعث الحياة طبعا في مقر النادي وبين رواده. أما المجلات والدوريات.. فتتجاوز قيود المكان والزمان، لأن من طبيعتها أن تصدر وتصل إلى القارئ في أي مكان، وقد تقع في يد القارئ في أي زمان.

ومن هذه الناحية إذاً تبرز أمامنا أهمية الدوريات في الوصول إلى الجمهور على نأي المكان واختلاف الزمان، ولك أخي القارئ أن تتخيل الرواج الذي حققته دورية (علامات النقدية التي يصدرها نادي جدة الأدبي، ووصولها إلى جمهورها من القراء والنقاد والباحثين العرب من المحيط إلى الخليج.

وكما تختلف الأندية في أنشطتها، تختلف أيضاً في دورياتها، فالغالب عليها تلك الدوريات التي يرسل إليها الكاتب بإنتاجه، كأن يكون مقالة نقدية، أو قصة قصيرة، أو قصيدة شعرية، أو مراجعة لأحد الكتب.. الخ، ثم تفحص لجنة التحرير هذه المواد المرسلة فحصا جيداً، وتنشر منها ما يوافق معايير النشر لديها، غير إن هناك من الدوريات الأدبية ما تكون دورية محكمة، مثل الأوعية الأكاديمية، حيث ترسل الأبحاث





المستلمة إلى محكمين من أهل الاختصاص من خارج الدورية، ومن أمثلة هذا النوع دورية (حقول) من نادي الرياض الأدبي، وكذلك دورية (العقيق) المحكّمة التي يصدرها نادي المدينة المنورة الأدبي منذ عام ١٤١٢هـ، والتي أتيح لكاتب هذه السطور العمل في تحريرها على مدى خمس سنين، ورغم أن هذه الدوريات الأدبية المحكمة قليلة حقا بالقياس إلى الدوريات العامة، إلا أنها تسد ثغرة، أو بالأحرى تسعف في الحاجة الماسة التي يجدها الأكاديميون عندما تعوزهم أوعية النشر المحكمة، التي تمكث في بعضها الأبحاث فترة طويلة من التربص والترقب والانتظار، قد تصل إلى عام كامل ليتم تحكيم البحث، ثم إذا حظي بالقبول، قد يترقب عاما آخر ليأتيه دوره في النشر! وهذا والله ما تضيع فيه الأعمار، ولذلك يكتفي غالب الباحثين بورقة قبول البحث.. ويعتبرونها نهاية المطاف، أما متى يظهر البحث بين دفتي المجلة فذلك في رحم الأيام.

وتعاني دوريات الأندية الأدبية من مشكلة تؤرق تفكير القائمين عليها والقراء على حد سواء، ألا وهي مشكلة التوزيع، وهي مشكلة عويصة مستعصية والحق يقال، وبعض الأندية يعاني منها منذ علقت تمائمه، والوضع القائم الآن أن النادي الأدبي، اللهم ماعدا نادٍ واحد، هو الذي يقوم بتوزيع دورياته عن طريق القائمة البريدية التي لديه،

وتضم هذه القائمة طبعا أسماء يأتيها سيل عرم من المجلات والكتب من كل مكان، فلا تدري ما تقرا وما تدع، أما القارئ العام فلا يجد المجلة الأدبية مع الصحف والمجلات في نقاط البيع ومنافذ التسوق والمكتبات، ولا تحين الفرصة له للاطلاع على دوريات الأندية، إلا إذا قدر له زيارة مقر النادي بنفسه أو رؤيتها في جناح وزارة الثقافة في معارض الكتب.

من هنا تبزغ أمامنا ضرورة ملحة لعلاج مشكلة التوزيع، فكيف تصل المجلة إلى قرائها وهي مقصوصة الجناح، أي بلا توزيع؟! صحيح إن بعض الدوريات حاول علاج هذه المشكلة عن طريق التعاقد مع مكتبات محلية في بعض المدن، إلا أن هذا التوزيع وإن كان أفضل من لا شيء، إلا أنه لا يصل إلى الأماكن التي تصلها الصحف والمجلات في الأسواق والمراكز والمكتبات، والأماكن العامة كالمطارات مثلا، حيث تستهدف المجلات قرابة نصف جمهورها هناك، كما أن معظم الدوريات لا تجدها في المكتبات التي تبيع الكتب والصحف والمجلات.

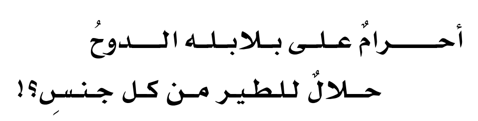




في السابق كان البريد يقوم بكل شيء في توزيع الصحف والمجلات والكتب، فهو الذي كان يحملها في رحاله، ولعلنا نتذكر أنه قبل قرابة قرن من الزمان، كانت صحف الأخبار تنتقل بين البلدان بالبريد، ألم يقل أحمد شوقي عن فاجعة دمشق عام ١٩٢٠م عندما دكّت أحياءها مدفعية الفرنسيين:

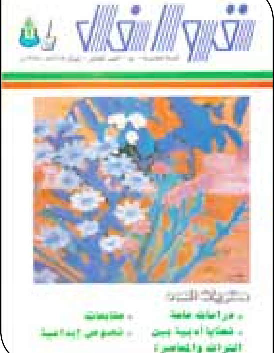
يفصّلها على الدنيا بريدٌ..
ويُجملها على الآفاق برقُ

فالبريد يومها كان يحمل صحف سوريا إلى مصر، ويأخذ معه صحف مصر إلى سوريا بالمقابل. لكن الوضع تغير طبعا منذ عقود، وأصبحت هناك شركات ومؤسسات تختص بتوزيع الصحف والدوريات والمطبوعات، وإيصالها إلى أماكنها المقسومة لها، وأحسب أن لدينا شركتين أو ثلاثا للتوزيع في المملكة، لديهم أسطول توزيع يصل إلى معظم المدن في المملكة، وهذه الشركات الوطنية توزع الصحف والمجلات التي تصدر في البلاد، كما توزع صحفا ومجلاتٍ تصدر من خارج البلاد على اختلاف ألوانها وأنواعها، لكن يبدو أن شركات التوزيع هذه ظلت «تتمنع» أمام إصدارات الأندية من كتب ومجلات ودوريات، رغم أن مطبوعات الأندية تعتبر «منتجاً وطنياً»، بينما هي للأسف تفتح ذراعيها لتوزيع مجلات ومطبوعات تصدر من الخارج، ما يحيلنا مرة أخرى إلى أحمد شوقي لنتساءل معه بكل أسف:



أحرامٌ على بلابله الدوحُ
حلالٌ للطير من كل جنسِ؟!

وهكذا أخفقت الأندية في توزيع دورياتها عبر شركات التوزيع، لكنا نقول: إن لم يصبها وابل فطل، حيث نجحت الأندية في توزيع نصف الكتب على الأقل، وانتشلتها من وهدة التخزين بواسطة التعاقد مع دور نشر من خارج البلاد في لبنان ومصر والمغرب، إلا أن غالب الدوريات ما يزال يوزع من خلال جهود النادي المحدودة والقاصرة، وبعض الأعداد لا يزال يقبع في (كرتون) بالمطبعة منذ صدوره، وقد اطمأنّ به المقام في المستودع، إلى أن يكتب له أن يخرج إلى النور.



وقد يقول بعضهم إن هذا الإخفاق يرجع إلى سوء التنسيق من جانب الأندية مع شركات التوزيع، إلا أن التجربة خير برهان كما يقول المسوِّقون، فكل مَن تولى مسؤولية في تحرير هذه المجلات، ومنهم كاتب هذه السطور، يؤكد تنصّل الشركات من توزيع مجلات الأندية وقبولها؛ بل يؤكد أيضا تحاشي المكتبات الكبرى وتجافيها عن احتواء مطبوعات الأندية، فقد قمت بالاتصال الرسمي والشخصي بمكتبتين كبريتين لاستيعاب مطبوعات النادي الأدبي ودورياته على أرفف المكتبة، وتم التنسيق غير مرة مع إدارة التسويق في كل مكتبة.. فجاء الرد بالاعتذار. وفي هذا الصدد يقول الشاعر عبدالله السفر عن تجربته في مجلة (دارين)، مع معضلة التوزيع: أتذكّر معاناة البحث عن موزّع يرضى، وله الأجر، أن تكون مجلتنا «دارين» مشمولة برحمة المثول فوق حوامل تثقلها مثيلاتها من عشرات المجلات، ثقيلة الوزن غارقة في الألوان وجاذبية الغلاف وخفّة المحتوى إلا فيما ندر، ولكم أن تتصوروا مقدار الخيبة ونحن نرتطم باعتذار مكتبة محلية كبرى، لها أفرع وأذرع في أغلب مدننا، وتمتد على ضفاف الخليج: «لا مكان لدينا لمجلتكم».. (صحيفة اليوم ٢٨/٥/١٤٣٥هـ).

وفي هذا السياق أيضا، يقول الناقد حسين بافقيه -وقد عمل فترة في تحرير (جذور): «إن التوزيع لدى هذه الأندية غير مرضٍ للغاية، وقد يكون معدوماً، فمن أجل أن تحصل على مجلة، لا بد أن تتعب وتتكبّد المشقة، وأن تكون لديك علاقة بأحد أعضاء الأندية» (صحيفة الحياة ٢١/١٢/١٤٣٣هـ).

طبعا كل شركات التوزيع، وكل المكتبات أيضا يسيّرها منطق السوق، وتتحكم بها كميات البيع والتصريف من كل مطبوعة، فالمطبوعة التي لا تحقق الحدّ الأدنى من البيع، تصبح عبئًا على الشركة أو المكتبة، ويبدو أن دوريات الأندية التي قُدر لها ذات مرة أن تحملها سيارات التوزيع.. لم تحقق البيع المطلوب، ولم تنجح في جذب يد المشتري إليها، (أو بالأحرى جيبه)، عندما يراها في المكتبة، أو السوق، أو في ركن الصحف في المحل القريب منه، ونجَم عن ذلك بطبيعة

الحال تراكم النسخ المرتجعة لدى شركة التوزيع، فكان أن تنصّلت الشركات من توزيع دوريات الأندية.

هذه النكسة التسويقية -إن صح التعبير- جعلت القائمين على هذه الدوريات يعيدون النظر في شكل المجلة وإخراجها الفني. فهل شكل المجلة، أو بالأحرى وجهها لا يشجّع القراء على اصطحابها؟ رغم أن الدورية الأدبية كما ألمحت أعلاه، ليس من شرطها أن تكون مثل المجلات الأخرى؛ لأنها تعتمد على مادة من النصوص في الدرجة الأولى، وتعوّل على متعة القراءة ودهشة الانفعال مع النص، أكثر مما تعول على البهرجة والزخرفة؛ ولكن بعض الدوريات -على أي حال- أذعن لمنطق التسويق وشروطه، فخرجت أعدادها الجديدة في حلّة قشيبة، وغلاف صقيل، يزدهي بالصور والعناوين والألوان، كما هي الحال في مجلة (الآطام) من نادي المدينة الأدبي، التي تحولت من هيئة كتاب إلى شكل المجلة العامة بغلافها وتصميمها.. بل ومحتواها أيضا، وكذلك مجلة (ضفاف) من نادي تبوك الأدبي، و(مرافئ) من نادي جازان، ومجلة (قوافل) من نادي الرياض، وغيرها، رغم ما يعترض هذه الدوريات من عدم الانتظام في الصدور أحيانا.

ولكن رغم هذه التحسينات في الشكل والمحتوى، إلا أن مجلات الأندية ما تزال تعاني





من عسر في التوزيع، أي ثمة وفرة في الإنتاج وسوء في التوزيع، فهي ما تزال غائبة عن رفّ الصحف والمجلات، ذلك الرفّ المكتنز بمجلات قادمة من شتى الآفاق. ولمّا تزل هذه المشكلة تقضّ مضجع لجان التحرير في الأندية الأدبية، وإزاء هذه الحال أرى من المناسب أن ننظر في الاقتراح الآتي، علّنا نأخذ به.

يتلخص الاقتراح في تأسيس هيئة أو شركة تحت مظلة وزارة الثقافة، يكون نشاطها الحصري توزيع مطبوعات الأندية الأدبية ودورياتها وتسويقها، لاسيما أننا نشهد الآن طفرة طاغية في النتاج الأدبي.. في الشعر، والقصة، والرواية، والمسرحية، والنقد، والترجمة، والدراسات، والمراجعات الأدبية، حتى لقد أصبح كل ناد أدبي بمثابة دار نشر مستقلة، فإذا علمنا توجّهَ الوزارة نحو إعادة هيكلة وكالاتها المختلفة- مثل إنشاء هيئة الإذاعة والتلفزيون- لرأينا إمكانية تأسيس هيئة خاصة للتوزيع على هذا النسق، وإذا كنا سنأخذ وقتا طويلا حتى نحصل على مثل هذه الهيئة، فلا أقل إذاً من أن تتعاقد الوزارة، كما في شؤونها الأخرى- مع شركةٍ مّا لتوزيع مطبوعات الأندية ومطبوعات الوزارة، خاصة وأن مستودعات الوزارة في كل مدينة غدت تعجّ بركام الكتب، التي تنتظر فرصتها على أحر من الجمر لتصل إلى القارئ العام أينما كان، ومتى كان. والله الموفق في كل الأحوال.

الملتقيات الأدبية للأندية ودورها الثقافي

■ شيمة الشمري - أديبة وأكاديمية

باتت الملتقيات الأدبية موضة تتسابق الأندية إلى إقامتها، ومع تجدّد المجالس ومضي الزمن.. ما تزال هذه الملتقيات تقام، بالنمط نفسه، وبالوجوه ذاتها، إلا ما شاء الله؛ وهي إشارة جميلة تدلّ على نشاط فكري وإبداعي ونقدي، بل إنها لتصبح ذات بعدٍ مهم، إذا أسهمت في التأسيس العلمي، والمتابعة النقدية لمشهدنا الأدبي الحافل.

ولن يخفَ على المتابع الفوائد التي تتمخض عنها الملتقيات التي تقيمها الأندية الأدبية؛ فهي تبثّ دماء جديدة، وتشعل همّة المثقف، وتحرّك الراكد، وتمنح الجميع مبدعين ونقادا اللقاء، وفتح مجالات النقاش والإضافة..

كما تجدر الإشارة إلى الأعمال والإسهامات التي قدّمتها بعض الأندية، من خلال طباعة أعمال هذه الندوات ونشرها، وفي نادي الباحة الأدبي ونادي جدة الأدبي خير مثال، ولهما السبق، ويسجل لهما ذلك..

بيد أن هناك نقاطا مهمة لابد من سوقها لهذه الملتقيات، لتكون الفائدة أشمل، وربما كان من المهم الإشارة إليها؛ فلا بد من الاستماع إلى النقد الموجّه إليها، والأخذ بآراء الآخرين من مشاركين ومطلعين، لتصل في كل مرة إلى مستوى أفضل من سابقه. أما المضيّ على طريقة ووتيرة واحدة، ومع الأسماء نفسها التي تشغل كل حيز مع فراغها! وحتى لو كانت تملك الكثير.. فهو ينضب من كثرة تكراره، وبهذا الشكل لا يجد المتلقي والأديب ما يغريه بالحضور، لأنه يعرف مسبقا ما لدى هذا وتلك وانتهى الأمر، إذ تفتقر أغلب الملتقيات لدينا إلى التجديد؛ بدءا من عناوين الملتقيات. وربما يُلاحظ، مثلا، أن فنّا من الفنون الأدبية يتكرر في عدد من الأندية، ولا ضير إذا كانت العناوين جديدة، لكنها أحيانا تكون أشكالا جديدة لمضامين مكررة، وأعتقد أن التكرار في الأسماء إشكال كبير، سواء من داخل المملكة أم من خارجها، كما أني أعتقد أن وجود لجان علمية تفحص ما يقدم قبل تقديمه، بعيدا عن المجاملة.. سيسهم في إيقاف الأوراق التي تقول لا شيء، سوى المعاد المكرور في أغلب نقاشاتها! كما أن الحضور من ضيوف الشرف يتكرر دائما، وهم يُدعَون مجاملة، لا أظنها تليق أبدا، وخاصة أن مجموعة كبيرة منهم في بعض الملتقيات ليس لها أي مشاركة ومداخلة في النقاش، ولا تسمع لها شيئا من إضافة أو اعتراض أو تصحيح!

كما أنه يلحظ على هذه الملتقيات سمة غالبة على ملتقياتنا الداخلية التي شهدتها، وهي ضيق الوقت المتاح للباحث أو الناقد ليتم ورقته، التي أكاد أجزم أن إعدادها أخذ من وقته وجهده الكثير، ثم يتكبد عناء السفر والحضور، ويطلب منه أن ينهي ورقته في عشر دقائق! ولنا أن نتخيّل الكلمات المتقاطعة التي قد نسمعها من بعضهم في حين تبتر فكرة آخر، وهناك من يعطيك رؤوس أقلام لما كتب! والحضور ما بين مدرك ومستعصٍ عليه الفهم، وهذا فيه هدر للجهد واستخفاف بالمتلقي، وظلم للعلم والمعرفة، فلم لا نقلّص عدد المشاركين لإعطائهم وقتا أطول، ثم يعطى الحضور فرصة للحوار والنقاش في مدة كافية، أما (سلق البيض) الذي يتم في كثير من الأحيان من خلال الترضية للحضور بدقائق هنا وهناك، فهذا عبث لا يليق! فلنحفظ ملتقياتنا عن هذا الترف المالي والعلمي، ولنقم ملتقيات بأسماء منوعة، لها حضورها، ولها عملها المحكم، ولنتح الوقت للجميع، وإلا فسنظل نسير على الطريق ذاته!

جوائز الأندية الأدبية



■ د. عبدالله الحيدري
رئيس مجلس إدارة النادي الأدبي بالرياض

أُسست أوائل الأندية الأدبية في عام ١٣٩٥هـ، وأُسست أواخرها عام ١٤٢٨هـ، وتبلغ حالياً ستة عشر نادياً، تتوزع في مناطق المملكة المختلفة ومحافظاتها.

ولا يمكن لأي منصف راصدٍ للحركة الأدبية والثقافية في المملكة أن ينكر أثرها وأهميتها وحراكها، وبخاصة مع بلوغها شد الرشد، واحتفال بعضها بمرور أربعين عاماً على تأسيسها.

وقد نصّت لائحة الأندية الأدبية في نسختها القديمة الصادرة إبّان نشأتها عندما كانت تابعة للرئاسة العامة لرعاية الشباب، وفي اللائحة الحالية الصادرة عن وزارة الثقافة والإعلام عام ١٤٣١هـ، على أهمية أن تنهض الأندية الأدبية بعقد المسابقات ورصد الجوائز للأعمال الإبداعية[١].

ومن هنا، ظهرت فكرة إنشاء جوائز في الأندية الأدبية، تتجاوز المسابقات المرتبطة بتشجيع الشباب، وتتوجّه إلى تحفيز الأدباء والمثقفين والمؤلفين، وتُرصد لها جوائز مالية عالية تمنح للشخص الواحد، أو مناصفة.

ومع تعدّد الجوائز وحضورها في أكثر من نادٍ، فإنها لم تحظ بالتوثيق والتأريخ لنشأتها ومسيرتها، ومراجعة لأنظمتها ولوائحها. وكل المراجع التي صدرت في هذا السياق اهتمت بالجوائز المحلية أو العربية القديمة؛ ولربما كان السبب تقصير الأندية الأدبية نفسها في توثيق أعمالها في كتب ومراجع[٢]، وحداثة نشأة معظمها.

ويمكن تحديد الأندية الأدبية التي تتبنى جوائز ثقافية بالأندية التالية:

١. نادي جدة الأدبي الثقافي
٢. نادي الرياض الأدبي.
٣. نادي حائل الأدبي.
٤. نادي الطائف الأدبي.
٥. نادي الباحة الأدبي.
٦. نادي مكة الثقافي الأدبي
٧. نادي القصيم الأدبي.

وفي الجدول التالي بيان بجوائز الأندية الأدبية وتواريخ نشأتها والممولين لها:

اسم الجائزة	النادي	تاريخ إنشائها	المموّل	ملحوظات
جائزة الإبداع	جدة	١٤٢٠هـ	النادي	توقفت بعد الدورة الثانية. وقد حصلت عليها رجاء عالم في الدورة الأولى، ومحمد الثبيتي في الدورة الثانية.
جائزة الدراسات والبحوث الخاصة بالأدب السعودي	الرياض	١٤٢٥هـ	النادي	توقفت بعد الدورة الأولى. وقد حصل عليها د.عبدالله الفيفي ود.فاطمة الوهيبي (مناصفة)، وطبعت بحوثهما في كتابين عام ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
جائزة كتاب العام	الرياض	١٤٢٩هـ	بنك الرياض	حصلت الكتب التالية على الجائزة، وهي: ١. باب السلام في المسجد الحرام ودور مكتباته في النهضة العلمية والأدبية الحديثة، للدكتور عبدالوهاب أبو سليمان (الدورة الأولى). ٢. كتب الرحلات في المغرب الأقصى من مصادر تاريخ الحجاز، د. عواطف نوّاب، وحكاية الصبي الذي رأى النوم، لعدي الحربش (الدورة الثانية، مناصفة). ٣. معجم الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة للشيخ محمد العبودي، (الدورة الثالثة). ٤. ما يعوّل عليه في المضاف والمضاف إليه للمحبي، تحقيق د.سعود الحسين ود. عبدالعزيز العقيل، (الدورة الرابعة). ٥. مقاربات حواريّة للدكتور معجب الزهراني، (الدورة الخامسة). ٦. تاريخ أُمّة في سير أئمّة للشيخ صالح بن حميد، (الدورة السادسة).
جائزة حائل للرواية السعودية	حائل	١٤٣٠هـ	أمير منطقة حائل، والنادي، ورجال الأعمال	تحوّل اسمها فيما بعد إلى «جائزة الأمير سعود بن عبدالمحسن للرواية السعودية». وقد حصل على المركز الأول في الدورة الأولى محمد الرطيّان، وعلى المركز الأول في الدورة الثانية ماجد الجارد.
جائزة نادي الباحة الأدبي الثقافية	الباحة	١٤٣١هـ	النادي	فاز بالجائزة الأولى د.عبدالرحمن المحسني، وبالجائزة الثالثة د.محمد بن عبدالله الشدوي، وحجبت الجائزتان: الثانية والرابعة.
جائزة محمد حسن عوّاد للإبداع	جدة	١٤٣٢هـ	أحمد محمد باديب	حصل عليها الشاعر عبدالله الزيد في الدورة الأولى، والشاعر عبدالله الصيخان في الدورة الثانية.
جائزة أدبي جدة الإبداعية في الدراسات الأدبية والنقدية	جدة	١٤٣٣هـ	أحمد محمد باديب	حصل عليها الدكتور أحمد العدواني عن كتابه «بداية النص الروائي: مقاربة لآليات تشكّل الدلالة» الصادر عن النادي الأدبي بالرياض.
جائزة نادي مكة الثقافي الأدبي	مكة	١٤٣٤هـ		حجبت الجائزة في الدورة الأولى
جائزة الشاعر محمد الثبيتي للإبداع	الطائف	١٤٣٤هـ		نتيجة الدورة الأولى: فاز بالفرع الأول الشاعر علي الدميني، وبالفرع الثاني الشاعر المصري أحمد حسن محمد، وبالفرع الثالث الدكتور طارق شلبي.
جائزة امرئ القيس للإبداع الشعري	القصيم	١٤٣٥هـ	أحمد محمد باديب	
جائزة التميّز النسائي	القصيم	١٤٣٥هـ	بنك الرياض	

وفي ظنّي أن من أهم الأسباب التي دعت الأندية الأدبية إلى إنشاء جوائز أدبية وثقافية.. هو صعوبة الحصول على جائزة الملك فيصل العالمية في مجال الأدب واللغة العربية، إذ لم يفز بها من السعوديين طوال أربعين عاماً سوى ثلاثة، وهم: الشيخ حمد الجاسر، ود.منصور الحازمي، ود.عبدالعزيز المانع.

ومن الأسباب المهمة، توقف جائزة الدولة التقديرية في الأدب بعد دورتين فقط عام ١٤٠٥هـ، وفشل محاولة إعادتها إلى الوجود عام ١٤٢٩هـ، إذ لم يتم شيء منذ الإعلان عن ذلك(٣).

ومن الملاحظ، تقارب تواريخ نشأة جميع الجوائز، وارتباط معظمها بمموّل من القطاع الخاص، وعناية الأكثرية منها بالإبداع.

وبعد الاطلاع على شروط جوائز الأندية الأدبية، اتضح أن خمساً منها اشترطت أن يكون المتقدم لها سعودي الجنسية، في حين أتاحت جائزتا: محمد الثبيتي وامرئ القيس في ناديي: الطائف والقصيم مجالاً للمبدعين والباحثين العرب.

ولكل من هؤلاء وأولئك فلسفة ورؤية، فالذين اشترطوا أن يكون المبدع أو الباحث سعودياً.. نظروا إلى لائحة الأندية التي تحثّ على خدمة المنطقة التي يقع في إطارها النادي بشكل خاص، وخدمة الأدب في المملكة بشكل عام(٤)، وأن الأديب السعودي هو الأحق بالاهتمام والتحفيز؛ لأن معظم الجوائز المحلية في العالم تتجه إلى خدمة الأدباء في الدولة مقر الجائزة، ولا يحق لغيرهم الحصول عليها، باستثناء الجوائز ذات الصبغة العالمية.

أما مَن رأوا فتح المجال للمبدعين والباحثين السعوديين وغيرهم من العرب، فأرادوا لفت الانتباه إلى مؤسساتنا الثقافية وحراكها، وإلى إشراك الباحثين العرب مع السعوديين في دراسة الأدب في المملكة.





وتنـوّعت مـجـالات كل جـائـزة، فبعضها حدّد مجالها في الشعر مثل: جائزة محمد حسن عـوّاد، وجائزة الشاعر محمد الثبيتي بنـادي الطائف في بعض فروعها، وبعضها عُني بالبحوث والـدراسـات الأدبـيـة، ومنها: جائزة الدراسات والبحوث الخاصة بالأدب السعودي بنادي الرياض، وجائزة أدبي جدة الإبداعية في الدراسات الأدبيـة والنقدية، وجـائـزة الثبيتي، وجـائـزة نـادي الباحة، في حين تخصصت جائزة نـادي حائل بالرواية السعودية.

أمـا جـائـزة كـتـاب الـعـام بـنـادي الرياض الأدبي فقد عُنيت بالكتاب السعودي، أياً كان مجاله، في حين أن جائزة نادي مكة جديدة (١٤٣٤هـ) ولـم تتضح الصورة تماماً حول رؤيتها، إذ خُصصت الـدورة الأولـى لتكون في مجال الدراسات التاريخية والحضارية المتعلقة بمكة المكرمة، ولا ندري عن الدورات القادمة، هل تقتصر على ما يتعلق بتاريخ مكة المكرمة وجغرافيتها وأدبها، أم تتسع الدائرة فيما بعد، فتشمل مناطق المملكة المختلفة؟

وتضمنت شروط الجوائز بشكل عام قدراً من الحياد والموضوعية، بحيث اشترطت ألا يكون المرشّح من أعضاء مجلس إدارة النادي، أو من هيئة الجائزة، وهذه زاوية مهمة، إذ قد يتطلع إليها بعض العاملين في الأندية أو من أعضاء لجان التحكيم، فتفقد سمعتها ويعزف عن المشاركة فيها الآخرون من خارج الأندية الأدبية.

وثمّة أسباب لتوقف جائزتي الإبـداع في نـادي جـدة، وجـائـزة الـدراسـات والبـحـوث الخاصة بـالأدب السعودي بنادي الرياض، فالأستاذ محمد علي قدس يروي سبب توقّف جائزة الإبداع في نادي جدة الأدبي الثقافي

فيقول: «أثيرت حول الجائزة شكوك أدت إلى حجب الجائزة، ومن ثم توقّفها، وهذا يعني أن آليات إدارة هذا النوع من الجوائز تحتاج إلى تنظيم ودعم ومتابعة»[٥].

أما جائزة الدراسات والبحوث الخاصة بالأدب السعودي، فقد أنشأها رئيس مجلس إدارة نادي الرياض الأدبي السابق الدكتور محمد الربيّع عام ١٤٢٥هـ، وخرج من النادي عام ١٤٢٦هـ، فرأى مجلس الإدارة إيقافها وإنشاء جائزة جديدة باسم «جائزة كتاب العام»، وعن ذلك يقول الدكتور الربيّع: «من أهم النشاطات التي تمت إنشاء جائزة خاصة بالأدب السعودي، وتتكون من فرعين: الأول: للبحوث والدراسات، والثاني: للإبداع الأدبي. وقد توقفت تلك الجائزة، أو بتعبير أدق تم تغيير موضوعها وأصبح يُطلق عليها (كتاب العام)، وكم كنت أتمنى أن تستمر الجائزة مخصّصة للأدب السعودي؛ لكن الزملاء في المجلس الجديد لإدارة النادي لهم رأي واجتهاد آخر»[٦].

ومع أن هذه الجوائز وُجدت لخدمة المبدع والباحث السعودي في المقام الأول، فإنها لم تخل من نقد وملحوظات قد تتجه إلى القسوة والتحامل في كثير من الآراء والنقود التي وجّهت إليها، ومن ذلك: تجاهل جائزة كتاب العام بنادي الرياض لعطاءات الشباب، ومنحها لكبار المؤلفين والباحثين فقط، في حين أن جائزة الدورة الثانية عام ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م منحت لشابين، وهما: عدي الحربش، ود.عواطف نوّاب[٧]؛ واتهام جائزة الشاعر محمد الثبيتي للإبداع بأنها تهمّش المبدعين السعوديين وتمنح الجائزة لشاعرين عربيين مغمورين[٨]؛ ومهاجمة جائزة التميّز النسائي التي أعلن عنها نادي القصيم الأدبي بحجة أنها جاءت لعزل المرأة أدبياً[٩].

ولست أشكّ في أن دوافع بعض الآراء السلبية تجاه جوائز الأندية الأدبية شخصية.. إذ ربما كان يتطلع لنيلها، وعندما تذهب إلى آخرين يأخذ منه الغضب كل مأخذ!

وأخيراً، أضع بين يدي القائمين على الجوائز في الأندية الأدبية بعض الرؤى والمقترحات؛ لعلها تحظى بمناقشة في مجالس الإدارة، ومنها:

١. جودة التخطيط للجائزة، ووضوح الأهداف، وضمان التمويل، هي أسس مهمة تكفل نجاحها واستمرارها مع تغيّر مجالس إدارة النادي.

٢. لضمان استمرار جوائز الأندية الأدبية ونجاحها، أرى ضرورة وجود مجلس تنسيقي في الأندية التي تتبنى جوائز؛ لتطوير أداء الجوائز؛ ومراجعة الشروط والضوابط، ويمكن انعقاده دورياً بين الأندية.

٣. من المهم توثيق كل جائزة من حيث النشأة والأهداف واللوائح، وما طرأ عليها من تغيير، ورصد أسماء جميع الأدباء والمثقفين الذين حصلوا عليها، وطباعة ذلك في كتاب، ومن ثم تحديث معلوماته كل عام.

٤. من الأهمية بمكان تحديد رقم لكل دورة من دورات الجائزة، مقرونة بالتاريخين: الهجري والميلادي؛ كي يسهل معرفة المعلومة وتسلسل الفائزين دورة بعد أخرى.

٥. أرى أهمية استحداث جوائز خاصة بالأدباء الشباب؛ حفزاً لهم، وتشجيعاً لهم على

التجويد في الأعمال الإبداعية والبحثية.

٦. أقترح تنويع المحكّمين في كل دورة من دورات الجائزة؛ لضخّ أفكار جديدة، وكسر نمطية الجائزة، وإشراك أكبر عدد من القادرين في الوسط الثقافي؛ للاقتراب من المؤسسة الثقافية والوقوف على جوانب من عملها وجهودها.

وبعد، فالشكر لمجلة (الجوبة)، ولرئيس التحرير الزميل الأستاذ إبراهيم الحميد (رئيس نادي الجوف الأدبي سابقاً)، ولزملائه من أسرة التحرير على تخصيص هذا العدد من المجلة لتقويم عمل الأندية الأدبية وعطائها، ورصد أثرها، في وقت تحتفل ستة منها بمرور أربعين عاماً على إنشائها، ولست أشكّ في أن هذا العدد الخاص من المجلة سيكون مرجعاً مهماً للباحثين والدارسين الذين سيتصدون مستقبلاً لكتابة بحوث أكاديمية عالية عن الأندية الأدبية.

مراجع البحث

أولاً: الكتب:

١. جائزة كتاب العام: خمس سنوات من النجاح، الطبعة الأولى، الرياض: النادي الأدبي، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

٢. قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

٣. محمد الربيّع: العالم والإداري والإنسان، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

ثانياً: الدوريات:

١. جريدة الجزيرة، ع١٣٨٢١، ٢شعبان١٤٣١هـ (١أغسطس ٢٠١٠م).

٢. جريدة الحياة، ١٤٣٥/٤/٢هـ (٢٠١٤/٢/٢م).

٣. جريدة مكة، ١٤٣٥/٧/١٧هـ (١٧مايو٢٠١٤م).

٤. المجلة الثقافية (تصدر عن جريدة الجزيرة)، ع٣٣٠، ١٤٣٢/٢/١٦هـ (٢٠١١/١/٢٠م).

---

(١) خصّص قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية مداخل تعريفيّة بجميع الأندية الأدبية، (ينظر: القاموس، الطبعة الأولى، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ٣/١٦٥٣-١٦٩١).

(٢) انظر المادتين: الرابعة والخامسة من لائحة الأندية الأدبية، وزارة الثقافة والإعلام، ١٤٣١هـ. (موقع النادي الأدبي بالرياض http://www.adabiriyadh.com/page.php?page_id=7)

(٣) أصدر النادي الأدبي بالرياض كتاباً يوثّق مسيرة خمسة أعوام من جائزته التي يدعمها بنك الرياض، وعنوان الكتاب «جائزة كتاب العام: خمس سنوات من النجاح (١٤٢٩-١٤٣٣هـ)»، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

(٤) لمزيد من المعلومات عن الجائزة، ينظر: قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية، ١/٢٠٤.

(٤) ورد في المادة الرابعة من اللائحة ضمن أهداف الأندية: «إبراز واقع وتاريخ المنطقة الأدبي والثقافي بخاصة والمملكة بعامة»، (موقع النادي الأدبي بالرياض http://www.adabiriyadh.com/page.php?page_id=7)

(٥) انظر: المجلة الثقافية (تصدر عن جريدة الجزيرة)، ع٣٣٠، ١٤٣٢/٢/١٦هـ.

(٦) انظر: جريدة الجزيرة، ع١٣٨٢١، ٢ شعبان ١٤٣١هـ (١ أغسطس ٢٠١٠م)، وانظر كذلك: محمد الربيّع العالم والإداري والإنسان، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص١٥٢.

(٧) انظر: جائزة كتاب العام: خمس سنوات من النجاح، ص٢٩.

(٨) انظر: جريدة الحياة، ١٤٣٥/٤/٢هـ (٢٠١٤/٢/٢م).

(٩) انظر: جريدة مكة، ١٤٣٥/٧/١٧هـ (١٧مايو٢٠١٤م).

المرأة في الأندية الأدبية

■ رباب حسين النمر

المرأة السعودية طاقة خلّاقة، وفكر منتج، وشمس متوهّجة. فتقت نسيج الشرنقة الملتفّ حولها، وبدأت تمارس حقها في المشاركة وصنع القرار على الساحة الاجتماعية والعلمية والفكرية والثقافية، عندما ارتقى مستواها ونالت حظها من الثقافة والتعليم.

ولم تكن المرأة هملاً في اعتبار الدولة التي نظرت إليها بعين الاهتمام في كافة المجالات الحياتية والاجتماعية، ولا سيما الحياتين: الفكرية والثقافية.

ومن هنا، سهلت الدولة انخراط المرأة في العمل الثقافي والفكري، من خلال عضويتها في المجالس العمومية بالأندية الأدبية، ومن خلال إعطائها حق الترشّح والتصويت في مجالس إدارات الأندية؛ لكون هذه الأندية هي الواجهة الأمامية التي تمثل طبقة المثقفين في المجتمع السعودي.

ومن هذا المنطلق، تكوّنت اللجان النسائية في الأندية الأدبية بالمملكة، منذ عدة أعوام، ليفتح المجال أمام المرأة المثقفة في ممارسة العمل الثقافي والإعداد له. ولكن ما تزال علامات الاستفهام تراود المهتمين بالشأن الثقافي عن مدى فاعلية هذه اللجان في اتخاذ القرارات، وفي التخطيط لما تقدمه الأندية الأدبية من برامج، وعن دورها، ومكانها الحقيقي في فضاءات الأندية الأدبية..

يشكو كثير من المثقفات تهميش المرأة في الأندية الأدبية، وأن دورها في النادي لا يتجاوز كونها أداة لتنفيذ القرارات التي يتخذها الرجال، كما تشكو من إقصائها عن المشاركة في التخطيط واتخاذ القرار والاقتراحات، ولو حدث أن شاركت.. فإن مجلس الإدارة يشعرها بأن هذه المشاركة تعد تفضّلاً منه وليس حقا طبيعياً لها.

ولا تستطيع المرأة المثقفة المنتمية للجنة أن تقدم شيئاً ذا بال في الحركة الثقافية النسائية، إلا تحت وصاية النادي الأدبي الممثلة بالرجل. وما تقدمه المرأة من أنشطة ثقافية كالأمسيات القصصية والشعرية، والدورات، وورش العمل، ليس سوى اجتهادات فردية من عضوات اللجنة النسائية.. لا تواكب متطلبات المثقفات اللواتي على اللجنة أن تستقطبهن في كل منطقة، وأن تعمل على تنمية مواهبهن وتطويرها، وتفعيلها في المجتمع بشكل نافع.

ولو فكّرنا في واقع الأمر.. فما الذي تنوي المرأة فِعله مع العمل النمطي الذي تسير عليه الأندية الأدبية، من حيث تعاقب الأدوار بين إقامة الأمسيات القصصية والشعرية

والمحاضرات؟!

وتنقل بعض المثقفات أن الرجال في مجالس إدارة الأندية يتشاورون ويتخذون القرارات، ومن ثم يخبرون اللجنة النسائية بما تم الاتفاق عليه، وليس لها إلا أن تبارك وتسهم في تنفيذه، ولا يعدو دورها عن المطالبة بتحسين بعض الشروط ليس إلا. ومن هنا، فليس للمرأة دور في مسرح القرارات والإدارة سوى كرسي المتفرج.

وهناك معوقات تقف حجر عثرة في طريق عمل اللجنة النسائية في النادي بكفاءة وفاعلية، من أهمها: عدم الاهتمام بما تقدمه اللجنة من مقترحات أو اختيارات، إذ إن أعضاء مجلس إدارة الأندية من الرجال هم الذين يتخذون القرار الحاسم؛ وبعض هذه المجالس لا يمنح اللجنة النسائية حق المشاركة؛ وبعضها يمارس البيروقراطية، ويتخذ منها ذريعة لتهميش دور اللجان النسائية.

ولو تنازل الرجال عن ممارسة دور الوصاية على النساء، ولو ابتعدوا عن احتكار السلطة الذاتية، ولو أتاحوا لها الفرصة للإبداع، لاستطاعت المرأة أن تحقق كثيرا من طموحاتها؛ إضافة إلى ذلك، لا بد أن تكون المرأة متفرّغة نوعًا ما لأنشطة النادي، ولا بد أن تكون ذات شخصية قوية تمتاز بالإبداع والتجديد في الأفكار والرؤى. غير أن دورها في الأندية الأدبية ما يزال ثانوياً.

ويعد دخول المرأة مجالس إدارات الأندية الأدبية من أبرز الأحداث الثقافية في المملكة عام ٢٠١١م. فقد وصلت بعض المثقفات إلى مجالس إدارات الأندية الأدبية في بعض مناطق المملكة، إذ فازت المرأة في انتخابات مجلس إدارة نادي مكة الأدبي، ونادي الجوف، ونادي حائل، والرياض، وأغلب الأندية. جاء ذلك إثر منح الوزارة المرأة حقها في التصويت والترشح في انتخابات مجالس إدارات الأندية الأدبية.

لكن وصول المرأة إلى مجالس إدارات الأندية الأدبية وعملها فيها لا يوازي طموحاتها بحال من الأحوال. ولن تستطيع المرأة تقديم ما يوازي هذه الطموحات، ويواكب تلك التطلعات، لا سيما في ظل تسلّط الرجل وسطوته.

فالأمر منوط على مدى التوجّه الفكري الذي يسيطر على رئيس النادي وأعضاء مجلس الإدارة الرجال تجاه المرأة. فإن كان من النوع الذي يؤمن بما للمرأة من طاقة وإبداع ومواهب، ويتيح لها المجال لتوظيف طاقتها ومواهبها، فسوف يجد المجتمع صدى لطموحاتها، وستتحقق بعض تطلعاتها. وإن كان من النوع الذي يطغى على تفكيره أن فضاء المرأة هو البيت، وأنها خلقت لخدمة الرجل.. فبالطبع سوف تختنق طموحات المرأة، وتوأد تطلعاتها وهي في المهد، وسوف تبقى حبيسة أضلاع صاحبتها؛ ليكون تواجدها في مجالس إدارة الأندية مجرد حضور صوري لإكمال العدد القانوني لاجتماع المجلس، والموافقة على ما يتخذه من قرارات، وكأنما وجودها مجرد صورة محسّنة للنادي أمام المؤسسات الأدبية والثقافية. ولو قارنّا بين عدد النساء في المجلس وعدد الرجال، لوجدناه قليلاً جداً، إذ إن المجلس يتكون من عشرة أعضاء، منهم ثلاث نساء والباقي رجال في أغلب الأندية. وهذا العدد لا يتناسب مع ما حققته المرأة السعودية من إنجازات ونجاحات على المستويين الفكري والثقافي عالمياً.

وتبقى للمرأة طموحات تسعى إلى تحقيقها، وإن تطلّب ذلك عمل أجيال وأجيال متعاقبة.. فالمرأة تطمح إلى تنشيط الأدب ودفعه إلى الأمام، والنهوض بمخرجاته. وأن يخاطب الأدب كل شرائح المجتمع، وأن تتصدر الثقافة كل بيت، وأن تستقطب الشابات والشباب والطاقات الواعدة، إضافة إلى إنشاء المكتبات الورقية والرقمية؛ وقبل هذا وذاك، أن يكون للمرأة دور كبير في الحراك الثقافي، لأنها تمثل تطلعات المرأة عمومًا والمثقفة والأديبة على وجه الخصوص.

إدارة الثقافة من الفرد إلى المجتمع

■ هدى الدغفق

(المؤسسة وأنا

كلما تمادتْ بالعنف.. تماديتُ في الكتابة

وكلما تمادتْ في الستر.. تماديتُ في الكتابة

وكلما تمادتْ في الحذف.. تماديتُ في الإضافة

وكلما تمادتْ أحصنتها في الكبو.. تمادت أحصنتي في العلو

أيتها المؤسسة: لتعلمي أنني لست ابنك البار، ولا خصمك اللدود...

أنا فقط «لست منسجماً ولا مهيأ للانسجام»)

(من كتاب «التربية ومؤسسات البرمجة الرمزية» علي أحمد الديري).

يمثل النادي الأدبي السعودي أنموذجا فريدا للمؤسسة الثقافية المستدامة، التي يفترض أن تفتح أبوابها وروافدها الثقافية والأدبية لكل فرد، دون النظر إلى سِنّه أو نوعه أو انتماءاته المذهبية أو العرقية؛ وهي الرسالة الفاضلة التي تبنتها بلادنا من خلال مؤسساتها الفكرية. وبرغم ذلك.. فالبيروقراطية التي يتعامل بها بعض عناصر تلك المؤسسة مع المثقف والمتلقي والمجتمع والإعلام، تحفل ببعض الفرضيات والوصاية التي يمكن أن تقلص من أدوارها ومزاياها، ما يحيلها إلى مؤسسة مستفزّة سلبياً، تؤدي إلى القضاء على ما يمكن أن يجتهد المبدع والمتلقّي في الحفاظ عليه، من روابط ثقافية يعبر بها عن حاجاته إلى المناخ الثقافي الصحي، والمتلقّي الثقافي المتنوّر الأكثر تجانسا، ومرونة، وتجاوبا مع متطلبات الحوار والرأي الحر، والتعبير المتاح وفق الضوابط المشروعة لوطننا. إلا أن إدارة تلك المؤسسة تضيف مزيدا من الضوابط الطاردة للبيئة الثقافية الفكرية الصحية الواعية بدورها المحايد، ولا تكتفي بالضوابط المتاحة فحسب. وليس هناك من داع للتمثيل،

فالعصف الذهني يوحي بكثير من الشواهد والأدلة.

من جهتي، حاولت من خلال وجودي في اللجنة النسائية للنادي الأدبي بالرياض - كرئيسة لجنة سابقا، وعضو مجلس لاحقا- الإسهام في بعض المشاريع الثقافية وتفعيلها واقعياً، ودعم الثقافة السعودية الشابة بشكل خاص، والعربية بشكل عام؛ إلا أنه كان هناك مَن يعارض في أحيان مختلفة، أن يكون للمرأة المثقفة حق أو قرار في إدارة أي مشروع ثقافي، أو أي دور رائد في المؤسسة الثقافية.

ويدعوني الحديث حول المرأة في الأندية الأدبية السعودية إلى طرح السؤال: لماذا استمر الجدل حول واقع المرأة في تلك الأندية الأدبية حتى اليوم؟ فهل السبب وراء ذلك هو كون النادي الأدبي مؤسسة حكومية تلتقي فيها المرأة والرجل في حوار ثقافي فكري إنساني ذي مستوى رفيع وعلى نحو ما من الرقيّ؟ ربما كان ذلك سبباً، وربما كان ما يختلق الجدل -غالبا- محاولة بعض المنتمين إلى الواقع الثقافي -من إعلاميين وغيرهم- ترسيخ الثقافة التقليدية اجتماعيا وتصعيدها، مستغلا بذلك الرحابة التي عادة ما يتطلبها أي جدل يدار حول الفكر الحرّ، وأخلاقيات الحوار، من مرونة وقابلية.

وبالعودة إلى تأريخ أول لجنة نسائية أنشئت بأدبي الرياض عام ٢٠٠٨م، التي رأستُ فيها آنذاك لجنة بيت الشعر، إضافة إلى عضويتي في مجلس الإدارة لثلاث سنوات، تأكّد لي من تجربتي تلك، وتجارب عضوات أخريات في مناطق سعودية مختلفة، ما تعيشه المثقّفة السعودية في الأندية الأدبية من واقع مؤسف، ما يزال يؤرخ لمحدودية دورها الثقافي الذي لا يتماشى وطموحاتها الثقافية، وما تأمل القيام به من دور على كافة الأصعدة، وفي شتى المجالات الثقافية الممكنة.

في نظري، إن الداء الثقافي لم يكن في لائحة صدرت، أو نظام صيغ، بل في مدى امتثال بعض رؤساء ومسئولي تلك المؤسسات الثقافية، ومدى جديّتهم في تمثيلهم للأدوار التي تقتضيها تلك اللوائح؛ فمنهم من تحايل على أمر تمكين المثقفة من صنع القرار، وانشغل بمحاولاته تهميش أي دور تقوم به، وتفنّن في ابتكار واستحداث أساليب من (التطفيش) المبطنة، التي استجابت لها بعض المثقفات، إذ سبق أن استوعبت صورة ذلك التهميش اجتماعياً؛ اعتقادا منها بأن المناخ الثقافي لا يختلف عن المناخ الاجتماعي من حيث تعامله السلطوي الأبوي مع المرأة، واضطرت تلك المواقف بعض المثقفات، وأكرهتهن ليسجلن انسحابهن السريع، واستقالاتهن؛ مصدومات، متفاجئات بمواقف بعض زملائهن المثقفين، غير راغبات في مواجهتهم أو الصمود أمامهم، حتى تتحقق لهنَّ غاياتهن المرجوة من وجودهن في المؤسسات الثقافية. ومنهن مَن رفضت إدارة يمارسها أنصاف مثقفين تولوا المؤسسة الثقافية، وعبرت عن عدم رضاها بالانسحاب أو بالسكوت عن استلاب حقوق العقول المؤنثة، ومنهن مَن دعاها ذلك الاستلاب أن تقف بالمرصاد لمن ينتقص من مشروعية إدارتها الثقافية. ولا لوم على مَن لم تقاوم من العضوات تحايل بعض المسئولين على وعيها، فلسن مطالبات بقبول التضييق عليهن في عملهن الثقافي أو تحمّله، لاسيما وإن حدوث مثل ذلك الأمر في نسق مؤسسة

تعدها الدولة أداتها التنويرية.. الأقدر تغييرا لمكانة المرأة الثقافية والفكرية في الواقع الاجتماعي، والأشد تأكيدا لقيمتها الفكرية وتأثيرها، ومدى إسهامها في نشر الوعي والتثقيف به، وتعزيز مكانتها الإنسانية، ما سوف يتبدل به واقع ما تعيشه المثقفة من تهميش اجتماعي.

وبدت محاولة تقليص تلك الأنصاف الثقافية الذكورية من الفرص الممنوحة للمثقّفة، في إدارة المؤسسة الثقافية في أشكال متعددة، مثل تهميش اقتراحاتها، أو تجاهل قراراتها، أو إيذائها لفظياً وسلوكياً، وربما أساء بعضهم إليها.. متجاوزاً بسلوكه غير المسئول لأخلاقيات الثقافة، وإنسانية الفكر المناهض للجندر. وسعياً من المثقفة/العضو إلى تقريب وجهات النظر، وتهيئة المجتمع للتخلّص من الفروق الموضوعة لشروط تلقي الرجال لثقافة النساء والعكس، حاولت المثقفة/العضو في الأندية الأدبية أن تتشارك والأنشطة الأخرى للرجال، ونجحت في ذلك إلى حدٍّ ما.

وربما عاش بعض المسئولين الثقافيين صراعاً بين موقفه التقليدي من المرأة، وما يتطلبه السلوك الثقافي من موقف حضاري إزاءها ثقافيا، ولم يستطع أن يتحرر من تقليديته، وبقي على نمطيته التي لا تتناسب ومدنيّة الوعي وإنسانيته.

ولست مع تخلي المثقفة العضو عن المسئولية الثقافية الأدبية الفكرية، وخدمة الوعي والتنوير صناعةً وتلقياً، ولست مع تهاونها في نيل حقوق شراكتها التي منحتها إياها وزارة الثقافة والإعلام السعودية.

وقد تتقاسم المعوقات التي تحول دون تحقيق المرأة السعودية طموحها ثقافيا لعوامل أخرى، منها ما يعزى إلى المثقف، وبعضها يرجع إلى ضيق نفس المثقفة، وقلة تحملها لوصاية مسئولي المؤسسة الثقافية المستمرة عليها، ومن ثم تنحّيها عن القيام بأي دور ثقافي.

وبعد؛ أود الإشارة إلى أن هناك مسئولات أسهمن في تعزيز الدور الثقافي للمرأة، من حيث الحرص على وجودها ومشاركتها في المناسبات الثقافية التي يقيمها النادي على مدار العام. من خلال إشراك المبدعات والمفكرات في الأمسيات الشعرية، والندوات الأدبية، والمسابقات الثقافية والإبداعية وغيرها.

كما عملت المثقفة/العضو في النادي الأدبي على شراكة المثقفة في تحكيم المؤلفات الأدبية قبل طباعتها، وكتابة التقارير الخاصة ببعض لجان النادي التي ترأستها، وعرضها على الجمعية العمومية في مناسباتها السنوية.

كما كانت لهن مشاركات فاعلة في جلسات مجلس الإدارة بصور مختلفة، تظهر في اقتراح رأي، أو تأييد رأي آخر أو رفضه، أو عرض فكرة، أو تولّي مهمة، أو مساعدة عضو لجنة منبثقة في الأنشطة التي يقيمها النادي، أو الإشراف على بعض المناسبات الثقافية وغيرها.

ولا يكفي ما سبق من عرض لبعض الأدوار التي قامت بها المثقفة في المؤسسة الثقافية، ليعد وثيقة تثبت بها المرأة أحقيتها وجدارتها في الإدارة الثقافية، إذ لم يزل المثقف يحظى بصناعة القرار في المؤسسة الثقافية دون المثقفة. وقلّما يبدي حرصه على مشاركة المرأة واجتذابها للإسهام ببعض الأدوار

الثقافية والفكرية التي تعزّز من مكانتها الفكرية والأدبية في المؤسسة الثقافية بمنطقتها.

ولا أُلقي باللوم على المثقف فحسب، فبعض اللوم يقع على المثقفة التي لم تستطع بعد التخلص من بعض عواطفها الشخصية، التي لم تزل تسيّر وعيها، وتؤثر فيه تأثيرا سلبيا؛ ولربما استعانت بحشود غيرتها ونديتها وجنوستها، لتقف في الجهة المضادة، مناهضة لمثقفة أخرى تشاركها الهمَّ الثقافي اسماً لا سلوكاً.

من الأنشطة التي تستحق الثناء عليها في محاولتها العادلة لإشراك المثقفة في أنموذج من الاحترام والتقدير: الحلقة الفلسفية التي جاء حرصها على مشاركة المرأة فيها أشد من حرص المرأة ذاتها، وأشكر الأستاذ المفكر حمد الراشد على ذلك. كما أثبت الملتقى الثقافي الذي كان يعده الدكتور سعد البازعي بشكر دوري سابقا، كفاءته ونبله في الرقيّ بالمستوى الثقافي للمرأة، جنبا إلى جنب مع شقيقها الرجل. وأنشطة أخرى لا يتسع المجال لذكرها.. وربما تناولها سواي.

ويستدعي الحوار حول دور المرأة الثقافي في الأندية الأدبية، التأكيد على ما تطلّبه وجودها ذاك من تضحيات، إذ حرم ذلك المنصب المثقفة كعضو مجلس إدارة مثلا، من المشاركة بإبداعها، أو الانضمام إلى كثير من المسابقات الثقافية في منطقتها، ونيل الجوائز التي تعدها وترعاها المؤسسة الأدبية التي تنتمي إليها. كما حرمتها خدمتها للثقافة من حقها في الطباعة ونشر أي من إصداراتها من خلال المؤسسة الثقافية التي تتولى طباعة مؤلفات سواها.

سجلت تجربة المرأة في الأندية الأدبية تراجعا فيما يتوقع لها من دور ثقافي يمكن لها أن تسهم به. فانسحاب كثير من المثقفات واستقالاتهن في الأندية الأدبية بعد فترة وجيزة من ترشّحهن، لم يزل يحتسب مؤشرا سلبيا ومؤشرا على ضعف إرادة المثقفة في إدارة العمل الثقافي، لا ينصب في مصلحة الدور الثقافي الذي ينبغي أن تضطلع به المرأة. إذ لم تثبت جدارة كافية في ما أسند إليها من مسئوليات ثقافية، ولم تتمسك به لتثبت قيمة ما تثمره في المجتمع الثقافي من نتائج متوخّاة تشجّع على الثقة باقتدارها وتمكينها ثقافيا.

ويتضح من تجربة بعض المنتميات إلى المؤسسة الثقافية ما تركته تلك الخبرة الثقافية من عتب ولوم، بل ربما قطيعة أثرت في صميم علاقاتهن الثقافية.

شخصياً.. كشفتْ لي تجربتي في العمل الثقافي ضرورة ما ينبغي أن تتحلّى به الشخصية الثقافية بشكل عام، من مرونة، وسماحة، واستماع، وتجاوب، وقبول للنقد، وامتصاص للانفعال، وكظم للغيظ، وسعة بال.

في الختام، وبصرف النظر عن ما تربى عليه المثقف في بيئته الاجتماعية من وصاية وأبوية. فأود التنويه: إنني بما ذكرت لم أشر إلى كثير من الأسماء الأدبية التي ما أزال أشعر باحترام كبير لتجربتها الإدارية ثقافيا، كما أدين بكامل التقدير والاعتراف بالفضل لكل من أخذ على عاتقه خدمة الثقافة والمثقف، وبالتالي، المجتمع والوطن.



إنهاء تشطير العمل الثقافي في المملكة

■ عبدالله السفر

عندما يدور الحديثُ حول تنشيط حياتنا الثقافية «الرسميّة» وتفعيلها، من خلال القنوات التي يُفترض حضورها وفاعليّتها في تحريك هذه الحياة؛ يخطر على البال جمعيّات الثقافة والفنون، والأندية الأدبية، فهما الذراع التي يُعوّل عليها القيامُ بذلك الدور. غير أن المعضلة تكمن في تشطير الدور وتشعيثه؛ فبدلاً من أن تكون الجمعيات والأندية تحت مظلة واحدة اسمها «مراكز ثقافيّة»، تحتوي على جميع المناشط الثقافية من الأدب بفروعه المتعدّدة إلى الفنون بمروحتها الملوّنة الكبيرة.. بدلاً من الجمع يجري الإفراد، فكلٌّ في وادٍ بمقرٍّ وبميزانيّة؛ وإن كانت المأساة واحدة في المقر.. حيث المباني المستأجرة على الغالب عند الجهتين، إلا أن الاختلاف في الميزانية المرصودة لكل جهة وبحيفٍ واضح.. يثير الاستغراب ويرفع آلاف علامات الاستفهام. ففي الوقت الذي يتلقّى فيه كل نادٍ أدبي مليون ريال سنويّاً، فإن التعديل الجديد لميزانيات جمعيات الثقافة والفنون والذي جرى تطبيقه مع العام ٢٠١٤م، قد جعل الحصّة السنويّة لكل جمعيّة حوالي خمسين ألف ريال! نعم، خمسون ألف ريال نصيب كلّ جمعيّة سنويّاً، وعليها أن تتدبّر أمرَها وتقوبَها لرتق ووصْل ما ينقصها لتنهض بجدول فعاليّاتها على مدارِ عام كامل.

الأمـر الـذي يستدعي مراجعةً وتصحيحاً من قبل وزارتَـي الثقافة والماليّة، وعدم التوقّف عند بيروقراطيّة المسميّات، والتي يترتّب عليها حكمٌ جائر وتحكّمٌ خاطئ في توزيع الميزانيّات، بما يعود بأثرٍ سلبي على تسيير العمل الثقافي وتوسيع دائرة تأثيره مجتمعياً، وجذب مختلف الفئات الاجتماعيّة إلـى مناشطه، وبخاصة الفئة الشبابية.. أو التي تُراوح أعمارها من الخامسة عشرة إلى الخامسة والعشرين، وهي الفئة الأكثر استهدافاً من قِبل أعداء الحياة، المتربصين، الذين يعملون أمـام السمع والبصر؛ عن طريق المدارس والتجمعات، وعن طريق وسائل التواصل الاجتماعي، لجرّ تلك الفئة الحيوية إلى نطاق أفكارهم الخطرة، وجعلها وقوداً لمخططاتها الهدّامة والعدميّة المعادية للإنسانيّة والحياة. وهـذا ما يؤكّد تشميل النظرة بأبعد من المسميّات التصنيفيّة التي تُحرَم من الميزانيّة

المناسبة والمؤهّلة للقيام بدورٍ مهمٍّ ينتصر للجمال وللوعي وللارتفاع بالذائقة؛ وفي الوقت نفسه، يصبح هذا الدور سنداً يحمي المجتمع من اختطاف أبنائه إلى دوائر الجحيم ومطحنتها القاسية والعاصفة التي لا تشبع من التهامهم، كما لا يني الدّاعون في دفعهم إلى هذه المحرقة.

إذاً، هناك انتظاران يُلحّان على التنفيذ: أوّلهما، إنهاء حالة التشطير بين جمعيّات الثقافة والفنون وبين الأندية الأدبيّة، وجعلهما تحت مظلّة المركز الثقافي في جميع المناطق والمحافظات في المملكة؛ ثانيهما، توفير الميزانيّة الكافية لأداء دورٍ إشعاعي لا يقتصر على أقليّة مغلقة، مهّرناها بختم «النخبة» واسترحنا، بل أن يمتدّ هذا الدور لخدمة قطاع واسع من المجتمع، وهو في مسيس الحاجة أن يُلتفَت إليه.

ومن العوامل التي تستدعي تسريع إقامة المراكز الثقافيّة؛ إنقاذ الأندية الأدبية وفعاليّاتها من الركود والرتابة والتشابه والتكرار. فالواقع أنها مجرّد محاضرات وأمسيّات شعريّة وقصصيّة لا يحضرها إلا قلّة.. وأحياناً الأقل من القلة، ويكفي شاهداً أن أمسية أدبيّة في نادٍ شهيرٍ من أنديتنا الأدبية لم يحضرها سوى اثني عشر فرداً، رغم أن الأمسية يحييها أكثر من أديب (؟!). ذلك أن ما ينقص هو اللمسة الجماليّة التي تحوّل الأمسيّة إلى مشهد بصري تتشارك الحواس في الاتصال به، وهذا - مثلاً - ما برعت فيه جمعيّة الثقافة والفنون بالدمام، وقامت بإنجاز أمسيات أدبيّة لا تُنسَى لمن يحضرها. الأمسية الخام في النادي الأدبيّ؛ يجري تسييلها والاشتغال عليها في الجمعيّة بشكل جمالي.. كما هو الحال في بضع أمسيات في الربع الأول من العام ٢٠١٤م، أُتيح لي متابعتها أو حضورها، نحو أمسية توقيع كتاب ترجمة ملحمة جلجامش لعبدالله جمعة، وأمسية شعراء يفدون لأول مرة إلى المشهد الثقافي في المملكة (عبدالله المحسن؛ مهدي المطوّع؛ أحمد القطّان)، وأمسيتَين عن الشعر الأمريكي «بويتك بوبري» من ترجمة وإعداد الدكتور مبارك الخالدي، وأمسية احتفاليّة بيوم الشعر العالمي.. تلك الأمسيات وغيرها جرى إخراجها من الحالة الخام، ومن حالة الاعتياد، ومن المنبرية الصرفة.. إلى حالة جماليّة تامّة، وأزعم أنها نادرة في حياتنا الثقافية المحليّة، إذ تآزرت الحواس والأدوات الإبداعيّة من موسيقى وأداء مسرحي ومشهديّة سينوغرافيّة ومن أغنية ومن فيديو ومن تمثيل؛ كلّها في النهاية كوّنت عاصفة جماليّة غير معهودة محليّاً، تعجز عن أدائها الأندية الأدبيّة وحدها إذا لم يتيسّر لها ظهيرٌ جماليّ يعينها على تنفيذ جدول فعاليّاتها. وهنا أتخيّل لو أن نادياً أدبيّاً أراد تكريم شخصيّة أدبيّة. ما الصورة التي يكون عليها التكريم في النادي نفسه، وما الصورة المتوقّعة لو كان هذا التكريم في إحدى جمعيّات الثقافة والفنون؟ لن تتعدّى الصورة في النادي عن كلمات متقاطرة تنتفخ بالمجاملات المنتظرة في مثل هذه المواقف، والتي تشفي على التذكير بمناخ جنائزي وكأن الشخصيّة المكرّمة لا يُحتفى بها قدْر ما تُرثى بعينٍ دامعة، مع درع معتاد ليكتمل المشهد. أمّا لو جرى التكريم عند جمعيّة الثقافة والفنون فإن الحسَّ الجنائزي أوّل ما يختفي؛ موسيقى احتفاليّة؛ شريط سينمائي توثيقي؛ مواقف استذكاريّة تنتقل بين الجاد والطريف؛ مشهد تمثيلي؛ غناء قصيدة من كلمات المحتفَى به شاعراً. وهذا هو الفرق والفارق الذي يستدعي إنهاء حالة التشطير بين الجمعيّات والنوادي الأدبية.

إن تحريك المشهد الثقافي الرسمي لا يتمّ في معازل، أو باقتراح دور لكل جزء فيه. هناك كلٌّ ينبغي أن يقوم، وينبغي أن تتضافر الجهود وأن تتسارع لأن يكون، ولأن يمثُلَ في مدار الفعل؛ كلٌّ لا نريده مجرّد هيكلٍ فارغ، بل حياة قائمة ماثلة في المجتمع ولجميع فئاته، تقدّم لهم الرغيفَ الثقافي كوادرُ على دراية بالعمل الثقافي، ومرّوا بدورات عمليّة، وورش تدريبية عن تسيير هذا العمل الثقافي؛ باحترافيّة وبطريقة جماليّة.

إغلاق الأندية الأدبية

■ تركية العمري

يعود تاريخ إنشاء الأندية الأدبية في المملكة إلى فكرة اقترحها الأديب الراحل عزيز ضياء، والتي تمثلت في إنشاء أندية أدبية في المدن الكبيرة. وتم تنفيذ هذا الاقتراح في السبعينيات الميلادية، وتحديداً عام ١٩٧٥م، وكان تنفيذ المقترح مهماً في تلك الفترة، إذ مثلت هذه الأندية اعترافا رسميا بالثقافة بشكل عام، وبدورها في رقيّ المجتمع في ذلك الوقت، وأسهمت في تعريف المجتمع بأهمية الآداب، والتي تمثل حضارة الأمم وتقدّمها. وقد كانت الأندية الأدبية في بداية تأسيسها ملحقة بالرئاسة العامة لرعاية الشباب، قبل أن تنتقل إلى وزارة الثقافة والإعلام عام ٢٠٠٥م.

وقد قامت الأندية الأدبية برسالتها الثقافية والتي تحمل مسماها، إذ صار الأدب بارزا، وبالتحديد الشعر والقصة القصيرة، وظهر أدباء متميزون أسهموا في تأسيس الحركة الثقافية في المملكة، كما مثّلوا المملكة في مهرجانات إقليمية وعربية. وجاء العصر الرقمي الذي نحيا تَسارُع إيقاعاته، عصر الثقافة العالمية، والإبداع العالمي، والتثاقف الكوني، ذلك التثاقف الذي دكّت أيقوناته الحدود المعرفية والثقافية بين الشعوب؛ فتواصلت الشعوب مع بعضها بعضا، وبنت جسور محبة ولغة تواصل ثقافي فيما بينها، وأصبحت توجه خطاها تجاه التقدم المعرفي الثقافي من خلال مؤسسات ثقافية جديدة تواكب العصر. وللأسف بقيت الأندية الأدبية بعيدة عن ذلك كله، واستمرت بنمطيتها، وأنشطتها التقليدية، ولوائحها القديمة، وبيوتها المتهالكة بأقبيتها الموحشة. فالأندية الأدبية لم تواكب التطور الثقافي السريع[١] وبقيت على أنشطتها منذ بدء تأسيسها: أمسيات قصصية وشعرية؛ ولم تتفاعل مع الأنشطة الثقافية والأيام العالمية التي تحتفي بها الدول المجاورة، وبدأ يتضاءل حضور المثقفين فيها، فما تقدمه لا يرقى إلى مستوى إبداعهم.

وقد حان الوقت لإغلاق هذه الأندية، وإنشاء مراكز ثقافية جديدة تحمل روح العصر

الرقمي، والقيم الإنسانية الكونية المتمثلة بالحب والخير والسلام والعدالة واحترام الآخر، وتشمل الآداب والفنون، وتتواصل مع المجتمع ليتحقق التكامل الثقافي بينه وبين مسارات الثقافة: الكلمة، واللوحة، والموسيقى، والفنون الأخرى كالنحت والتصوير.

فالمراكز الثقافية العالمية تمد جسور التواصل الفكري والثقافي بينها وبين المجتمع والمؤسسات التعليمية من خلال أنشطة وفعاليات متنوعة، ومنظّمة بشكل جيد.

قد يتساءل القارئ الكريم، ولماذا لا يتم تطوير الأندية الأدبية لتكون مراكز ثقافية؟ والإجابة في وضع مجتمعنا النامي، لا بد من إغلاق الأندية الأدبية، واستحداث المراكز الثقافية؛ لأن وزارة الثقافة ستعين العقول ذاتها التي كانت تدير الأندية الأدبية لتدير المراكز، والتي ستنسخ الخطط ذاتها منذ السبعينيات الميلادية، والتي كتبت بالآلة الكاتبة، وستمارس هذه الإدارات إسقاطاتها وعقدها وتقادمها، وهذا يعيق تطور المثقفين ونتاجهم، ويؤثر على تطور الحراك الثقافي الوطني، ما سيصيبه بالجمود.

ولكي تحقق المراكز الثقافية الهدف من وجودها، لا بد أن تكون أهدافها واقعية ومرنة، وأن تتجدد كل ثلاثة أعوام، وتكون لها رؤى استشرافية للمستقبل،وتخرج في فعالياتها عن الأنشطة التقليدية، ولا يبقى مَن يرأسها أكثر من عامين؛ حتى لا يطل الفساد الثقافي والمالي برأسه الثعباني.

ولكي تتزامن المراكز الثقافية مع العصر الرقمي، لا بد من تحديث بيانات المثقفين، والتواصل معهم عبر التقنية الحديثة، ووضع خطط لفعاليات تستمر على مدار العام، تشمل: قراءات إبداعية ونقدية، وورش عمل في مجال الكتابة الأدبية والمسرحية، والدراما، وأدب الأطفال، والترجمة الأدبية، وقراءات من الأدب العالمي، وتوقيع كتب، ومناقشات قضايا فكرية – ثقافية، واستضافات من داخل المملكة وخارجها.

وقبل ذلك كله، لا بد أن تكون المراكز الثقافية في مبان حكومية، فالمثقف السعودي عانى من أمكنة مهجورة وضيّقة وشبه متهالكة.. وأشبه ما تكون بالمقابر... كان ينثر فيها عبير إبداعه، حتى أن أكثر المثقفين أصبحوا يعتذرون عن إقامة أنشطة لهم في الأندية؛ فهو يستحق أن يكون في أمكنة تليق به كمثقف، وبنتاجه الإبداعي الذي يسهم بشكل كبير في تنمية وطنه ومجتمعه.

إن إنشاء مراكز ثقافية يمثل انطلاقة ثقافية جديدة في تاريخ الثقافة لدينا، تلك الانطلاقة التي ستساهم في حراك ثقافي تجديدي، إذا أدارتها عقول مستنيرة شابّة، هذا الحراك الذي تتسع فضاءاته، وتكتمل في تناغم إبداعي، يحتفي بأعمالنا الروائية والشعرية والمسرحية والدرامية، وبالأصوات التي نقلناها من هناك عبر الترجمة، ويكون هذا الاحتفاء بمشاركة أنغام الموسيقى وقسمات اللوحة وعيون الصورة.

(١) يظل النادي الأدبي الثقافي في جده له خطوات متميزة وسط الأندية الأدبية في المملكة، من خلال أنشطته، وإصداراته الدورية التي شملت الشعر والسرد القصصي والروائي والترجمة.



تجربة إدارة نادي الشرقية الأدبي

■ جبير المليحان

حين اتصل سعادة الدكتور عبد العزيز السبيل، وكيل الوزارة للشؤون الثقافية طالبا موافقتي للانضمام إلى مجلس إدارة نادي المنطقة الشرقية الجديد؛ سألته عن الأسماء المرشحة للمجلس، فأجابني بأسماء أساتذة وأصدقاء أعرفهم، فوافقت على الفور.

اجتمع بنا سعادته في مبنى النادي بالدمام لاختيار الهيئة الإدارية للنادي (الرئيس، ونائبه، والمدير المالي، والمدير الإداري)، وحيث أولاني أغلب الزملاء ثقتهم برئاسة المجلس، وبعد انتهاء عملية التصويت السريّة، قلت أمام الزملاء لسعادة الدكتور عبدالعزيز السبيل: «أعتبر كل واحد من زملائي في مجلس الإدارة رئيسا للنادي، وسنعمل كفريق واحد».

اجتمعنا بعدها عدة مرات، حدّثنا اللائحة القديمة للنادي، وحددنا صلاحيات كل فرد، وواجباته، واتفقنا على آلية حسم النقاش في حالة وجود أكثر من رأي لأي موضوع نناقشه في اجتماعاتنا الأسبوعية. وصلنا لقناعة تامة، التزمنا بها طيلة السنوات الخمس، وهي: في حالة وجود أكثر من رأي لموضوع أو حالة معينة، نلجأ للتصويت لحسم الأمر. وعلى الجميع الالتزام بما تقرره غالبية أعضاء المجلس في تصويتهم، بصرف النظر عن قناعة الشخص.

سارت أمور النادي في اجتماعات مجلسه، ولجانه، وإصداراته، وجميع برامجه، بشكل سلس وجميل. اختلفنا كثيرا، وتناقشنا كثيرا، وصوّتنا.. ولكن لم تخرج خلافاتنا في إدارة العمل عن غرفة الاجتماعات، ومحاضر الجلسات.

إنَّ قيادة مجموعة لا تعني التسلّط، أو التفرّد بالرأي والقرار؛ ومن هنا، كان نجاح مجلس إدارتنا، حين أعطى كل فرد من الزملاء خلاصة خبرته، ورؤيته الثقافية.

ربما يُقال إننا أصدقاء، وإننا متجانسون في التفكير، ومتشابهون في الخبرة الإدارية..

وأقول: إننا فعلا أصدقاء، لكن تجاربنا الإدارية والعملية مختلفة، كما أن رؤيتنا لمسار الشأن الثقافي والأدبي متنوّعة. وهذا الاختلاق، والتنوع هو سر نجاحنا؛ إذ أتيح لكل منا أن يعطي أفضل ما عنده في خدمة برامج النادي وأنشطته.



بقي القول إن وجود العنصر النسائي كان له دور بارز في تنوّع البرامج، فالمرأة بشكل عام كانت محرومة - في العهد الذي سبقنا - من دخول مبنى النادي، ومحرومة من المشاركة في فعالياته. وكان من أول أهدافنا بعد تشكيل المجلس تكوين لجنة نسائية مستقلة، تم انتخاب عضواتها من قبل النساء أنفسهن، من دون تدخل من قبل المجلس، وأعطيت لهن الصلاحيات الكاملة لبناء البرامج والأنشطة التي يرين إقامتها. كما منح لهيئة تحرير مجلة (دارين) الفصلية صلاحيات كاملة في إجازة مواد المجلة من دون رقابة من المجلس. وكذلك لجنة الكتب والمطبوعات. وقد فتحت كل الأبواب للشباب من الجنسين للانضمام إلى اللجان الأدبية والثقافية العاملة في النادي. وهكذا تم تفرغ مجلس إدارة النادي للتخطيط، والدعم، مبعدا أي شبح للبيروقراطية.



الدكتور عبدالعزيز السبيل يترأس مجلس إدارة نادي المنطقة الشرقية الأدبي، أثناء انتخابات الهيئة الإدارية للنادي.



تجربتي في نادي الجوف الأدبي

■ إبراهيم بن موسى الحميد*

يلاحظ أي مراقب محايد للفعل الثقافي أن النادي الأدبي بمنطقة الجوف خلال فترة تشرفنا برئاسته (١٤٢٩-١٤٣٢هـ)، قد عمل جاهدا على دفع عجلة الحِراك الثقافي بالمنطقة في جميع الاتجاهات، تواصلا مع الاستراتيجيات التي تتبناها وزارة الثقافة والإعلام، وفقا لرؤية خادم الحرمين الشريفين، الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود، حفظه الله، في التنمية والبناء لإنسان هذه الأرض المباركة؛ على الرغم مما واجهته الأندية الأدبية، وخاصة في منطقة الجوف من خطابات مضللة ومضادة لنشاطاتها الأدبية والثقافية المتوازنة، وصلت إلى درجة التشنج.

ولعلمنا أن أصحاب تلك الخطابات بعيدون كل البعد عن الشأن الثقافي وعن معرفة أساسات عمل الجهات التي واجهوها بالتحريض والاحتداد؛ كما أن منطلقاتهم لم تكن محايدة؛ فقد عملنا على احتواء تلك الخطابات، ومجابهتها بابتكار مختلف البرامج والآليات التي تساعد على أن يكون لكل مثقف وشاب ومواطن موقع في هذا النادي، من خلال مختلف البرامج والفعاليات والأنشطة. ولهذا، فقد بادرنا إلى التأسيس لعدد من الأكاديميات وبرامج القراءة، وهي (أكاديمية الصحافة)، و(ملتقى البراعم)، و(المقهى الثقافي)، و(لقاء الأحد للقراءة)، و(لقاء الأربعاء)، و(أكاديمية القصة)، و(أكاديمية الشعر)، و(أكاديمية الفنون).

كما عملنا على إيجاد عدد من المسابقات والجوائز التي من شأنها أن تسهم في زيادة الفعل الثقافي وتنشيطه لدى مثقفي المنطقة وخارجها؛ وكان من أبرز أهدافها تشجيع مثقفينا ومبدعينا على البحث والإبداع والتواصل مع مجتمعهم ووطنهم؛ لذا، كان إطلاق جوائز في مجالات الشعر والقصة والنص المسرحي

والتحقيق الصحفي، كما أطلقنا مسابقات للتأليف والإبداع الأدبي؛ من قبيل ديوان شعر، أو مجموعة قصصية، أو رواية، ومسابقة «صوروا منطقة الجوف»، منطلقين من جماليات العمارة التقليدية في المنطقة هدفا لهذه الجائزة. كما أطلقنا مسابقات على مستوى الأندية الرياضية، ومسابقة لأفضل مؤلف عن الزيتون، ومسابقة إبداعية للزيتون، ومسابقة سنوية للإبداع الشعري والأدبي حول منطقة الجوف. كما أطلقنا جائزة سنوية للإبداع بمناسبة مبايعة خادم الحرمين الشريفين، الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود، حفظه الله، وهي مسابقة لأجمل قصيدة وقصة ومقالة بالمناسبة سنويا، كما أطلقنا جائزة منطقة الجوف للدراسات الثقافية، والتي تشمل دراسة الإبداع الثقافي والأدبي والإنساني لمثقفي المنطقة حسب الشروط المعلنة، وأطلقنا كذلك جائزة الكتابة للطفل، إضافة إلى المسابقات المتعلقة باليوم الوطني، وكان عدد المسابقات المعلنة اثنتي عشرة مسابقة سنويا.

وقد حرصنا على تفعيل النشاط الثقافي في مدن ومحافظات منطقة الجوف، فأسسنا للجان الثقافية في محافظة القريات ودومة الجندل وطبرجل وصوير؛ إيمانا منا بحق الجميع في الحصول على البرامج التي يقدمها النادي، من خلال أبناء كل مدينة، من الذين يمثلهم أعضاء اللجنة الثقافية.

وإذا كان النادي قد أقام عشرات النشاطات المنبرية من محاضرات وندوات وأمسيات ولقاءات وورش عمل في جميع مدن منطقة الجوف حتى عام ٢٠١١م/١٤٣٢هـ، بدعم ومؤازرة أهالي المنطقة ومثقفيها، فإنه أمل أن يتواصل هذا النشاط لتحقيق أكبر قدر من طموحات مثقفينا ومبدعينا. كما كنا واثقين ان انجاز النادي لموقعه التفاعلي على الإنترنت حينها والذي يعد قاعدة معلومات مهمة، ومواقعه المتفرعة عنه وبرامجه للطباعة والنشر التي أسفرت عن عشرات الكتب وثلاث دوريات وعشرات المطبوعات، خير حافز للجميع للتواصل مع ناديهم، وتحقيق تطلعاتهم من خلاله،؛ إذ أصبح النادي الأدبي بمنطقة الجوف من أنشط الأندية الأدبية في المملكة، ومن أعمقها تأثيرًا، بشهادة كثير من المثقفين والمراقبين، حتى أن عدداً منهم اعتبر أن النادي الأدبي بمنطقة الجوف قدم ما لم تقدمه وزارات رسمية في عدة بلدان عربية، وإصداراته متميزة منفتحة على الثقافة السعودية والعربية.

لقد نجحت تجربتنا في خلال تلك الدورة في خلق حراك ثقافي أشادت به أقلام عدة على المستوى المحلي والعربي، فاستقطبت أنشطتنا وفعالياتنا اهتماماً إعلامياً كبيراً؛ فمثلاً، جريدة الحياة السعودية رأت أن برامج القراءة التي أطلقها النادي لمختلف فئات المجتمع تعد تجربة فريدة على مستوى الأندية الأدبية، كما وصفت عدة صحف عربية النادي الأدبي بأنه أصبح النادي الأكثر نشاطاً والأعمق تأثيراً على مستوى المملكة، وأثلجَ هذا صدورنا وجعلنا نفتخرُ بأدبي الجوف.

لقد شرعنا منذ بداية عملنا في إطلاق حزم من الأنشطة النوعية لتفعيل حراك مجتمعنا الثقافي بمختلف فئاته، مع التركيز على الأجيال الصاعدة التي تعد الركيزة الأساس لأي تقدمٍ منشود، وأكدنا منذ البداية أننا نعمل تحت مظلة كبرى هي ثقافة الحوار. فكانَ "لقاء الأربعاء للقراءة" لطلبة المدارس واليافعين لترسيخ عادة القراءة وتنميتها لدى الطلاب، وتعريفهم

بالتراث الحضاري والفكري والثقافي للمنطقة، والاقتداء برموزها البارزين في المجالات كافة؛ تعزيزاً لروح الانتماء الوطني، إضافة إلى ربطهم بالجديد في مختلف المجالات العلمية والثقافية عبر العالم.

ثم جاءت «أكاديمية الشعر»، ملتقى نصف شهري يتم فيه تدريب الهواة والمهتمين من الشباب على كتابة الشعر، وتعريفهم بعلم العروض (بحور الشعر)، وأصول كتابة الشعر، وأهم مدارسه، واتجاهاته قديماً وحديثاً. وتَرافق مع ذلك في اللجنة النسائية "لقاء الأحد للقراءة"، مستهدفاً الفتيات والسيدات من مثقفات المنطقة، و«ملتقى البراعم» لأطفال الروضات والمدارس الابتدائية، بقيادة الأديبة المبدعة ملاك الخالدي، التي كانت شريكة النجاح والإبداع بحق. كما تم إطلاق «أكاديمية القصة» للتدريب على كتابة القصة الحديثة وأساليبها، كما خططنا لتفعيل «أكاديمية الصحافة»، لتدريب الشباب والمهتمين على أهم مكونات الأخبار وأصول التحقيقات الصحفية.

كما شرعت اللجنة النسائية بأدبي الجوف في تفعيل برنامج "رعاية الموهوبات". ولعل من برامجنا النوعية التي لاقت صدى طيبا حينها هو "المقهى الثقافي"، الذي أداره مجموعة من شباب الجامعة، وأخذ شكل نادٍ أدبي مصغرٍ يتولى الشباب فيه إدارة العمل الثقافي ودعوة المحاضرين والمشاركين.

وكان موقع النادي على الإنترنت ضمن أهم أولوياتنا بحيث أصبح قاعدة معلومات مهمة عن النادي، ومصدراً تفاعلياً مع أعضاء النادي وزواره، وكان لافتا أن يكون الموقع الأبرز بين مختلف المواقع الثقافية السعودية، حسب رؤية العديد من المثقفين والمتابعين، ولعل إشادة وكيل وزارة الثقافة دكتور ناصر الحجيلان تؤكدُ ذلك، كما قال مدير عام الأندية الأدبية حينها الأستاذ عبدالله الكناني في تصريحات صحفية أنه لو كانت هناك جائزة لأفضل موقع إلكتروني لنادي أدبي لمنحناها لأدبي الجوف.

لقد واصل النادي في فترة تكليفنا رسالته وبرامجه الثقافية والمنبرية، رغم كافة العوائق التي حاول بعضهم افتعالها لتعطيل مسيرة النادي؛ إذ نجح النادي في إقامة الملتقيات الثقافية، مثل «ملتقى سيسرا»، وملتقى «جهات لدورتين»، كما أقام العشرات من النشاطات المنبرية المنوعة، وقام بتدشين النشاط





لقاء الأربعاء للقراءة
(المقهى الثقافي)
نشاط نصف شهري يضم رئيساً وأعضاء من طلاب الجامعة أو المهتمين ، ويتم خلاله طرح كتاب أو مجموعة من الكتب للمناقشة
أكاديمية الشعر
ملتقى نصف شهري يشرف عليه شعراء ومتخصصون يقومون بتدريب الهواة والمهتمين من الشباب على كتابة الشعر وتعريفهم بعلم العروض وأصول كتابة الشعر وأهم مدارسه واتجاهاته قديماً وحديثاً
أكاديمية الفنون
www.adabialjouf.com







نادي الجوف الأدبي
الأمسية الشعرية
للشاعرين
الأستاذ/ بسام السلامة ، الأستاذ/ شتيوي الغيثي
يوم الأحد ١٤٣١/١١/٢٢هـ







نادي الجوف الأدبي



الثقافي للجان التابعة للنادي في محافظة القريات، ومحافظة دومة الجندل، ومدينتي طبرجل، وصوير والتي احتضنت جميعها العديد من النشاطات التي كانت إدارة النادي الدافع الرئيس لها بالتعاون مع اللجان الثقافية فيها؛ بهدف إيجاد حراك ثقافي فاعل على مستوى المنطقة، ولإيماننا بحق كل مدينة في المنطقة بنشاط النادي وبرامجه.

وقد نظم النادي ورشة مهمة لإعادة إحياء سوق دومة الجندل التاريخي، بموافقة سمو أمير منطقة الجوف، وكان من نتائج هذه الورشة تأكيد أهمية تحديد موعد لملتقى سوق دومة الجندل.

وحققت برامج المطبوعات في النادي نجاحا طيبا، إذ تمكنا من إصدار مجلة سيسرا، ومجلة آفاق الجوف، ونشرة أدبي الجوف، إضافة إلى عدد من النشرات المتخصصة، كما بدأنا في التأسيس لمجلة كاف الثقافية التي كانت ستصدر من مدينة القريات؛ إضافة إلى إصدارات النادي المختلفة من الكتب، والتي تجاوزت ثلاثين كتابا، كان من ضمنها أول ديوان شعري لفتاة من الجوف، وأول رواية من الجوف، وكذلك كتاب موسوعي مهم للدكتور عوض البادي. كما نجحنا حينها في تأسيس مكتبة للطفل،

ومكتبة للجنة النسائية، وأخرى خاصة بمنطقة الجوف، إضافة إلى تزويد المكتبة الرئيسة وتحسين أدائها.

وقد شرفنا في تلك الدورة بمخاطبة مقام خادم الحرمين الشريفين في ١-٢-١٤٣٢هـ، لطلب مبلغ عشرة ملايين ريال لنادي الجوف الأدبي، لتمكينه من بناء مقره، وقد تجاوب مشكورا حفظه الله خلال ثلاثة أسابيع، بمنح جميع الأندية الأدبية بالمملكة مبلغ عشرة ملايين ريال، ومنها نادي الجوف الأدبي، الأمر الذي مكننا من مخاطبة أمانة منطقة الجوف حينها لطلب تسليمنا أرض النادي التي تأخرت فيها، وتمكيننا من تنفيذ الأمر الملكي بمنح النادي عشرة ملايين ريال لبناء مقره؛ وقد تجاوبت الأمانة بعد أربعة أعوام من الطلب، وسلمتنا الأرض على طريق الأمير عبدالإله ابن عبدالعزيز بمساحة سبعة آلاف متر مربع، لإقامة مبنى النادي، بعد محاولات، خلال دورتين للمجلس، وتم تعميد مكتب هندسي بعد استدراج عروض من قبل ثلاث مكاتب هندسية، لتصميم مبنى النادي، وبِدْء التصاميم الأولية قبيل انتهاء مهمة رئاستنا للنادي منتصف عام ١٤٣٢ هـ.

كما كنا قد تشرفنا بتقديم طلب إنشاء (مركز ثقافي بمنطقة الجوف) بمبلغ عشرين مليون ريال، إلى مقام خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود أثناء السلام عليه (حفظه الله) مع ضيوف المهرجان الوطني للتراث والثقافة في دورته الرابعة والعشرين، يوم الأحد ١١ ربيع الأول ١٤٣٠هـ الموافق ٨ مارس ٢٠٠٩م، وموافقته حفظه الله على إنشاء المركز، وها هو اليوم يقف شامخا في مدينة سكاكا بانتظار الافتتاح.

لقد عملنا جاهدين في إدارة النادي الأدبي مع فريقنا وزملائنا وأصدقائنا لأجل نهضة ثقافية وفكرية، عمادها الأجيال الصاعدة في منطقة الجوف، وكنا نأملُ في مجلس الإدارة المنتخب أن يكملَ المسيرة لما فيه خدمة ورقيّ منطقتنا الغالية، إذ لم نتقدم للترشح للانتخاب في ذلك الوقت رغم محاولات الأصدقاء، حرصاً على إتاحة الفرصة لوجوه جديدة فاعلة، يمكنها أن تضيف بصمتها الخاصة، وعملنا على إنجاح الانتخابات وفقا لرؤية الوزارة، رغم تحفظنا حينها على الآليات التي قادت إلى ترشيح قطاعات بعيدة عن المشهد الثقافي وتحشيدها الذي انتهى إلى المشهد الأخير.

محطات في مسيرة دورة رئاستنا للنادي

١- إقامة أكثر من (١٢٠) نشاط منبري من محاضرات وندوات وأمسيات ولقاءات



المركز الثقافي بالجوف الذي أمر به خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز بعد تقديم طلب لمقامه حفظه الله من رئيس ادبي الجوف السابق الحميد

وورش عمل في جميع مدن المنطقة، رغم التهديدات والحرائق والعراقيل.

٢- تدشين برنامج القراءة بالقسم النسائي وإقامة عشرات القراءات فيه لأديبات وأكاديميات، (لقاء الأحد للقراءة).. لقاء أسبوعي بعد مغرب كل أحد باللجنة النسائية، يتم فيه تقديم قراءة لكتاب، والنقاش حوله من مثقفات وفتيات المنطقة، ترسيخاً لعادة القراءة ونشر ثقافة الحوار.

٣- تدشين برنامج القراءة بمكتبة النادي الرئيسة، وإقامة عشرات البرامج فيها، بمشاركة أدباء المنطقة، (لقاء الأربعاء للقراءة) للطلاب واليافعين.. لقاء أسبوعي بعد صلاة مغرب كل أربعاء، يهدف إلى ترسيخ عادة القراءة وتنميتها لدى الطلاب وتعريفهم بالتراث الحضاري والفكري والثقافي للمنطقة، والاقتداء برموزها البارزين في كافة المجالات، تعزيزاً لروح الانتماء الوطني إضافة إلى ربطهم بالجديد في مختلف المجالات العلمية والثقافية عبر العالم..

٤- تدشين أكاديمية الشعر لتدريب الموهوبين من الشباب على كتابة الشعر، وهي ملتقى نصف شهري يتم فيه تدريب الهواة والمهتمين من الشباب على كتابة الشعر وتعريفهم بعلم العروض (بحور الشعر) وأصول كتابة الشعر، وأهم مدارسه واتجاهاته قديماً وحديثاً، وذلك تحت إشراف فريق من المتخصصين والشعراء الكبار.

٥- تدشين برنامج أكاديمية القصة، للتدريب على كتابة القصة وأبرز فنونها، وهي ملتقى نصف شهري يشرف عليه كتاب ومتخصصون.. يقومون بتدريب الهواة والمهتمين من الشباب على كتابة القصة، وتعريفهم بفنونها من الحبكة والسرد والشخصيات، إضافة لأهم مدارس الكتابة القصصية واتجاهاتها عربياً وعالمياً.

٦- تأسيس أكاديمية الصحافة والترتيب لإقامتها. وهو نشاط نصف شهري للتدريب على العمل الصحفي، يقدمه خبراء في الإعلام، وإعلاميون متمرسون في الصحافة بشكل عام، والصحافة الأدبية بشكل خاص، وتستهدف الأكاديمية:

- الارتقاء بالعمل الصحفي في المنطقة.
- التدريب على أساليب عمل الصحافة الأدبية والثقافية.
- التدريب على التحقيقات الصحفية المتعلقة بحقوق الإنسان والقضايا العامة.
- التركيز على المهنية والاحترافية في العمل الصحفي.
- التدريب على كتابة التقارير الصحفية والأخبار والتحقيقات.
- التدريب على كتابة عمل التحقيقات الصحفية ذات الصبغة الإنسانية والاجتماعية وغيرها.

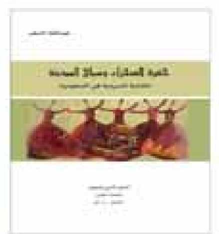
٧- تدشين برنامج البراعم للقراءة بمكتبة الطفل بالنادي. وهو نشاط نصف شهري بمكتبة الطفل يتم فيه استضافة مجموعة من أطفال إحدى الروضات لزيارة مكتبة الطفل بالنادي، وتشجيعهم على القراءة، وتوعيتهم بأهميتها، وإهدائهم مجموعة من كتب الأطفال.

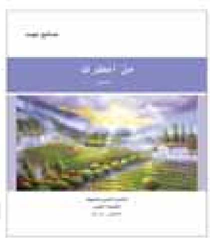
٨- تأسيس وتدشين (المقهى الثقافي). وهو

من إصدارات النادي الأدبي بالجوف











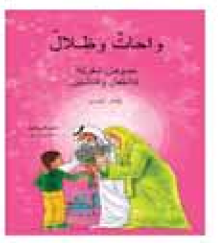












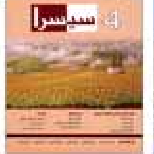


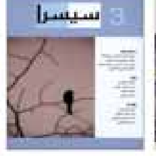






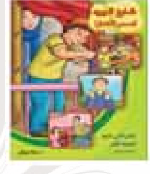


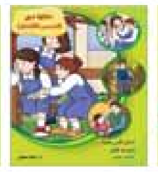
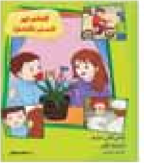
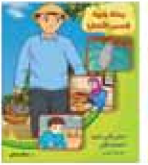
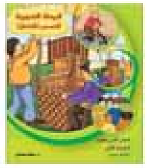











نشاط نصف شهري يضم رئيساً وأعضاء من طلاب الجامعة أو المهتمين، ويتم خلاله طرح كتاب أو مجموعة من الكتب للمناقشة، وذلك لنشر ثقافة الحوار.

٩- تشكيل عدد من اللجان الثقافية في مدن القريات وطبرجل ودومة الجندل وصوير، من عدد من الشباب المهتمين لإقامة أنشطة النادي في هذه المدن والتي تم خلالها إقامة عشرات الفعاليات فيها.

١٠- تدشين النشاطات الثقافية في مدن القريات وطبرجل ودومة الجندل وصوير.

١١- إصدار مجلة سيسرا الثقافية دوريا كل ثلاثة أشهر. ومجلة آفاق الجوف، وترتيب إصدار مجلة كاف الثقافية من قبل مثقفي محافظة القريات..

١٢- إصدار أكثر من ثلاثين كتابا لأدباء ومثقفين وأكاديميين.

١٣- إصدار عدد من الكتيبات للمسابقات التي يتبناها النادي.

١٤- إصدار كتيبات بمناسبة البيعة وسوق دومة الجندل.

١٥- إصدار سبع كتب موجهه للأطفال.

١٦- تدشين موقع النادي الأدبي على الإنترنت وتغذيته المستمرة وتحديثه، وجعله قاعدة معلومات أساسية للنادي وموقعا تفاعليا يستقطب آلاف المثقفين من المملكة والعالم العربي.

١٧- إقامة عدد من المعارض للكتب في سكاكا والقريات، والمشاركة في المهرجانات الصيفية.

١٨- المشاركة في معرض لكتب النادي في مؤتمر الأدباء.

١٩- المشاركة في معارض الكتاب الدولية بالرياض بجناح خاص بكتب النادي.

٢٠- تأسيس (مكتبة الطفل) وتدشينها بالقسم النسائي.

٢١- تأسيس (مكتبة القسم النسائي) وتزويدها بمئات العناوين والكتب.

٢٢- تأسيس (المكتبة الجوفية) وتدشينها لضم جميع الكتب التي كتبت عن منطقة الجوف، أو كتبها مؤلفون من الجوف، وكذلك لجمع ما يتوافر من دوريات ومطبوعات تتعلق بمنطقة الجوف.

٢٣- تشكيل اللجنة النسائية من أديبات ومثقفات من المنطقة.

٢٤- طباعة أول ديوان شعري لفتاة من منطقة الجوف.

٢٥- طباعة أول رواية لفتاة من منطقة الجوف.

٢٦- طباعة كتاب موسوعي حول الرحالة الأجانب الذين زاروا منطقة الجوف.

٢٧- إقامة ملتقى سيسرا الثقافي، وتم فيه استضافة العديد من الأدباء والمثقفين.

٢٨- إقامة ملتقى جهات، وتم فيه استضافة مثقفي المنطقة الشرقية.

٢٩- إقامة ملتقى جهات الدورة الثانية، وتم فيه استضافة مثقفي منطقة حائل.

٣٠- إعادة بناء صالات النادي، بعد جريمة إحراقها عام ١٤٣٠هـ.

٣١- إعادة بناء صالات النادي، بعد إحراقها للمرة الثانية عام ١٤٣١هـ.

٣٢- تأسيس مسابقة الإبداع الأدبي للشباب بمنطقة الجوف، في الفنون الأدبية والسردية

أدبي الجوف في الصحافة السعودية والعربية



الآتيـة: ١)الشـعـر ٢) القصة القصيرة ٣) المقـال: -منطقة الجـوف ٤) النص المسرحي ٥) التحقيق الصحفي.

٣٣- تأسيس جائزة الإبداع الأدبي لمثقفي منطقة الجـوف للكتب (ديـوان شعر - مجموعة قصصية- روايـة). هدفت الجائزة إلـى تشجيع المواهب الإبداعية في هذه المجالات على أن تكون الأعمال المقدمة لنيل الجائزة جديدة، ولـم يسبق نشرها؛ ليتم طباعتها من قبل النادي كمكافأة للفائز إضافة إلى المكافأة المادية.

٣٤- تأسيس مسابقة التصوير الضوئي أو الرقمي، وموضوع المسابقة لعام ١٤٣٢هـ: (جماليات العمارة التقليدية القديمة بمنطقة الجوف).

٣٥- تأسيس جائـزة الأنـديـة الرياضية: وهي مسابقة أدبـي الجـوف الإبداعيـة للأندية الرياضية. والمسابقة مخصصه لجميع منسوبي الأندية الرياضية في المنطقة وهي (العروبة - القلعة - الانطلاق- الجندل - المسيرة)؛ انطلاقا من الأهـداف الثقافية التي يرعاها نـادي الجـوف الأدبـي، سعيا لتحفيز العملية الثقافية وتنشئة الأجيال عليها، ولما للأندية الرياضية من دور هام بصفتها أحـد مصادر الجذب للجميع من مختلف الأعـمـار. وقد جـاءت فكرة تنظيم مسابقة ثقافية لمنسوبي الأندية الرياضية في المنطقة لحثّ المبدعين على المنافسة وخلق روح التنافس الشريف بينهم في مجال القصة القصيرة والشعر الفصيح.

٣٦- تأسيس جـائـزة سنوية لأفضل كـتـاب عن الزيتون.

٣٧- تأسيس مسابقة سنوية إبداعية للزيتون: وذلـك لأفضـل قصيدة شعرية، أو قصة إبداعيـة، أو مقال أدبـي، أو بحث متميّز، أو لوحة تشكيلية، أو صـورة فوتوغرافية، تتناول الزيتون وارتباطه بمنطقة الجوف والمملكة العربية السعودية، تزامناً مع إقامة مهرجان الزيتون السنوي، وتكاملاً مع جهود صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن بدر بن عبدالعزيز، أمير منطقة الجوف، وحرصه الشديد على دعـم وتشجيع زراعـة شجرة الزيتون المباركة في بلادنا الحبيبة.

٣٨- تأسيس جـائـزة سنوية لـلإبـداع بمناسبة مبايعة خـادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود حفظه الله، وهي مسابقة لأجمل قصيدة وقصة ومقالة بالمناسبة، سنويا.

٣٩- تأسيس جـائـزة سنوية لـلإبـداع الشعري والأدبي حول منطقة الجوف.

٤٠- تأسيس جـائـزة سنوية لـلإبـداع للجميع: وجـائـزة «الـنـادي لـلإبـداع الأدبـي للجميع» يحق لجميع المبدعين المشاركة فيها: وهذه الجائزة خصصت للنصوص الشعرية والقصصية والدراسات النقدية والثقافية المتعلقة بالجوف.

٤١- تأسيس جائزة منطقة الجوف للدراسات الثقافية: والتي تشمل دراسة الإبداع الثقافي والأدبـي والإنساني لمثقفي منطقة الجوف حسب الشروط المعلنة.

٤٢- تأسيس مسابقة الـيـوم الوطني الثقافية، والتي ينظمها النادي بمناسبة اليوم الوطني للمملكة العربية السعودية سنويا، لحشد الولاء والانتماء والتذكير بنعم الله على هذه البلاد الغالية.

٤٣- تأسيس جـائـزة الكتابة للطفل: التـي تأتي

تواصلاً مع اهتمام أدبي الجوف بالطفل والعناية به، إذ يقيم النادي مسابقة أدبية ثقافية خاصة بالطفل تشمل: الدراسات الأدبية حول الطفل - القصة القصيرة (مجموعة قصصية) - كلمات أناشيد الطفل.

٤٤- مخاطبة مقام خادم الحرمين الشريفين في ١-٢-١٤٣٢هـ، لطلب مبلغ عشرة ملايين ريال لنادي الجوف الأدبي لتمكينه من بناء مقره، وتجاوبه حفظه الله خلال أسبوعين بمنح جميع الأندية الأدبية بالمملكة مبلغ عشرة ملايين ريال، ومنها نادي الجوف الأدبي.

٤٥- الحصول على أرض مميزة على طريق الأمير عبدالاله بن عبدالعزيز بمساحة سبعة آلاف متر مربع، لإقامة مبنى النادي، بعد محاولات مع أمانة المنطقة خلال دورتين للمجلس.

٤٦- تعميد مكتب هندسي بعد استدراج عروض من قبل ثلاثة مكاتب هندسية، لتصميم مبنى النادي، وبدء التصاميم الأولية قبيل انتهاء مهمة رئاستنا للنادي منتصف عام ١٤٣٢ هـ.

٤٧- التشرف بتقديم طلب إنشاء (مركز ثقافي بمنطقة الجوف) بمبلغ عشرين مليون ريال، إلى مقام خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود أثناء السلام عليه (حفظه الله) مع ضيوف المهرجان الوطني للتراث والثقافة في دورته الرابعة والعشرين، يوم الأحد ١١ ربيع الأول ١٤٣٠هـ الموافق ٨ مارس ٢٠٠٩م، وموافقته حفظه الله على إنشاء المركز، وها هو اليوم يقف شامخا في مدينة سكاكا بانتظار الافتتاح.

٤٨- تعرض النادي الأدبي بالجوف لاعتداءين آثمين من مجهولين حتى تاريخه، كانا على



صورة لمخطط مبنى النادي الأدبي بمنطقة الجوف والذي كان مخططا البدء فيه عام ١٤٣٢هـ، على أرض النادي على طريق الامير عبدالاله بن عبدالعزيز ، بناء على منحة خادم الحرمين الشريفين للنادي بمبلغ ١٠ ملايين ريال

التوالي في عامي ٢٠٠٩ م، و٢٠١٠ م، وكان الأول فجر يوم الثلاثاء ١٣-١-٢٠٠٩م، عشية أمسية شعرية لقصيدة النثر حيث تمت جريمة إحراق الخيمة الثقافية وصالات النادي، وتسببت في تعطيل مسيرة النادي وحراكه لبعض الوقت، إلا أن النادي ما لبث أن استرد أنفاسه، وواصل مسيرته الثقافية بدعم ومؤازرة صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن بدر أمير منطقة الجوف، الذي وجه بإقامة نشاط النادي في مركز الأمير عبدالإله الثقافي، حتى يتم إعادة تأهيل مقره.

وبعد أن تم إعادة بناء الصالات من جديد، أحرق مجهول صالات النادي الأدبي مجددا، وذلك يوم الأحد ٢٨ فبراير ٢٠١٠م، بعد توجيه بإلغاء إقامة محاضرة مبرمجة للدكتور سلطان القحطاني بعنوان «الرواية النسوية بالمملكة»، وذلك بعد أن وردنا تهديد شخصي بالقتل بموجب رسالة نصية من جوال مجهول، قبل الحريق بساعتين.

* رئيس التحرير ورئيس مجلس إدارة النادي الأدبي بمنطقة الجوف سابقا.

الترجمة
والعصر الذهبي للعلم العربي*

■ ترجمة د. محمد محمود مصطفى**

«تتمثل أهمية حركة الترجمة الإغريقية العربية في أنها برهنت للمرة الأولى في التاريخ على عالمية الفكر العلمي والفكر الفلسفي، وعلى أن ذلك الفكر لا يقتصر على لغة أو ثقافة معينة».

(ديمتري غطاس، الفكر اليوناني والثقافة العربية)

لماذا ازدهر العصر الذهبي للعلم العربي بغتة إبان بدايات عصر الخلافة العباسية؟ ولماذا أفل نجم ذلك العلم في نهاية المطاف؟

لعل الإجابة عن السؤال الثاني أكثر صعوبة وتعقيداً، ولعل مردّ ذلك أن هناك العديد من العوامل التي تضافرت، ما نجم عنها اضمحلال الامبراطورية الإسلامية. ولعل أهم تلك العوامل ليس أكثرها وضوحاً للعين المجردة. ولكن ذلك هو ما نركّز عليه في النهاية. لكننا نستكشف -بادئ ذي بدء- الإجابة عن السؤال الأول التي تبدو من أول وهلة واضحة جليّة. ويكاد يكون هناك اتفاق على أن مناحي التقدم المبهرة التي تمت في مجالات الرياضيات، وعلم الفلك والفيزياء، والهندسة، والكيمياء، والتقدم الطبي، وازدهار الفلسفة، التي ظهرت بداية الأمر في بغداد، ثم انتقلت إلى باقي الامبراطورية الإسلامية، كانت جميعها بفضل ذلك النجاح العظيم لحركة ترجمة ضخمة استمرت طيلة قرنين من الزمان. وإبّان تلك الحركة تم نقل الكثير من حكمة الحضارات الأولى الإغريقية والفارسية والهندية إلى العربية. وما أن تأسست ثقافة العلم وتوطّدت في أرجاء الامبراطورية الإسلامية، حتى أصبحت

الامبراطورية مكتفية ذاتياً، ما أدى إلى حدوث نوع من التأليف الضخم بين عناصر المعرفة العلمية، على نحو زاد كثيراً عن مجموع ما حصلت عليه الامبراطورية من قبل.

وإن كان العباسيون قد قاموا بالفعل برعاية وتشجيع حركة ترجمة ضخمة أدت إلى جلب كل أنواع المعارف العالمية تحت سقف واحد؛ فإنه يبقى التساؤل: لماذا قامت حركة الترجمة ذاتها في المقام الأول؟ أو بالأحرى: لماذا تم ذلك تحديداً مع بداية العهد العباسي، ولماذا اختلف العباسيون عن حضارات العالم الأخرى، كحضارات الفرس أو الساسانيين أو البيزنطيين، أو حتى حضارات المسلمين الأمويين في دمشق؟ فعلى الرغم من القوة العسكرية الجبارة التي تمتعت بها تلك الامبراطوريات، إلا أن أياً منها لم يبد نية حقيقية في إحياء الأمجاد الأولى لمدينة الإسكندرية التي ازدهرت في القرون الأولى التي تلت ميلاد الديانة المسيحية.

لقد تبدّل الأمر مع وصول العباسيين إلى سدة الحكم، فبدأت حركة الترجمة في منتصف القرن الثامن. ولم يكد يمضي وقت طويل حتى شمل الأمر كل مستويات النخبة في المجتمع العباسي في بغداد، فلم يكن الأمر مجرد مشروع أثير لدى الخليفة. لقد أسهم عدد كبير من رعاة الترجمة بأموال طائلة في دعم هذه الحركة وتشجيعها، وأصبحت الترجمة على نحو سريع مشروعاً مربحاً.

لقد أسهم رعاة الترجمة في ذلك لتحقيق منافع عملية في مجال المال والزراعة والمشاريع الهندسية والطبية. كما أن الرعاة حققوا من خلال الترجمة تميزاً ثقافياً أسهم في تعزيز مكانتهم في المجتمع. لقد انضم الجميع إلى هذه الحركة، وعلى حد قول أحد المؤرخين: «لم تكن مجرد رغبة مزاجية أو إعجاب عاطفي، من جانب مجموعة من الأثرياء الذين يسعون للاستثمار في عمل خيري، أو في قضية تمجّد من قدرهم».

لم تكن حركة الترجمة عملية منفصلة أدت في نهاية المطاف إلى العصر الذهبي للعلم، وإنما ينبغي النظر إليها عوضاً عن ذلك على أنها جزء لا يتجزأ من العصر الذهبي ذاته. وما أن بدأت حركة الترجمة حتى أصبحت جزءاً أصيلاً من السعي للوصول إلى المعرفة.

وبمنتصف القرن التاسع الميلادي تحولت الترجمة إلى نوع جديد من الأصالة العلمية والفلسفية، ما أدى إلى تعضيد الطلب على المزيد من المترجمين، سواء من ناحية الكم أو النوع. لكن لماذا لم تُشكّل حركة الترجمة هذه بين اليونانية والعربية فصلاً معروفاً في التاريخ الثقافي للعالم جنباً إلى جنب مع الأحداث المؤثّرة المشابهة؟

إن بغداد بين القرنين الثامن والعاشر الميلاديين كانت تشبه العصر الذهبي الأثيني إبّان عصر بيركليس في القرن الخامس ق.م.، أو الإسكندرية في عهد البطالمة بعد ذلك بعدة مئات من السنين، أو فلورنسا في عهد النهضة إبّان فترة أسرة ميديتشي في القرن الخامس عشر. ولو كانت حركة الترجمة هي الشيء الوحيد الذي نشكر عليه العباسيين، فإن ذلك ينبغي أن يكون بمثابة علامة فارقة في التاريخ الإنساني. لكن ذلك لم يكن الشيء الوحيد الذي نشكرهم عليه، فلم تكن حركة الترجمة سوى فاتحة للعصر الذهبي. ولذا فإنه ينبغي علينا قبل أن نستكشف طبيعة حركة الترجمة ومن

قام بها؛ فإنه ينبغي علينا أن ننظر عن كثب إلى الأسباب التي حدت إلى قيام تلك الحركة في المقام الأول. أما فيما يتعلق بالأسباب التي أدت في نهاية المطاف إلى أفول نجم العصر الذهبي، فإن ذلك مرده إلى مجموعة عوامل، ليست كلها واضحة للعيان، فالعديد من المؤرخين يسعون اليوم لسبر أغوار تلك الأسباب، بالذهاب إلى ما هو أبعد من مجرد التفسيرات التاريخية المفرطة في البساطة.

لكن لنلقي الضوء في البداية على الأسباب النمطية الثلاثة التي تُساق عادة لتفسير أسباب قيام حركة الترجمة وانتشارها. إنَّ السبب الأول يكمن في أن الحركة بدأت بناء على اهتمام واحد أو اثنين من الخلفاء المستنيرين. وهو أمر يمكننا أن نستنتجه من الاهتمام الشديد للخليفة المأمون بالفكر الأرسطي، وهو ما أدى في نهاية المطاف إلى اهتمامه طيلة حياته بالعلم الإغريقي. لكن الواقع أن حركة الترجمة بدأت في وقت أبكر من حكم المأمون، أي في عهد جده الأكبر المنصور، الذي يعود إليه الفضل في تأسيس مدينة بغداد. لكن عهد الخليفة المأمون شهد أكبر توسّع في حركة الترجمة. لقد كان اهتمام المأمون جزءاً من المناخ الثقافي المزدهر في ذلك الوقت؛ ولذا فبإمكاننا القول إن اهتمام المأمون كان نتيجة لحركة الترجمة والمناخ الفكري الثريّ الذي عضد حركة الترجمة.

أما تمويل حركة الترجمة، فقد أتى من مجتمع بغداد ذاته، فإلى جانب الخليفة، أسهم أفراد الحاشية، وقادة الجيش، والمسئولون الحكوميون، ورجال الإدارة، وحتى كبار العلماء في حركة الترجمة، بل أصبح بعضهم ثرياً من ممارسة الترجمة بنفسه، ففي عهد المأمون ذاع صيت بعض العلماء من أمثال حنين بن اسحاق، وهو عالم لم يعمل بمعزل عن غيره، فقد قام بتوظيف فريق من الطلبة والمترجمين وكتاب المخطوطات ليعاونوه. لكن يمكننا القول إنه لولا مساعدة الخلفاء أنفسهم ودعمهم، فإن حركة الترجمة لم يكن ليقدَّر لها أن تنهض على نحو ما قامت به في بغداد. لكن الحماسة والالتزام المعرفي للخلفاء الأوائل لم يكن سوى حلقة من حلقات هذه الحركة الفكرية.

و السبب الثاني وراء ازدهار حركة الترجمة، إنما يتمثل في انتشار الإسلام ذاته. فلما كان من واجب كل مسلم من الناحية الدينية أن يسعى لطلب العلم، فإن ذلك أدى بلا ريب إلى السعي للتعرّف على النصوص اليونانية العلمية والفلسفية وترجمتها إلى العربية. وعلى الرغم من أن الإسلام الأول قد شجع – بلا ريب – روح السعي إلى المعرفة والفضول بشأن الكون، وهو ما لم يكن واضحاً تماماً في المسيحية أو اليهودية؛ إلا أن ذلك لا يجيب عن التساؤل القائل: لماذا بدأت حركة الترجمة مع العباسيين، ولم تبدأ في أوقات أبكر؛ أي مع الأمويين على سبيل المثال؟

كما أن حركة الترجمة قد تخطت حدود الدين، فكان عدد كبير من المترجمين مسيحيين، ولم يكن ليتسنى لهم أن يلعبوا هذا الدور المهم، لو كان الدافع الرئيس من وراء الحركة هو دافع ديني وفقاً لتعاليم القرآن وأحاديث النبي. ولقد شمل رعاة الترجمة في المجتمع مَن هم ليسوا بمسلمين. إن تعاليم القرآن والأحاديث القائلة بضرورة السعي للمعرفة، كانت بلا ريب عاملاً ضرورياً في تطوير مدارس فكرية دينية وفلسفية وحتى علمية، لكن تلك المدارس بدأت في وقت لاحق لحركة الترجمة.

ويقودنا ذلك إلى السبب الذائع الانتشار لحركة الترجمة، إذ يرجع التقدير كله إلى المسيحيين الذين كانوا يتحدثون اليونانية، والذين عاشوا في مناطق كانت خاضعة فيما قبل للامبراطورية البيزنطية. وكان هؤلاء متبحرين في العلوم اليونانية، ومن ثم فقد نقلوا هذه المعرفة إلى العباسيين. لكن واقع الأمر مختلف إلى حد ما عن ذلك؛ فدراسة أعمال فلاسفة يونان من قبل أرسطو وأفلاطون، فضلاً عن بعض النصوص الطبية والفلكية، إنما يرجع في حقيقة الأمر إلى مراكز العلم البيزنطية كإنطاكية، وإديسا في شمالي سوريا، حيث قامت حركة ترجمة محدودة من اليونانية إلى السريانية (لهجة من لهجات الآرامية، وهي لغة سامية قديمة ترتبط بالعربية والعبرية). ولكن بعضهم يرى أن هذه الترجمات كانت منخفضة الجودة، مقارنة بما جاء بعدها، ولم تكن خاضعة لمتطلبات الدقة العالية أو متطلبات المراجعة الفكرية الشاملة.

ومع انتشار الإسلام في المنطقة بأسرها، أضحت الحواجز السياسية والدينية بين مختلف الفئات والطوائف أقل أهمية. وهكذا أصبح العلماء المسيحيون واليهود أكثر حرية في تقاسم المعرفة، في مناخ يتسم بأنه أكثر تعاوناً من ذي قبل، وذلك على الرغم من وجود بعض التوترات الدينية كتلك القائمة بين المسيحية والتلمودية اليهودية، أو الجدل الطائفي داخل الإسلام ذاته. ولكن انفتاح الإسلام الأول على باقي الديانات لا يفسر على نحو كامل ندرة الترجمات إبّان المائة عام الأولى من حكم الأمويين، مع زيادتها زيادة كبيرة بمجرد تولي العباسيين الحكم، فقد ارتحل العديد من المترجمين المسيحيين واليهود ذوي الصيت المرموق إلى بغداد، طلباً للشهرة والثروة.

ولذا، فإن كان الأمر لا يتعلق بانتشار الإسلام، أو بالخلفاء المستنيرين، أو بالعلماء المسيحيين الذين حملوا مشعل علم اليونان وفلسفتهم في العالم الإسلامي، فماذا كان الأمر، إذاً؟ كيف عرف المأمون، على سبيل المثال، بوجود أرسطو في المقام الأول؟ وعلى نحو أكثر عمومية، كيف أصبح العرب، أولئك القوم الرحّل الذين يعيشون في الصحراء، مهتمين، بغتةً، بفلسفة اليونان؟ الإجابة أنهم لم يهتموا بتلك الفلسفة إلا في أعقاب بداية حركة الترجمة.

لقد بدأنا نرى ترجمات للنصوص الطبية لجالينوس، ولفلسفة أرسطو، ولهندسة إقليدس، ولفلك بطليموس. كانت الترجمة الأولى لنص يوناني تتم عادة إلى اللغة السريانية، ثم تتم الترجمة من السريانية إلى العربية. وقد تلا ذلك القيام بترجمات أكثر دقة على نحو مباشر من اليونانية إلى العربية، بعد أن تم فهم محتوى النصوص الأصلية، وفهم اللغة اليونانية ذاتها فهماً تاماً.

ما هي، إذاً، أسباب حركة الترجمة؟ لقد رأينا أن المؤرخين يشيرون، قبل وصول العباسيين إلى الحكم، إلى ما يعرف بـ «أنشطة ترجمية» على نحو بسيط، فلم تكن الحركة قد بلغت أوجها بعد. وقد شملت تلك الأنشطة ترجمة نصوص فلكية وطبية من الهندية والبهلوية من الأمبراطورية الساسانية، ومن اليونان إلى اللغة السريانية إبان الامبراطوريات البيزنطية، والساسانية، والأموية. ثم حدث تحوّل درامي مفاجىء إبّان حكم الخليفة المنصور عام ٧٥٤م. وأرى أن هناك ثلاثة عوامل ساعدت في

بعث حركة الترجمة. لم تحدث هذه العوامل معاً، كما أن كل عامل بمفرده لا يمكّننا من فهم ما حدث. لكن وضع هذه العوامل إلى جانب بعضها بعضا يُمكّننا من الوصول إلى تفسير مقنع لما حدث.

كانت دمشق عاصمة الأمويين تشكل جزءاً من الامبراطورية البيزنطية الناطقة باليونانية، أما العباسيون فقد نقلوا عاصمتهم إلى قلب الشرق، فيما كان يُشكّل جزءاً من امبراطورية الفرس الساسانيين. ولم يكن ذلك من قبيل المصادفة؟ فذوي السطوة من العشائر الفارسية كالبرامكة قد ساعدوا العباسيين في الوصول للسلطة، كما واصلوا دعمهم، وكان لهم تأثير كبير في الحكومة لعدة أجيال متلاحقة. ومن ناحية أخرى، فقد كان العباسيون بحاجة لمساندة ذوي النفوذ من الفرس، كما أنهم عملوا على التأليف بين الثقافة والهوية العربية والفارسية.

لكن العربية أضحت اللغة الرسمية للامبراطورية، ومن ثم نشأت حاجة فورية لترجمة النصوص البهلوية إلى العربية، وقد مدَّ الخلفاء يد العون لهذا المشروع. وكانت بعض تلك النصوص بهلوية المصدر، إلا أن بعضها الآخر، مثل النصوص الطبية، والرياضية، والفلكية، فقد كانت مترجمة إلى البهلوية عن اليونانية، والهندية، وكان يتم استخدامها في مدن من قبيل جندياسابور. ولذا، فقد تمثل العامل الأول، ولعله الأكثر أهمية، في إحداث حركة الترجمة هو ما تمثل في هوس العباسيين بالثقافة الفارسية. وقد عبَّر عن ذلك أحد المترجمين الذين كانوا يبحثون عن الكتب الفارسية لترجمتها عن العربية؛ فعندما سُئِلَ ذلك المترجم عن سبب ذلك، أجاب قائلاً: «نحن العرب لدينا كل الكلمات، لكن الفرس لديهم كل الأفكار». إن هذه الحاجة للترجمة كانت تتم في بداية الأمر لأسباب عملية محضة، ولذا كان من الضروري أن يتم النظر إليها على أنها نافعة وضرورية.

وهنا يأتي العامل الثاني.. ألا وهو الهوس بعلم الفلك. إن الأيديولوجية الساسانية التي تستند إلى الخرافات الزرادشتية كانت مثار إعجاب الخليفة المنصور، الذي كان يهتم شخصياً بعلم الفلك. وكان ذلك الخليفة على علم باحتياجه للأرستقراطية الفارسية المؤثرة، وأغلب هؤلاء كانوا من الزرادشتية، ولم يتحولوا للإسلام. ولذا، فعلى الرغم من اهتمام الخليفة الذي لا مراء فيه بعلم التنجيم، إلا أنه قد توجد ثمة دوافع سياسية ما، وراء ذلك. إن علم التنجيم وهو صورة خاصة من صور علم الفلك، كان جزءاً لا يتجزأ من الثقافة الفارسية، كما أنه لعب دوراً مهماً في الحياة اليومية للفرس، وفي ذلك تناقض حادّ مع العرب، الذين يرون أن التنجيم يتعارض مع تعاليم الإسلام التي تربط علم الغيب بالله. لكن تأثير الساسانيين وثقافتهم على العباسيين هو الذي أدى إلى إحياء علم التنجيم في النصف الثاني من القرن الثامن.

لقد تم تعيين المنجمين في بلاط الخليفة، وكانت وظيفتهم التكهّن، وتقديم النصح والمشورة للخليفة، فضلاً عن تمجيد إنجازاته. لقد رأينا كيف أن المنصور استعان بأعظم ثلاثة من منجميه ليُعلموه بأفضل يوم لبناء عاصمة خلافته الجديدة.

وليس من الغريب إذاً أن نرى أن أول فرع «علمي» تم ترجمته من البهلوية إلى العربية كان

علم التنجيم. وكان من أول ما تُرجم هو كتاب زرادشت الضخم، وهو يضم خمسة أجزاء، ويُعرف باسم كتاب البدايات، وقد تم ترجمة هذا السفر الضخم فيما بين عام ٧٤٧م وعام ٧٥٤م.

لقد أصبح علم التنجيم، وهو العلم المختص بتحديد مواضع النجوم، علماً مقبولاً كفرع معرفي مستقل. وقد أطلق عليه في اللغة العربية اسم «علم النجوم». ولم يكن هذا العلم منفصلاً عن علم الرياضيات وعلم الفلك، إذ كان المهتمون بدراسة هذا العلم ينكبّون على دراسة الخرائط والجداول الرياضية لمواضع النجوم. ولذا فقد أدى هذا الاهتمام العباسي بعلم التنجيم إلى البحث عن النصوص الفلكية التي كانت موجودة بالفعل في اللغة البهلوية، أو تلك التي كانت لم تُترجم بعد من اللغة السنسكريتية، وهي لغة علماء الهند من رياضيين وعلماء فلك.

وقد كان الفضالي، وهو أحد علماء التنجيم الذين عملوا في خدمة الخليفة المنصور، والذي يُعزى إليه بناء أول اسطرلاب في العالم الإسلامي، كان كذلك مترجماً إذ تولى ترجمة العديد من نصوص علم الفلك من السنسكريتية إلى العربية. ويرى بعض المؤرخين أنه يُعزى إليه كذلك إتمام الترجمة العربية الأولى لكتاب السيدهانتا، الذي وضعه العالم الرياضي الهندي الشهير براهما جوبتا (٥٩٨ -٦٦٨م). ولعل ذلك كان اللقاء الأول بين العباسيين وعلم الفلك الهندي، وإن كان تاريخ وتوثيق الترجمة غير معروف على وجه الدقة، وذلك لوجود نوع من الجدل بين بعض علماء اليوم حول شخصية الفضالي، إذ يوجد الكثيرون ممن يحملون هذا الاسم في العصر العباسي.

وتعني كلمة سيدهانتا، وهي كلمة سنسكريتية، (المذهب) أو (المسلك). وقد وضع العلماء الهنود، كما جرى على ذلك العرف إبان تلك الحقبة، هذا الكتاب شعراً. ولكن براهما جوبتا لم يقدم أي برهان على نظرياته الرياضية في هذا الكتاب. وتُعرف الترجمة العربية لهذا الكتاب باسم «السند هند»، وقد كان لها تأثير عميق على علماء بغداد، وذلك إلى جانب كتاب المجسطي لبطليموس، وكتاب العناصر لإقليدس. ويبدو أن كتاب السيد هانتا قد تُرجم بادئ ذي بدء إلى اللغة البهلوية، ولعل ذلك قد تم في مدينة جندياسابور على يد الساسان. ولم يحتوِ الكتاب على جداول وخرائط للنجوم فحسب، ولكنه ضم كذلك عمليات رياضية وهندسية. وإن كان الكتاب يتسم بقدر كبير من الغموض، ما يجعل من العسير متابعته.

وهناك رواية مشكوك في صحتها لا تُرجِع ترجمة السندهند إلى زمن الخليفة المنصور، لكنها تشرح كذلك أسباب عدم الوضوح الذي يعتور النص. وتروي القصة كيف أن العرب فتحوا بلاد السند واستقروا بها (تمثل السند هند في الوقت الراهن أحد مناطق باكستان) في أول عهد الإسلام.

وعندما وصل العباسيون إلى السلطة، انتهز المسلمون المقيمون في منطقة السندهند الفرصة وأعلنوا استقلالهم. لكن المنصور لم يرض عن ذلك، وأرسل جيشاً لقمع التمرد. وبعد أن انتصر، وصل وفد من السند المهزومين إلى بغداد.

وكان في المجلس حكيم هندي يُدعى كانكاه، وكان يتكلم العربية والفارسية، وكان يتعين ترجمة حديثه الذي يصف عجائب الفلك

والرياضيات الهندية إلى الفارسية عن طريق مترجم فوري، ومن ثم إلى العربية عن طريق مترجم فوري آخر، وتلك عملية أدت في نهاية المطاف إلى غموض ما قاله. وقد كان ذلك الحكيم يصف كتاب السيدهانتا لبراهماجوبتا. لكن علماء المسلمين ومنهم البيروني في القرن الحادي عشر رفضوا هذه القصة من منطلق أنها لم تحدث على الأرجح، وقد ذكروا أن الأرجح هو أن السند هند كانت ترجمة لنسخة فارسية كانت موجودة بالفعل في مدينة جندياسابور. ولكن الحقيقة المرجّحة الوحيدة هنا هو أن السيد هانتا قد ترجمت مرتين في طريقها إلى اللغة العربية.

لكن حتى القرن التاسع، بدأنا نرى من بين علماء وفلاسفة المسلمين مَن رأى أن العقلانية والنزعة العلمية تتعارض مع التنجيم الذي لا يرقى إلى مصافٍّ علوم أخرى، كالرياضيات والفلك. ومع ذلك.. فقد استمر بعض علماء المسلمين في النظر باحترام لذلك العلم، ومنهم الخوارزمي. وقد مضى بعض العلماء لإبداء اهتمامهم بعلم التنجيم، حتى يحصلوا على دعم مادي لمشاريعهم، ومن هؤلاء العالم الفارسي الطوسي، الذي ادعى اهتمامه بعلم التنجيم ليقنع الحاكم المغولي هولاكوخان بتمويل مرصده الجديد في مدينة ماراجا في شمال غربي بلاد فارس في منتصف القرن الثالث عشر. لكن لو رجعنا إلى القرن الثامن لوجدنا ذلك الهوس الواسع بعلم التنجيم، وهو الأمر الذي أذكى شعلة الترجمة بالأعمال اليونانية.

أما العامل الثالث الذي لعب دوراً في توطيد حركة الترجمة، فقد تمثل في مصادفة الوصول إلى أنواع جديدة من التكنولوجيا. لقد أدى الوصول إلى علوم مثل الهندسة التي كانت مطلوبة لإنجاز المشاريع الهندسية كالجسور ذات الأقواس، والعجلات المائية والقنوات؛ أدى كل ذلك إلى ضرورة الحصول على بيانات فلكية دقيقة للتنبؤ بالأطوار المختلفة للقمر لتحديد الوقت بدقة، وكان لعلم الحساب دور حيوي في المحاسبة. وقد لعب كل ذلك دورا مهماً. لكن الأمر كذلك بالنسبة لكافة الحضارات السابقة، فبماذا إذاً نفسّر الزيادة المضطردة المفاجئة في حجم الأعمال المترجمة؟ الواقع أن وصول نوع محدد جديد من التكنولوجيا، هو الذي أدى إلى إحداث هذا الفارق.

لقد تم إنشاء أول مكان لطباعة الورق في الامبراطورية العباسية في مدينة سمرقند في آسيا الوسطى، على طريق الحرير بين الصين والغرب. وقد كانت تلك المدينة من أعظم المدن في الامبراطورية الفارسية حتى قبل وصول الإسلام بمئات السنين، كما أنها واصلت دورها بعد الإسلام كمركز للعلم. لقد هزم جيش المسلمين الصينيين عام ٧٥١م على ضفاف نهر الطلاس، على بعد مئات الأميال إلى الشمال الغربي من سمرقند في بلاد قرغيستان الحالية. ولقد سجل ذلك الانتصار العباسي ما يعد أقصى توسّع وصلت إليه سلالة التانج الصينية إلى الغرب، لكنه سجل كذلك أقصى توسّعٍ إسلامي للامبراطورية الإسلامية في شرقي آسيا.

وما يهمنا هنا هو أنه كان من بين من تم أسرهم من الصينيين، مَن كانت لديهم الدراية والمعرفة بصناعة الورق، وهو اختراع تم في الصين في القرن التالي. وقد تم نقل تلك المعرفة التكنولوجية إلى سمرقند. وقد كانت معرفة الصينيين ضرورية لبناء مكان لطباعة

الورق، وقد ساعد على ذلك توفر المواد الخام التي تدخل في صناعة الورق. وقد ظهرت أول مطابع بغداد في العقد الأخير من القرن الثامن.

وبالتوازي مع ذلك، ظهرت تكنولوجيا إنتاج الكتب؛ إذ تم تطوير الألياف والأحبار واللصق والجلود وأساليب تجليد الكتب، وكل ذلك ظهر إبّان وقتٍ وجيزٍ للغاية. وسرعان ما أضحى الورق أرخص مادة للكتابة، مقارنة بالبردي والجلود. وأصبح من الممكن إنتاج نُسخ متعددة من النصوص من جانب فريق متكامل من الكَتَبَةِ الذين كانوا يعملون جنباً إلى جنب.

وقد سبق اختراع الورق ذاته اختراع فكرة التجليد ذاتها. وقد استخدم الرومان والإغريق هذه الفكرة بادئ ذي بدء اعتماداً على البردي وجلود الحيوانات، ويقال إن صفحات القرآن على عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم قد تم الحفاظ عليها على ألواح خشبية.

ولذا، فإن حركة الترجمة تدين في بداياتها لذلك الشغف الذي حظيت به الثقافة الفارسية، وكذلك لعلم التنجيم الذي شغف به العباسيون، وإلى ظهور تكنولوجيا صناعة الورق التي تعلّمها العباسيون من الصين. لكن ما إن بدأت حركة الترجمة تكتسب زخماً، أدى الشغف بترجمة النصوص القديمة إلى بزوغ العصر الذهبي للعلم العربي. وقد حدثت زيادة مضطردة في عدد الكتب المترجمة على عهد هارون الرشيد (٧٨٦ -٨٠٩م)، كما بدأ المترجمون يترجمون نصوصاً طبية وفلكية ورياضية عن اللغات اليونانية والسريانية والفارسية والهندية. لكن حتى في هذه المرحلة المبكرة، كان المترجمون يُبدون حرصاً بالغاً في اختيار المخطوطات التي يترجمونها. وكان يُقاس تأثير العمل العلمي للترجمة بمدى تأثيره، وكذلك إضافته العلمية، مقارنة بما قبله. وقد أدرك المترجمون أن العديد من الأعمال مترجم عن أصول يونانية.

وسُرعان ما تم السعي للحصول على تلك الأصول اليونانية. وعند هذا المنعطف، تحول العلماء المسلمون، ورعاة الترجمة من الاهتمام بترجمة النصوص العلمية؛ كعلم التنجيم والطب والزراعة، إلى العلوم الرياضية وعلم الفلك. ولعل ما كان غائباً عن هذه القائمة المبدئية هما عَلَما الفلسفة اليونانية: أفلاطون وأرسطو. ولذا، فإن الحركة المتأخّرة للترجمة عن اليونانية والعربية إلى اللاتينية بدأت بالفلسفة، بسبب الرغبة في فهم تلك الأعمال العظيمة. لكن الاهتمام بالفلسفة على يد العلماء المسلمين جاء متأخراً نسبياً، لكنه انطلق بسرعة كبيرة نتيجة لشعور العلماء المسلمين بأنهم يفتقدون إلى الاستدلال ومهارات فن الجدل، لاسيما في المسائل الدينية وذلك مقارنة بالمهارات التي توافرت لنظرائهم من المسيحيين واليهود، الذين كانوا في ذلك الحين على إطلاع بأعمال أرسطو وأفلاطون، وكانوا من ثَمَّ أكثر دراية بمناحي الجدل المنطقي.

ومن المثير هنا أن نلاحظ أن عدداً من العلماء والفلاسفة اليهود قد أسهموا إسهاماً كبيراً في الفكر والثقافة في بغداد، وإن كانت أعمالهم قد كتبت في مجملها بالعربية لا بالعبرية. ومن هؤلاء؛ الطبري (حوالي ٧٨٦-٨٤٥م)، الذي أتى إلى بغداد، ويُقال إنه تولّى إحدى أولى الترجمات المعروفة، لكتاب

المجسطي لبطليموس إلى العربية. وكان هذا العالم الفلكي اليهودي الذي يعني اسمه حرفياً «ابن الحاخام الطبرستاني»، إشارة إلى مقاطعة في شمالي إيران، كان قد استقر في بغداد إبّان حكم الخليفة الراشد. وكان ابنه علي (نحو ٨٣٨-٨٧٠م) قد تحوّل إلى الإسلام، وألّف أول موسوعة عربية في الطب، كما أنه تولّى فيما بعد تعليم محمد بن زكريا الرازي، الذي أصبح أحد أكبر الأطباء في تاريخ العرب.

ويرى بعض المؤرخين أنه على الرغم من شغف العباسيين بكل ما هو فارسي، وبالتبعية لعلوم وثقافة الهند في الشرق، فإن حركة الترجمة بأسرها قد ارتكزت على علوم الإغريق، ولعل ذلك حقيقي إلى حدٍّ ما.

لقد أدى توسع امبراطورية الإسكندر الأكبر لتصل إلى تُخوم الهند، قبل الإسلام بعدة قرون، إلى نقل ثمار العلم اليوناني إلى ما وراء الجزر اليونانية، على الرغم من أننا لا ينبغي أن نغفل طرق التجارة البحرية من مصر، والتي لعبت دوراً مهماً في عملية النقل والترجمة. ويمكننا أن نزعم هنا أن هذه الحلقة التي كان مركزها اليونان، عبر الهند، ثم إلى قصور العباسيين في بغداد هي التي أدت إلى ازدهار حركة الترجمة. وقد وصلت المعرفة اليونانية كذلك إلى العالم العربي عبر المدن المسيحية المهمة كإنطاكية وإديسا، حيث ازدهرت الترجمة من اليونانية إلى السريانية في القرون التي سبقت وصول الإسلام إلى المنطقة.

ولعل العرب يدينون بالفضل كله، ولاسيما في مجالات الطب والفلسفة، لعلماء اليونان، من أمثال: أبو قراط، وجالينوس، وأفلاطون وأرسطو. والواقع أنه حتى في مجال الهندسة كذلك، لم يكن للهنود أو الفرس إلا معرفة محدودة. لكن من الظلم أن نغفل إسهامهم في تطور العلم العربي إبّان حركة الترجمة. لأن العالم الإسلامي، إن لم يتعرض لرياضيات الهند، لم يكن له أن يتعرف على مفهوم الأعداد العشرية، أو هندسة المثلثات وهي بالغة الأهمية في علم الفلك. والواقع أن علم الفلك العربي يعد امتداداً لعمل خبراء الفلك الفرس، وهو نفسه لم يكن له ليتطور من دون التعرف على الرياضيات الهندية.

والواقع أن هناك وجهة نظر خاطئة، تميل للتعاطف مع الثقافة والتاريخ الفارسيين، وهي تستند إلى أسطورة شيّقة، ولذا، ارتأينا أن نذكرها هنا. لقد غزا الإسكندر الأكبر الامبراطورية الفارسية عام ٣٣٣ ق.م وخلع آخر ملوك فارس، داريوس الثالث. وقد مضى موكب الإسكندر في بروسوبوليس عاصمة بلاد فارس، حيث وجد كتابات علمية في شتى الفروع التي رأى الفرس أنها مقدسة، والتي وصلت إليهم من زرادشت نفسه، وهو أحد أنبيائهم. وقد أمر الإسكندر بترجمة كل تلك النصوص من الفارسية إلى اليونانية، ثم قام بعد ذلك بالتخلص من النصوص الأصلية. وبعد ذلك بمئات السنين، أمر ملوك الساسان بجمع كل الأعمال اليونانية وأعادوا ترجمتها من جديد إلى اللغة الفارسية. وبهذه الطريقة برر الفرس استخدامهم للمعرفة اليونانية في الطب والفلك والتنجيم، لأنهم زعموا أن تلك المعارف كانت ملكهم، لكن اليونان استولوا عليها.

وقد كان الراشد عالماً وشاعراً، كما كان من كبار رعاة الفن. وفي عهده بدأ علماء المسلمين في دراسة الأعمال العلمية اليونانية والهندية على نحو جديٍّ، كما بدأوا في دمج تلك المعارف في الثقافة العربية. وكان بلاط الراشد في بغداد يعجّ بالفنانين، والموسيقيين، والشعراء، وعلماء الدين من كافة الأصقاع والأمصار. لكن وزيره جعفر البرمكي، وكان معلماً للخليفة المأمون في شبابه، هو الذي أشرف على مشاريع الترجمة الأولى. وكان للبرامكة، الذين دعموا وصول العباسيين إلى السلطة، ومن ثم فقد كافأهم العباسيون بتعيينهم وزراء، كان لهم اليد الطولى في إدارة الدولة. وكان البرامكة كذلك من أشد أنصار حركة الترجمة، وذلك بغرض رفد قصور الخلفاء بالثقافة الفارسية.

ومن الأسر الفارسية الأخرى التي دعمت حركة الترجمة عائلة بختشيوع. وقد تولى العديد من أفراد هذه العائلة بأنفسهم عملية دعم الترجمة، ولاسيما ترجمة النصوص الطبية إلى العربية. والواقع أن الفرس كانوا على دراية بنصوص أبو قراط وجالينوس، حتى قبل وصول العباسيين إلى الحكم، وكان يتم تدريس أعمال هؤلاء الأطباء في مدينة جندياسابور. ولعل أعظم المترجمين هنا، كان الطبيب والمترجم المسيحي حنين بن إسحاق، وكان أعظم مترجمي عصره.

ومن العلماء الذين استفادوا من الدعم الكبير الذي تم تقديمه لحركة الترجمة نذكر ثابت بن قرة (نحو ٨٣٦-٩٠١م) وكان صابئاً من مدينة حاران في شمال غربي تركيا الحالية. وقد تولى ثابت ترجمة أعمال أقليدس وأرخميدس وأبو لونيوس وبطليموس الرياضية، كما أعدّ كذلك ملخصات وافية لأعمال أرسطو. لكن ثابت كان كذلك رياضياً لامعاً، فوضع عدداً من الأعمال في الهندسة والإستاتيكا، والمربعات السحرية ونظرية الأعداد. وقد مضى إلى أبعد من ذلك، فوضع مؤلفات في الفلك عندما بلغ به العمر أرذله. وقد عيّنه الخليفة العباسي المعتضد فلكياً في قصره، وقد تُرجمت أعماله هو شخصياً فيما بعد إلى اللغة اللاتينية، وكان لها تأثير كبير على الغرب.

ومن المترجمين المسيحيين البارزين في بغداد في القرن التاسع، نذكر كوستا بن لوقا (توفي نحو ٩١٢م) وكان يونانياً بيزنطياً. وكان رياضيا بارعاً. شأنه في ذلك شأن أغلب مترجمي عصره. وقد برع كذلك في الطب والفلك والفلسفة؛ وينحدر أصله إلى مدينة بعلبك (هيليوبوليس) في سهل البقاع في لبنان. وقد دعاه بعضهم، شأنه في ذلك شأن حنين بن اسحاق، للتحوّل إلى الإسلام، لكنه لم يفعل. ومن بين الكتب التي ترجمها من اليونانية إلى العربية كتب ديوفنتوس الرياضية، وكتب أرستارخوس وهو أول عالم فلك يقترح وجود نموذج مركزي للنظام الشمسي، كما ترجم كذلك مؤلفات جالينوس. وقد وضع كوستا كذلك عدداً من الأعمال الأصيلة في مجال الطب والهندسة، بل وضع رسائل في الأسطرلاب، وهو أهم الأدوات الفلكية التي سبقت التلسكوب.

وعندما بدأت الحركة العلمية في الصعود إلى القمة، في النصف الأول من القرن التاسع، مع ظهور ترجمات لأعمال أصلية في مجال الفلك،

والجغرافيا، والرياضيات، والطب؛ بدأ العرب كذلك يبحثون في تلك العلوم، ما دعا إلى المزيد من الطلب على الترجمة الدقيقة للنصوص اليونانية إلى العربية. وقد ألهمت المعرفة التي تم الحصول عليها من تلك النصوص الكثير من العرب، لدرجة أنهم كرسوا حياتهم لدراسة تلك المواضيع. ففي عهد المأمون، كانت دراسة كتاب المجسطي لبطليموس تشكل جزءاً لا يتجزأ من الإعداد العلمي لأي عالم. وكانت المعرفة التي تم الحصول عليها من هذا الكتاب المهم هي التي مهدت الطريق لبناء المراصد الأولى في بغداد ودمشق إبّان حكم المأمون للامبراطورية الإسلامية. وقد عين المأمون في بلاطه علماء فلك، وتولى هؤلاء الدراسة المنهجية الدقيقة لرصد وتحرّي مدى دقة خرائط النجوم التي أتى بها بطليموس. وقد مهّد ذلك لعصر الفلك العربي الذي امتد لما يناهز سبعمائة سنة، وهو ما أدى في نهاية المطاف إلى بناء جسر علمي بين الإغريق وبين ثورة كوبر نيكوس في أوربا التي أدت إلى ميلاد علم الفلك الحديث.

وقد تُرجم العديد من النصوص اليونانية المهمة إلى العربية عدة مرات. ومن الأمثلة الجدّية على ذلك كتاب العناصر لإقليدس، والذي كان له تأثير بالغ الأهمية على علوم الرياضيات في العهد الإسلامي. وقد تولى الترجمة الأولى لهذا الكتاب الحجّاج بن يوسف إبّان حكم الراشد في بداية القرن التاسع. ثم تولى المترجم نفسه إعداد ترجمة ثانية لذات الكتاب للخليفة المأمون. وقد ترجم النص كذلك حنين ابن اسحاق، ثم تولى ثابت بن قرة تصحيح ترجمة حنين. وفي نهاية المطاف، تولى الطوسي عملية الترجمة للكتاب نفسه بعد الترجمة الأولى نحو أربعة قرون. ولعل الكتاب قد أخذ طريقه إلى أوربا على يد هذه الترجمة المتأخرة إلى اللاتينية. ويُقال إن الخليفة المنصور كان على دراية بكتاب العناصر، وقد أخبره بذلك عدد من القساوسة المسيحيين، فأمر بنسخة من الامبراطور البيزنطي. لكن هناك جدل حول دقة الترجمة العربية لكتاب العناصر على عهد المنصور، كما هو الحال بالنسبة للكتب الرياضية التي تم ترجمتها مبكراً في عهد العباسيين.

لكن حركة الترجمة وصلت إلى نهايتها مع النصف الثاني من القرن العاشر، ولا يُعزى ذلك إلى تراجع الاهتمام بالعلم، ولكن لأن حركة الترجمة وصلت إلى أوجها، فلم تعد هناك حاجة ماسّة إليها. لقد تم عند ذلك التاريخ ترجمة كل الأعمال المهمة، وإعادة ترجمتها، ودراستها، والتعليق عليها، وهو ما أدى إلى ظهور العلم العربي. والواقع أن بعض أهم الأعمال اليونانية العظيمة، ككتاب المجسطي لبطليموس، لم يعد يُنظر إليها على أنها تمثل «قمة التطور العلمي»، حيث تجاوزتها أعمال أكثر تطوراً في مجال الفلك. وعند ذلك اندمجت الحركة العلمية في مناخ بغداد الثقافي. لكن أعظم علماء الإسلام كان قد سبق هذه الفترة بجيل كامل وما تزال حياته وإنجازاته يحيط بها الغموض، وهو يُعرف في الغرب باسم جابر الكيميائي.

---

* هذه ترجمة للفصل الثالث من كتاب: Jim Al-Khalili (2012). Pathfinders: The Golden Age of Arabic Science. Penguin Books, London, UK (pp. 35-48).

** أستاذ باحث بمعهد لشبونة الجامعي، لشبونة، البرتغال.



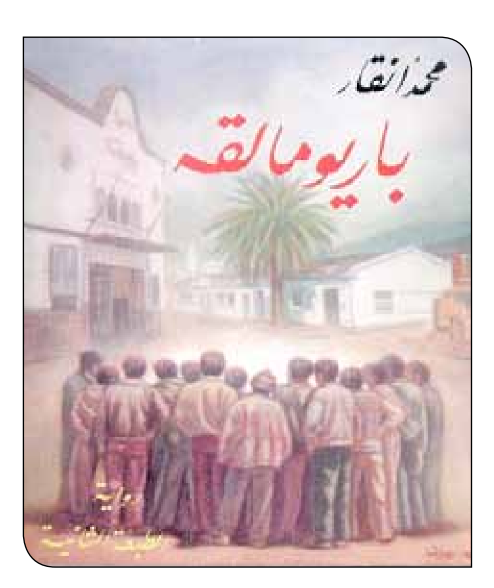
رواية شيخ الرماية:
نحو رؤية سردية جديدة للعالم

■ رفعت الكنياري*

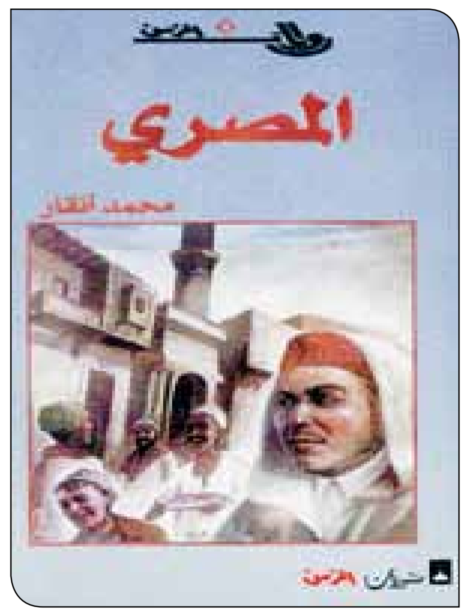
بعد روايَتَيّ «المصري» و«باريو مالقة»، يطالعنا الكاتب والناقد الأكاديمي المغربي محمد أنقار برواية جديدة موسومة بعنوان: «شيخ الرماية». وهي رواية من الحجم المتوسط، تتوزّع أحداثها على ثلاثة فصول، يحمل كل فصل اسم شخصية مفصلية؛ لتلعب عتبة العناوين الرئيسة والثانوية دور الدعائم الأساس في توجيه دفّة الأطروحة التي تتبناها الرواية، وفي فرض سلطتها الجمالية، ضمن نسق محكم النسج، ودهاء روائي نتج عن مراس في الأدب وفنونه. كذا، بالنقد ومعاييره، إذ رواية محمد أنقار هي رواية ناقد له تصوّره الخاص عن الأدب، وعن الحساسيات الجمالية، والذي بلوره في ما يُعرّفه هو بمشروع الصورة الروائية[1]. كما أنها رواية رجل خبر السرد وأفانينه، وذلك بأنه راكم مجموعة من النصوص القصصية قبل أن يكتب الرواية الأولى له، والتي صدرت عن منشورات الهلال المصرية بعنوان «المصري».

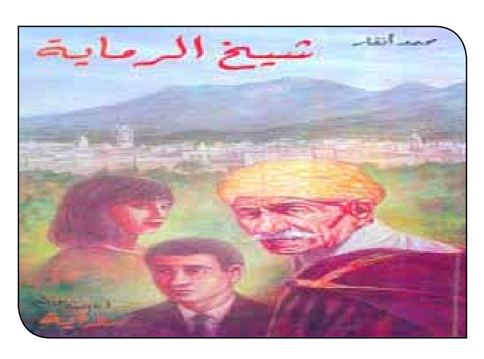
الأدب عند أنقار، إذاً، مشروع إنساني، يبحث فيه الإنسان عن ذلك «الإنسان الذي يسكننا»؛ فقد بعدت الشقة بين الإنسان ونفسه، فصار يراها من خلال ما يصوّره له هذا العالم المخيف، لا يرى نفسه إلا من خلال مرآة الإعلام ومفاهيم الاستهلاك، لقد ضاع الإنسان في تيه المادة، وما الأدب إلا شوق الروح إلى معينها المترقرق الأول، وعودة بها إلى لحظات الإشراق الأولى حين كان الإنسان يتعرف على الأشياء بسذاجة. لذلك، فإن مهمة الكاتب هي مسلة تلك الأمور التي أصبحت تبدو لنا بدهية، والتغلغل في عمقها ومعرفة سرها المكنون، وفي

النهاية الكشف عن أنماط إنسانية أخرى غير الأنماط «الشائعة» والتي يمكن أن تكون أكثر إنسانية مما نعرفه الآن حتى عن أنفسنا. يقول عبد الرزاق وهو أحد أبطال الرواية: «أشعر الآن بارتياح إثر إسهامي في مساعدة محمد على صياغة أخباره، وحكايات جده، وتفاصيل بعض مغامراته النسائية؛ بل حتى مساعدته على الاقتراب من فهم نفسه، من خلال الإنصات إليه ومشاركته وجدانيا» ص٢٢. إنها فلسفة عميقة.. وفي نفس الآن لطيفة، تقدم لك العالم في رؤية شفيفة، وتترك لك المجال لتعيد قراءة ذاتك في ضوء حساسية جديدة تنطبع في كيانك على إثر تغلغلها فيه، وذلك بدهاء لا يتسنى إلا لكبار الروائيين الذين أثّروا في العالم أكثر من عظماء القادة وكبار المفكرين أحيانا.



الرواية تسرد قصة محمد، الإنسان البسيط الذي يبحث عن حكايات جده شيخ الرماية؛ ونظرا لأنه لا يمتلك الكفاية اللغوية والقدرة الإبداعية على صوغ الأحداث، فإنه سينيط بصديقه عبدالرزاق مهمة مساعدته على كتابة الأحداث. ينطلق الصديقان في مغامرة البحث عن الشيخ، وهناك تعترضهم صعوبات ذلّلوها بالإصرار والكدّ، متتبعين مآثر شيخ الرماية، وكل منهما تحرّكه نوازع إنسانية تجمعها في بوتقة واحدة الرغبة في تحقيق الذات الضائعة. فمحمد، الباحث عن سرِّ الجدِّ، يحمل رغبات ظاهرة تتعلق بالرغبة في الكشف عن الإرث القديم لجده، إذ يعمل التداعي الذي تتيحه له المرويات التي يجمعها من فم الشيوخ، ومن القرى المتاخمة للمدينة،





بل ومن المكتبات الوطنية.. فقد تجشّم عناء السفر مراراً في الرواية. يعمل هذا التداعي على خلق رغبة في الحياة لديه، كما أنه يعوّض النقص الذي يحسّه تجاه النساء جراء إخفاقاته المتعددة تجاه هذا الجنس اللطيف. كما أن هذه التقنية في البحث تخلق إمكانات سردية ممتعة تشدُّ القارئ إلى الأحداث، وتقحمه في تساؤلات النص.

سيستمر الصديقان في البحث إلى أن يصلا إلى دوار الشقاقرة، حيث سيعثران على خيط القصة؛ وهنا سيتمحور الحكي حول شخصية الشيخ الخارقة. إذ سترد أخباره على شكل مرويات خصص لها الكاتب الفصل الثالث والذي عنونه بـ«الشيخ». هذه المرويات هي زبدة ما كان يبحث عنه الصديقان. وهي تراوح ما بين أخبار عادية وأخبار كرامات خارقة يتحد فيها العجيب بالغريب بالواقعي، كما أنها تسرد بشكل محايد لتترك القارئ في دهشة من أمره أمام هذا الركام العجيب من الأحداث. حيث يصبح الخيالي بمنزلة الحقيقي والعكس.

إنَّ «شيخ الرماية» نص يحاور بشكل غير مباشر مفاهيم كرّسها الفكر المابعد حداثي، والذي قدّس العلوم الإنسانية على حساب الإنسان وكينونته وعالمه الداخلي الذي يحتاج إلى مزيد من التأمل والإنصات. لذلك، فقد حملت الرواية على عاتقها لواء فهم الإنسان بما هو إنسان. الإنسان الذي يبحث عن حلول لكومة الأسرار التي أحاطه بها الوجود، هذا البحث المتواصل هو الذي حقق المعرفة. فأي معرفة هي التي تحقق معرفة الإنسان بوجوده أكثر؟ يجيب تودوروف بأن الهدف النهائي للأدب هو تحقيق معرفة أعمق بالإنسان.

إن بحث مَحمد عن سر جده «العارف» وعثوره على مروياته الخارقة في نهاية المطاف، لهو دعوة إلى إعادة النظر في الخيالي والخارق بما هما جزء لا يتجزأ من كياننا الإنساني. فلربما في ذلك الخارق من العقلانية ما لا نعيه، ولكن علينا أن نحسن الإنصات إلى نوازعنا الدفينة، فما تمارسه الحياة بضغوطها علينا الآن لا يعدم «لاعقلانية» عما نراه في الأسطورة، فنحن نعيش الأسطورة من جديد.

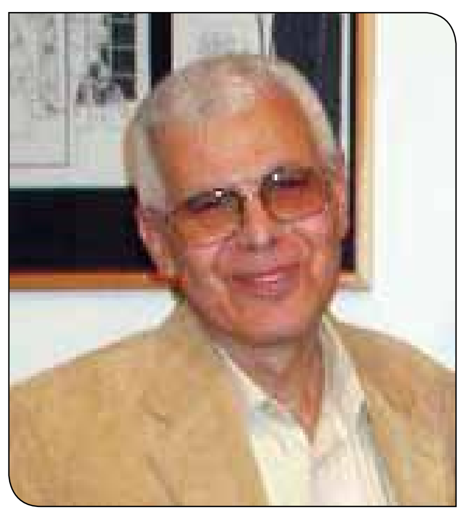
على أساس هذه المغامرة الطريفة، يبني النص إمتاعه، ويجعل المتلقّي يتورط في عملية تتبع الأحداث بشغف، وفي الآن نفسه ينخرط في عملية التفكير التي يدعوه النص من خلال فلسفته الداخلية إلى ممارستها، ويصوغها لك الكاتب في ثوب قشيب، مليء بالمتعة والإثارة.

يقول ميلان كونديرا: «لا يمكن للإنسان أن يدرك ماذا عليه أن يفعل لأنه لا يملك إلا حياة واحدة، لا يسعه مقارنتها بحيوات سابقة ولا إصلاحها في حيوات لاحقة». مَحمد رمز للإنسان في بحثه عن معرفة نفسه، والسبيل أحد أمرين: الغوص في الماضي، في الأصل.. واستشراف تجليه في المستقبل. وهو ما تمثل في بحثه عن جده الذي يمثل أصلا مشرفا يعود إليه. أصل يمثل المعرفة الصحيحة. أو ليس العالم العربي الآن ينظر إلى الماضي بالنظرة نفسها؟ مَحمد يبحث، أيضاً، عن امتدادٍ له في المستقبل، من خلال البحث المتواصل عن شريكه عمر. لماذا لا ينجح مَحمد في

الحصول على امتداد في المستقبل، فيفشل في جميع علاقاته مع الجنس الآخر؟ ألأنه لا يريد أن يتنازل عن ترفعه لمصلحة امرأة؟ أم لأنه ما يزال ينظر إلى المرأة على أنها شيء؟ شيء يزعج إذا ما ناقش أو أبدى رأيا!؟

الرواية أيضا جاءت نتيجة حوار مع أعمال إبداعية عالمية، ومشاركة لهذا الركام الأدبي في تحليل الإنسان، إذ كرّست مبدأ المغامرة كما هو الحال مع سيرفانتس الذي يرى أن فهم العالم شيء غامض، يتطلب قوة لا تقل عظمة عن «أنا ديكارت»، كما يرى «كونديرا». لذلك، فـ «محمد» الإنسان البسيط من الناحية الثقافية يخوض المغامرة، يساعده في ذلك عبد الرزاق الأكثر ثقافة. يجب على الكل مهما كانت ثقافته أن ينخرط في مشروع البحث عن الذات، أما مبدأ التفويض الذي يعيشه العالم العربي فلن يؤدي بنا إلا إلى مزيد من الانطماس.

تسبر الرواية اللحظة الماضية بكل غموضها. تعيد كتابة التاريخ برؤيا أكثر حيادية. تعيد إلى الحاضر لحظات الماضي، كما هو الحال عند بروست، وتترك للقارئ حق تنظيم التاريخ وقراءته. ثم تلاعب اللحظة الحاضرة التي لا يمكن القبض عليها. إنها لحظة مائعة



الكاتب محمد أنقار

تماماً، كما هو الحال عند «جويس».

لقد عكفت «شيخ الرماية» - خاصة الفصل الثالث - على تأمل تدخل اللاعقلاني في السلوك البشري، كما هو الحال في روايات «تولستوي»، باعتبار اللاعقلاني يدخل ليس بالضرورة في الواقع، إنما في الوجود بوصفه حقلا للإمكانات الإنسانية. فهل يبني الإنسان معرفته بوجوده من خلال نظرة أحادية محكومة بشروط «علمية» تبث كل يوم نسبيتها.

يبدو أن شيخ الرماية تحاول أن تؤسس لفهم جديد للعالم والوجود.

---

* كاتب من المغرب.

(١) انكفأ الكاتب، منذ بداياته الأكاديمية، على تطوير تصور نقدي يروم تطوير أدوات بلاغية جمالية وتداولية لقراءة الأدب الإنساني، وقد كتب في هذا الصدد كتابات نقدية منها: بناء الصورة في الرواية الاستعمارية، صورة عطيل، بلاغة النص المسرحي، ظمأ الروح أو بلاغة السمات في رواية نقطة النور.. وقد أثبت الناقد والكاتب محمد أنقار عن كفاية تحليلية مستغرقة لهذا المعيار الذي يُعرّفه في أحد حواراته بأن: «الصورة ليست مجرد حلية بلاغية، وإنما هي وسيلة تواصلية إنسانية، نسخّرها يوميا في حياتنا المعيشة، ونستغلها في شؤون تفكيرنا وكتاباتنا، أحلامنا وكوابسنا. وفي ضوء هذا الخاطر التداولي أحدس أن الصورة قد تنوب عن البلاغة برمّتها، أو عن مجموع ألوان التوشية تعبيرية، أو أن تغدو بابا من أبواب البلاغة الرئيسة».

خزانة شهرزاد

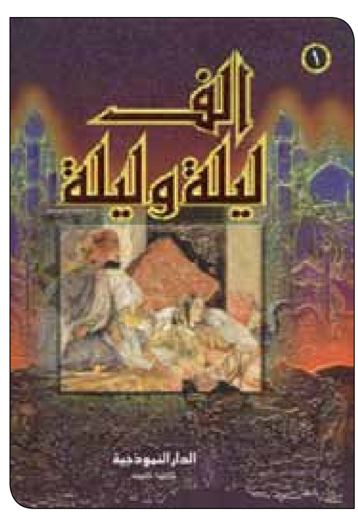
نحو قراءات جديدة للأنواع السردية
علبة الأسرار ومستويات المحكي العجائبي

■ رشيد الخديري*



يُمثّل كتاب «خزانة شهرزاد، الأنواع السردية في ألف ليلة وليلة» للباحثة الدكتورة سعاد مسكين إضافة في نوعه للمكتبة السردية العربية، منجزا نصياً وأفقاً متخيلاً وتمثلات جمالية ووظيفية لمفهوم الأنواع السردية؛ وليس جزافاً أن تختار الباحثة كتاب «ألف ليلة وليلة»، موضوع دراستها ومحور انشغالها؛ بل هذا الكتاب يمثل نموذجاً حيا من نماذج الكتب التراثية التي يُراهَن عليها من أجل تأثيث الأعمال السردية. ولاشك أن «كتاب ألف ليلة وليلة» له قيمة تاريخية وهوياتية وجمالية؛ فهو يعكس تلك العلبة المملوءة بالأسرار والمحكي العجائبي وتمثلات الخيوط السردية. أشارت سعاد مسكين في مقدمة الكتاب إلى أن «الليالي» بمفهومها الثقافي الفكري تعكس الوعي الكلّي بالأنساق والنظم الحكائية والبنائية، وقد تُمكّننا من صياغة نظرية سردية عربية، بمقدورها محاكاة الواقع العربي، والخروج من جدلية الحقيقة والوهم في دراسة المصادر التراثية التاريخية.

وقد حاولت الباحثة رصد مكونات الخطاب السردي في «ألف ليلة وليلة»، من خلال طرح بعض الأسئلة الافتراضية كمحور للاشتغال على الأنساق الدلالية والبنائية، كشكل من أشكال الخروج من «المأزق» النظري نحو وعي جديد بقيمة التراث العربي السردي. وثمةَ سؤال جوهري مُحدِّد لطبيعة هذه الأنساق: هل يمكن لتجلٍّ نصيٍّ مثل «ألف ليلة وليلة» أن يولِّد لنا نظرية في الأنواع السردية؟ سؤال كهذا يبدو متاهة في ظل ارتباط النظريات السردية بمعيارية الخطاب





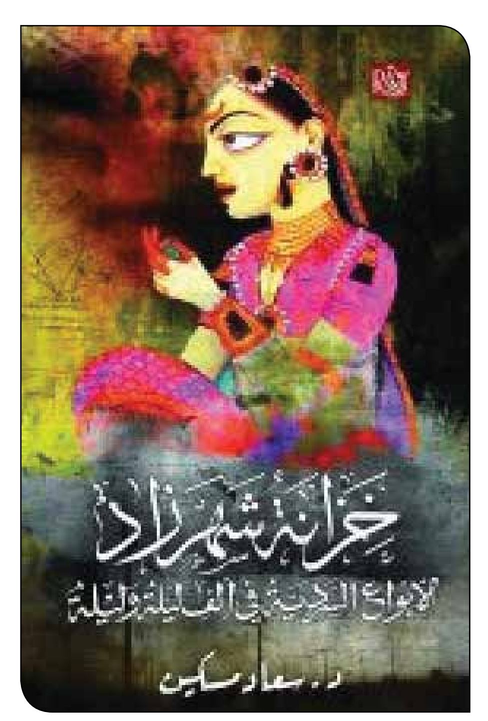


وانشغاله بالتحوّلات العميقة للأنساق السردية، نتيجة الاحتكاك بـ«المناهج الوافدة» من الضفة الأخرى من جهة، ثم من جهة أخرى تجدُّد الوعي الإنساني والعقل العربي بشكل خاص؛ رغم أن سعاد مسكين حاولت المزاوجة بين ما هو تنظيري وما هو تجريبي في أفق تأسيس نظرية الأجناس الأدبية، ككيان متحرك ومتجسد داخل الممارسة السردية بصفة عامة.

إنَّ الباحثة سعاد مسكين من خلال نبشها في هذا الكتاب، تحاول «استنبات» قراءات جديدة للمتن السردي، وتجاوز المتون السردية القديمة مستفيدة- كما قلنا- من النظريات الوافدة برؤاها الحديثة للأعمال الأدبية، ولا غرو أن هذا الحفر العميق في «الليالي» لكونها مصدر الحكي يُعَدَّ مجازفة في لملمة تصورات حكائية لخزانة شهرزاد، وهذا ما أشار إليه الدكتور سعيد يقطين في تقديمه للكتاب؛ كون الموضوع معقد وشائك، وما يزال يثير الكثير من الأسئلة فيما يتعلق بنظرية «الأجناس الأدبية»، رغم أن سعاد مسكين سعت من منظور مختلف إلى ترتيب هذه الخزانة الثرية وفق تصورات أجناسية جديدة، ومن ثم يبقى رهان مقاربة النظم الحكائية وأنساقها داخل النص محكوم بطبيعة هذه الأنظمة وطرق تفاعلها مع باقي المستويات الأخرى. كذلك تنبهت الباحثة إلى السمات العامة التي تميزت بها الأنواع السردية، وحاولت جاهدة تفكيك علبة الأسرار بالإتكال على دراسة الصفات المتغيرة والمتحوّلة لليالي، وتصنيفها وفق «فهرسة» جديدة تراعي الخصوصيات السردية، فوضعت كل نوع سردي في إطاره المناسب ضمن نسق نقدي يعتمد على ثلاثة معايير: الشكل- الموضوع- الوظيفة، تحققا للمقصدية النصية في انسجام تام مع التشكّلات الخطابية، كما

أنها ركزت على عنصر «الثقافة الشفهية» في تمرير الخطاب، والذي يحتمل الصدق أو الكذب، في إشارة إلى الراوي والمروي بين الأمانة والوثوقية. وإن يكن، فخزانة شهرزاد بقدر ما تعتمد على التلقائية في السرد والحكي، فإنها خاضعة أيضا لسرد تراكمي يروم التجاور بين المحكيات لا تجاوزها. وفي هذا الإطار ميّزت سعاد مسكين بين الحكاية الجادة أو «الحكاية القدرية» التي تتحكم في مصير الذات والفرد، ثم الحكاية الهزلية التي تتميز بطابع المفارقة والمغايرة، والحكاية العجيبة التي تسعى إلى تحيين الممكن والمحتمل.

هذا الكتاب يحاول الكشف عن الأنواع السردية وتمظهراتها داخل عالم مسيّج بعوالم شتى؛ لاسيما أن «ألف ليلة وليلة» يُعَدُّ كتابا تراثيا ينشغل أكثرَ بسرود داخل السرد، لذلك فإن الخصيصات البنائية والجمالية



والوظيفية خاضعة –بالضرورة– لمنطق سردي يروم التعبير عن مواقف تاريخية وإنسانية وثقافية واجتماعية، للتخفيف من مظاهر الاختلال النفسي والعاطفي الذي تعيشه الذات كنوع من التحدي، أو ردة فعل تجاه القيم السائدة.

لا شك أن سعاد مسكين لم تخرج عن الإطار النظري للأنساق السردية، لكن هذا الكتاب –في جوهره– يبقى دعوة صريحة للنقاد والباحثين في التراث من أجل تتبّع هذا المشروع وتبنّي أفكاره المرجعية، والاستفادة منه في إضاءة المتن السردي العربي، ومتابعة التطورات النقدية التي يعرفها النص التراثي العربي بشكل خاص.



* شاعر وناقد من المغرب.



«غيثة تقطف القمر»

أو البحث عن الوطن المستباح

■ محمد العناز*

صدر عن دار الأمان بالرباط، رواية جديدة للأديبة والناقدة المغربية زهور كرام. الرواية تحمل عنوانا دالاً «غيثة تقطف القمر»، والرواية من الحجم المتوسط موزعة إلى عشرين مقطعا مكثفا.

تتناول الرواية حكاية فتاة اسمها «غيثة» تجد نفسها في السجن بسبب فضحها للفساد. وهي تعمل بجريدة «الفيترينا»، وبسبب جرأتها الفاضحة للسيد «سيدا» ستزج في السجن، ليتخلى عنها زوجها ومحيطها.. تخرج «غيثة» من السجن؛ تستعيد الماضي الكئيب الذي حولّها إلى فتاة شاحبة وكئيبة، تسكّن جراحها بأقراص تداوي كل شيء، يظل جرحها غائرا عصيا عن الفهم، تنخرط في المجتمع من جديد، لتكتشف الأمراض والأوهام التي لصقت به؛ تتأمل الانتهازية وهي تنخر أعماق المجتمع، تتأمل الأوهام التي تتحول مع مرور الوقت إلى حقائق ثابتة، تتأمل أسرتها وهي تنهار، وكيف أن زوجها تخلّى عنها بمجرد استدعائها للاستنطاق، الزوج الذي آمنت ببياض قلبه، لكنه مع ذلك كانت تشك في تلك النقطة السوداء التي تعمر قلبه، وتغذّي مشاعره تجاه القبيلة التي تسكنه وتسكن عائلته. تخلّى عنها لأن بطنها لم ينتفخ، تخلّى عنها لأنها أصبحت تشوّش على مستقبله الوهمي.. تتخلّى عنه لأنها تؤمن أن الجرح لا يخون.

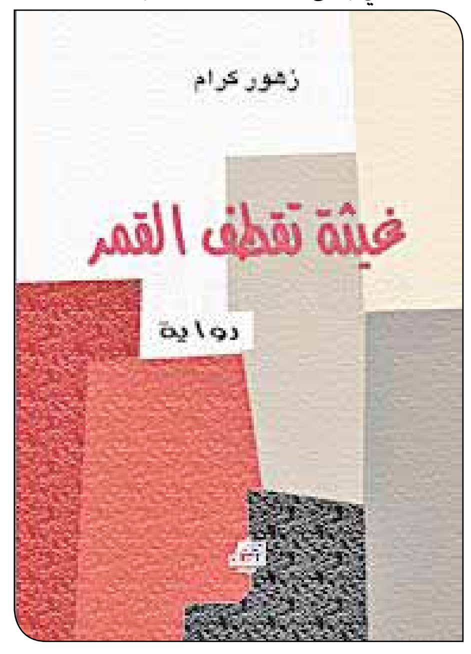
تخرج من معتقلها إلى معتقل الحياة لتواكب انهيارات جديدة، لتواكب حلم شقيقها عمر في الهجرة إلى الديار الإيطالية؛ قصد العودة بسيارة حمراء تلهب مشاعر بنات الحيّ؛ تواكب والدتها وهي تنهار محلّقة في السماء دون عودة؛ تعيد ترميم خساراتها. شقيقها عمر يكتفي بالانتماء إلى مجموعات المعطلين الذين يطالبون بالعمل، بينما «غيثة» تعود إلى الجريدة لكي تفهم سؤالا محوريا: لماذا تخلت الجريدة عنها وهي في غياهب المعتقل؟ تكتشف أن جريدتها أضحت في ملكية «السيد السيدا» الذي يطرد أنفها المتلصصة على الروائح. تخرج من سجنها إلى خالد الذي يستوعب حماقاتها وتهورها، خالد يبارك خروجها من السجن، ويشرع


زهور كرام

لها قلبه، كيف تنام فيه عارية؟ لكنها تؤجّل كل شيء؛ تؤجل قراءة رسالته التي يعرض فيها على عمر أن يشتغل معه في مشروعه كمستشار قانوني، حتى تتجاوز الألم ويتجاوز عمر العبث، وجاء خالد حاملا معه البشارة لعمر، لكن عمر هو الآخر حلّق في اتجاه والدته، مخلّفا وراءه غبار الكآبة والألم؛ فترحل «غيثة» إلى قدرها، ترحل إلى مكاتب التحقيقات للتأكد من تورطها في موقع إلكتروني يفضح فساد «السيد السيدا»، تخرج سالمة وفي قلبها هدف واحد.. هو فضح «السيد السيدا»، تعود إلى الكتابة عشقها الأول والأخير، تكتب مقالها «غيثة تقطف القمر»؛ لأن الوطن لن يعود إلا بالحب.

«غيثة تقطف القمر»، رواية بمذاق خاص، فقد كتبت بروية وهدوء، والقلق الذي تحدثه الرواية لم يكن قلقا عبثيا بقدر ما هو قلق مخطط له؛ فبقدر ما هي رواية مكثّفة وموجزة من حيث المساحة الورقية والبنية التركيبية للجملة، إلا أن هذا الإيجاز والتكثيف عمّق أحاسيسنا، وجعلنا نعيد فهم المسافات الحاصلة بين الأحداث، لنعيد ترتيبها وفق وعينا الجمالي والمعرفي؛ رواية تتكلم باسم الطبقة المتوسطة، أو الطبقة المتنورة، ومن خلالها نفهم تمثّل الوطن عند الشعب والنخبة المثقفة والنخبة الفاسدة، وهي الطبقات التي تنتج تصوّرا خاصا للوطن، يتراوح بين الحب والانتهازية والاستغلال. و«غيثة» تمثل صوت الوطن المندحر، إنها تميل إلى صنف البطل الإشكالي الذي لا ينهزم، ويتحدى الإعاقات؛ بينما عمر يمثل صورة المجتمع الانهزامي الذي يبحث عن الحلِّ الأسهل؛ أما السيد سيدا، فهو يمثل الطبقة الفاسدة التي تستغل ثروات البلاد والعباد، وكي تحافظ على مكتسباتها تقمع كل صوت قد يفضح رائحتها.. إنه كل حدث أو شخصية ينبني على دلالة إيحائية احتمالية مفتوحة، لن تتحقق إلا إذا قمنا بإعادة إنتاج المحكي السردي وفهمه في تعالقه السردي.

كما لجأت زهور كرام إلى إيقاع سردي سريع، بهدف مواكبة التحولات السريعة التي يعيشها المجتمع بطبقاته، بوساطة لغة توزّعت بين المخيال الواقعي المباشر والشاعرية الإيحائية، مع التنويع في ضمائر السرد، وتداخل الأزمنة.. هي رواية ممتعة لا شك أنها ستخلق الكثير من الأسئلة في وطن الحكاية، أقصد وطننا..



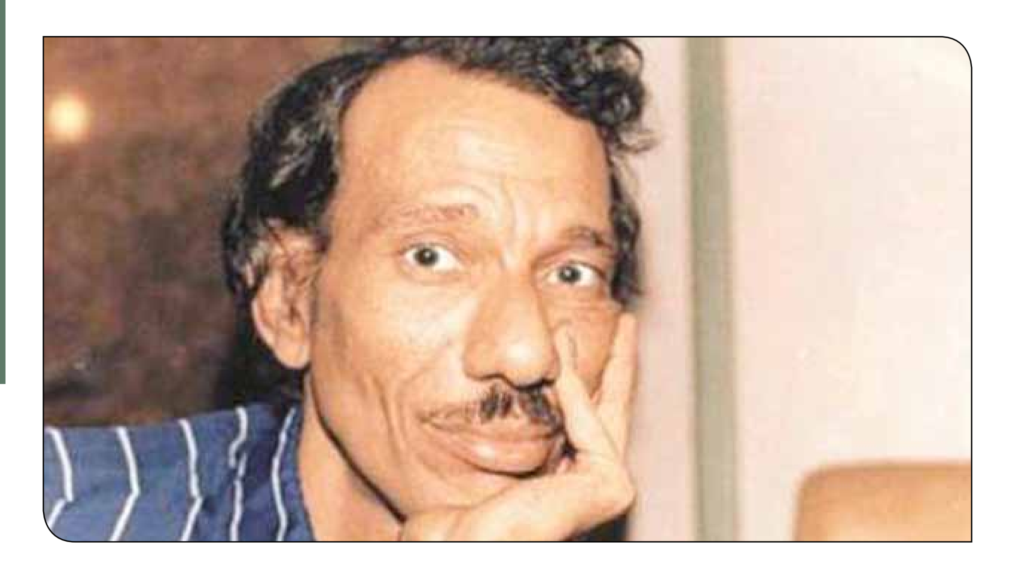
أوراق الغرفة (٨)
شعرية التأمل الوجودي على شفير الموت



هشام بنشاوي*

مَن يقرأ ديوان "أوراق الغرفة (٨)" للشاعر العربي أمل دنقل (١٩٤٠-١٩٨٣م)، وهي الغرفة ذاتها التي أقام فيها أمل دنقل أكثر من عام ونصف في معهد الأورام، سيلمس ذلك الوعيّ الشقي والحاد لدى مبدعنا مرهف الإحساس، والذي يدرك بحدسه أن أيامه في الدنيا باتت معدودة، وسيلاحظ هيمنة وطغيان ثيمة الموت، إذ تتكرر مفردة الموت ومشتقاتها كالرصاص، الدم، السكين، التراب.. في القصيدة الواحدة أكثر من مرة، وهذا يعزى إلى الظروف النفسية للشاعر، وهو ينتظر الموت كخلاص من عذابات السرطان الذي نخر جسده النحيل. أمّا كشاعر.. فقد انتصر على المرض الخبيث، وترك للأجيال هذا الديوان الخالد في القلوب، وسيجد القارئ نفسه منبهرا بصوره الشعرية النابضة: «هل أنا كنت طفلا../ أم أن الذي كان طفلا سواي»، وهو الجنوبي الذي يخشى قنينة الخمر والآلة الحاسبة، ويشتهي أن يلاقي «الحقيقة والأوجه الغائبة»، ولعل «الجنوبي» عكس بقية قصائد الغرفة ٨ موغلة في الأسى الشفيف والانكسار النهائي، كأنما الشاعر يرفع الراية البيضاء، وينتظر مصيره المحتوم في استسلام موجع. وعلى الرغم مما قيل عن أمل دنقل، ونعته بالشاعر الصعلوك، فقد بقي وفيا لقضية شعبه، للبسطاء الذين كان واحدا منهم، عميق الارتباط بوعي القارئ ووجدانه، كما تشي بذلك قصائده اللاذعة، عفوية التعبير، من دون التواري خلف بهرجة اللفظ، وتزييف الحقائق، كما يفعل الكتبة والمتشاعرون.

في قصيدة «ضد من؟ ».. على السرير الأبيض، يبدو للشاعر اللون الأبيض - رغم نقائه وطهارته- معادلا جماليا للفناء؛ فكل شيء في الغرفة يذكّره بالكفن.. نقاب الأطباء، ولون المعاطف، الملاءات، أربطة الشاش والقطن، قرص المنوّم، أنبوبة المصل، كوب اللبن، «كل هذا يشيع بقلبي الوهن/ كل هذا البياض يذكرني بالكفن/ فلماذا إذا مت../ يأتي المعزون متشحين/ بشارات لون الحداد؟ ».



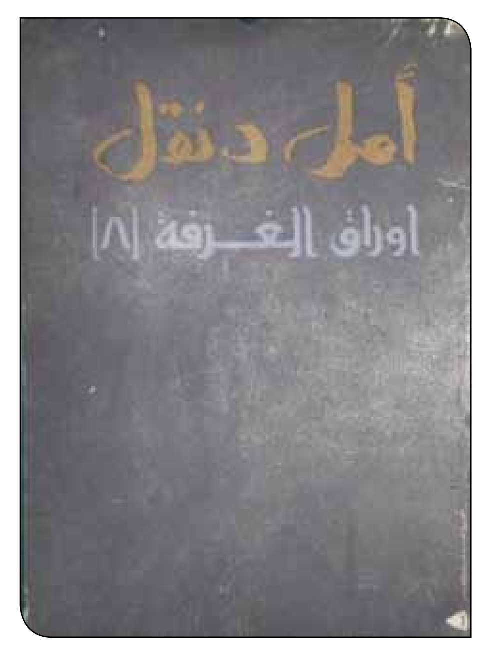
في «زهور» يكتب دنقل برهافة شاعر، خبر ترويض خيول اللغة، وصار الشعر بالنسبة إليه «الفرح المختلس»، يلتقط كل ما هو منسي ومهمّش في حياتنا اليومية.. كتب عن الزهور التي تجود بأنفاسها الأخيرة، ما «بين إغفاءة وإفاقة»، ويستحضر رحلة الموت، التي تبدأ بلحظة قطفها/قصفها، وانتزاعها من عرش جمالها، وتحويلها إلى مجرد شيء للزينة، يخضع لمنطق البيع والشراء في زمن تعليب وتسليع كل شيء.

أما «السرير»: فرغم أن هذا الجماد (السرير) جرّده من إنسانيته، من هويته وصار شاعرنا مجرد رقم، وبيانات على ورق صقيل معلّق على واجهة السرير، لكن أمل دنقل يؤنسن هذا السرير، إنه كبقية الأسرّة، لا يستريح لجسد حتى يألفه، إذ سرعان ما يغادر من ينام فوقه، بالانغماس في نهر الحياة، وصخب اليوميّ أو ينحدر جهة القبر، هما طريقان لا ثالث لهما.

في «ديسمبر» يشبّه الشاعر الموت بطائر الرخّ، الذي تهديه الراهبات التوابيت، و«المبادلة الخائبة»، يحب ظلمة العدم الآسنة، يتلقى النفايات تلو النفايات من دون كلل، ولا يحب المطر، ولا أن يتطهر بـ«الرقة الفاتنة». ديسمبر، إنه شهر الوداع والرحيل، ويثير في النفس شجنا وأسى غامضا لدى الأسوياء، بالأحرى شاعر عليل يترقب لحظاته الأخيرة. هذا الموت الذي لا يحبّ البساتين، ولا فصل الربيع.. هو صديق للخريف والنهايات وذبول الأوراق والغبار وتعفّن الثمار والجدران المتآكلة.. إنه مثل فصل الخريف، الذي لا يحبه أحد، لأنه مرادف للموت.

ومن قصائد الديوان الجارحة بمتقابلاتها وأضدادها «الطيور»، إذ يقارن بين الطيور التي لا تغادر علياءها، ولا تستكين للناس، بعكس الدواجن التي تقأقئ حول الطعام المتاح، وتنتظر «سكينة الذبح» من اليد الآدمية التي تهب القمح، و«تعرف كيف تسنّ السلاح» أيضا.

الطيور الأولى لا تحتوي الأرض جثمانها إلا عند الاستقرار النهائي، مع السقوط الأخير، وكأنَّ الدواجن علمت سلفا أن «عمر الجناح قصير..». هي رؤية للموت من خلال التحليق/ الحياة/ الاندفاع، وكأن الشاعر تلبسته روح المعرّي في هذا النص.



«الخيول»: كانت بريّة طليقة، وصارت للرهان، السباقات، المركبات السياحية، والتقاط الصور..

و«في بكائية لصقر قريش» يتساءل أمل: «فمتى يقبل موتي/ قبل أن أصبح مثل الصقر/ صقرا مستباحا؟!».

في قالت امرأة في المدينة: «كتب عن جيل الإحباط والخيبة، والقدس التي لم تُرَ إلا في الصور، والمعتقلين السياسيين الذين يحفرون أسماءهم بأظافرهم على جدران الزنازن المعتمة، و«الصور المنزلية للشهداء» التي يعلوها الغبار، ولا أحد يُلبّي نداء القدس السليبة غير صورة الجد وسيفه الصدئ المعلقين على الجدار، وهو المشهد نفسه الذي استهلّ به القصيدة.

في قصيدته «إلى محمود حسن إسماعيل» يستحضر وجوه الغائبين، وألفة الوطن التي ترحل من العين، والاغتراب: «نتغرب في الأرض. نصبح أغربة في التآبين/ ننعي زهور البساتين»، ولا يقرأون من الصفحات الأولى للجرائد غير العناوين، ثم تغوص الأعين في الصفحات ما قبل الأخيرة، مستعيدة ألفة الأصدقاء، وذكرى الوجوه، والحيوية، والدهشة... والبياض الوحيد المرتجى، الذي يتوحدون فيه هو «بياض الكفن».

جدير بالذكر أن شاعرنا كان ضد التطبيع مع الكيان الصهيوني، وقصيدته الشهيرة «لا تصالح» خير دليل إدانة، وكذلك قصيدته التي هجا فيها الهوان العربي والإحساس العام بالانكسار «البكاء بين يدي زرقاء اليمامة». فقد كانت قضيته الأولى والأخيرة هي الحرية، فعاش عاشقا لها، ممتلئا بحب الحياة والشعر. كان يقاسم أصدقاءه غرفاتهم وأسرتهم ورغيف خبزهم وكتبهم، كان «ينتمي إلى الريح والاضطراب»، بتعبير زوجته الكاتبة والناقدة عبلة الرويني، كان «تاريخ الأرصفة هو تاريخه الشخصي».

عاش أمل دنقل وتشرّد من أجل الحب والحرية والكرامة، ولم يبال بحطام الدنيا، ونختم هذه القراءة المتواضعة بشهادة رفيقة دربه، وهي غنية عن التعليق: «يوم السبت ٢١ أيار ١٩٨٣م سألته: هل أنت حزين؟ فأشار وهو عاجز عن الكلام تماما بأن: نعم. وفي الثالثة صباحا حاول نزع حقنة الغلوكوز من يده. رفضت الممرضة وشقيقه نزعها، فنظر إليّ وكانت عيناه تطلبان مني الراحة، فنزعت الحقنة من يده. أغمض عينيه في هدوء ودخل في غيبوبة أخيرة، لقد كان وجهه هادئا وهم يغلقون عينيه، وكان هدوئي مستحيلا وأنا أفتح عيني».

* كاتب من المغرب.

بيت وفكرة[١]
الحكمة في زمن الجنون

■ د. بهيجة مصري إدلبي*

«اتركوا للشعر أن يحكم هذي الأرض»

(سليمان العيسى)

كلُّ ما يحتاجه الشاعر هو أن يحلم كما تحلم الطبيعة، لتنبثق القصيدة من حلمه، كما القطرة من نبع عتيق، ولتستوي كما الفراشة على بساط من رحيق؛ فالشعر -كما يرى الشاعر سليمان العيسى- هو الإنسان، لأنه غناء الفطرة وفطرة الكائن التي أنشأت أحلامه إنشاء.

أن يحلم الشاعر، يعني أن ينشئ وجودا في الخيال، وأن ينشئ خيالا في الوجود، لأنه يؤول الحياة عبر حلمه، ويؤول الحلم في الحياة.

فهل حياة الشعراء حلم ضارب في الخيال؟ أم خيال الشعراء بصيرة تستقرىء المجهول وتستنبت الحكمة من قلق العتمة؟

لا شك إن السؤال الذي سلكه الدكتور عبد العزيز المقالح في مقدمة كتاب "بيت وفكرة": "هل هو زمن للحكمة أم زمن للجنون؟" يضعنا على حافة القلق الوجودي للإنسان الذي أربكه الركضُ حيرةً بين الحكمة والجنون، وبين الحافتين؛ حافة الحكمة، وحافة الجنون ينتبه الشعر ليستدرج الجنون إلى الحكمة ويستقرئ الحكمة في الجنون، لأن الشعر الذي يستقرىء الإنسان لا بد وأن يغتسل في نهر الجنون حدَّ الكشف، وفي نهر الحكمة حدَّ الصمت، لتستوي رؤاه في كثافة اللغة الغائبة في معناها والحاضرة في مبناها؛ لا لترسخ المبنى دون المعنى، وإنما لتشير بالمبنى إلى أسرار المعنى.

ومن هنا، فالحكمة في الشعر ليست هربا من اللاوعي الشعري إلى الوعي العقلي، وإنما هي استدراج لقلق الكائن إلى بصيرة الشاعر؛ وهي أشبه بفاكهة المجهول التي يبدعها القلق كما يرى الشاعر سليمان العيسى:

فاكهة المجهول

لا يزرعها في الأرض

لا يبدعها سوى القلق. ص ٢١٣

ومن ثَمَّ، هي لحظة احتكاك الوعي باللاوعي، العقل بالجنون، ما يجعل عتمة الذات في لحظة إشراق تضيء الفكرة بالحلم والحلم بالفكرة؛ ليصبح الجنون بدء الحكمة، والحكمة ثمرة ارتجاج الروح على أرض من القلق:

خذني إلى الصهيل

خذني إلى الجنون

يا سيد الحكمة

بدء الحكمة الجنون. ص ٢٠٢

لذلك عندما يختصر الشاعر تجربته بأبيات مختارة استلها من أعماله الكاملة، فهو يعيد إنتاجها في المعنى، والمبنى، والرؤيا؛ أي يعيد لحظة الاحتكاك بين الوعي واللاوعي بين العقل والجنون، ليعيد استنباتها في زمن مختلف، ويعيد استبصار رؤاها وكثافتها في الرؤية الشعرية؛ فإذا بالتجربة الشعرية تستنبت في مرايا الذات، وتستدرج إلى مقام الكشف ليضعنا الشاعر أمام مراياه ورؤياه وجها لوجه، لنقرأ الذات عبر تحوّلاتها في الوجود قصيدة ناهضة من صدى المعنى في النفس، ومن قلق النفس في الحرف، وكأن بالشاعر أراد أن يكتب سيرته عبر تأويل مختلف، وعبر التوقف عند انبثاقات هذه الأبيات التي اغتسلت في نهر الحكمة والجنون، حكمة التجربة وجنون الشعر لتصبح صدى للروح الطافحة بالحلم، وهي تستدرج كثافة الزمن إلى كثافة اللغة، وكثافة اللغة إلى كثافة المعنى؛ لأنه أراد من هذه المختارات التي امتدت على مدى تسع وعشرين مجموعة أن تكون أصداء لروحه في القصيدة، لتقارب في كثافتيها الرؤيوية والشعرية وعمقها الإنساني أصداء السيرة الذاتية لنجيب محفوظ في هذا التعالق بين الذات والنص، بين الصدى والمعنى، بين الشاعر والحياة؛ إلا أن الشاعر العيسى استدرج هذه الأصداء من أزمنتها المختلفة التي أنشئت خلالها ليذرأها في كتاب واحد، ولم تكن أصداء منشأة لذاتها، وإنما ببصيرة الذات لذاتها؛ حيث تستوي أحلامه وآلامه وقلقه وأسراره وأسئلته ورؤياه عبر أبيات جمعها حلم الشاعر في الحرية في الحياة في البحث عن نشيد للإنسانية، حيث/ قمة الحلم أن تكون نشيدا/ ص ٩٧ لأن لا شيء يستوي في الوجود إلا عبر هذا الحلم:

ما العمر

ما التاريخ

ما الدنيا

بلا قيثارة حلم. ص ٩٩

ومن ثَمَّ، ينهض الشعر في حلم الشاعر ليوسّع الحياة، ويوسّع الوجود، ويوسّع الرؤيا الشعرية التي أنشيء عليها، ورفع قواعد روحه عليها:

ما أضيق الدنيا إذا جردت

من خلجات الشعر والشاعر. ص ٣٢

ذلك لأن الشعراء الذين يتحدثون على عتبة الوجود، كما يرى باشلار، وهم الذين يصنعون هذا الوجود بأحلامهم، كما يرى الشاعر سليمان العيسى:

نحن هذا الحلم المجهد

رواد السماء

نحن ملّاحي بحار الشوق

نحن الشعراء. ص ١١٨

ولعل ما يميز هذه المختارات الشعرية التي

ارتدت ثوب الحكمة الشعرية المعاصرة، ذلك الانسجام الذي تستوي فيه الذات بالعالَم؛ فهي تضع القارئ أمام مسيرة لم يغادرها الحلم لحظة شعرية، ولم يخفت بريق السر فيها. فالشاعر سليمان العيسى، وكما هو معروف عنه، لم يتخلَّ عن أحلامه، رغم كل الانكسارات التي صدعت روحه، ورغم كل الهزائم التي منيت به أمته، ليبقى متماسكا حالما شاعرا يستبصر المستقبل؛ لأنه لا يستطيع أن يرى عالما من دون حب، ومن دون شعر، ومن دون أطفال:

أيها الشعر

سأواصل معك الرحلة

لأني لا أريد هذا العالم

بدون حب

بدون شعر

بدون أطفال. ص ١٤٠

وبالتالي استعاد تماسك روحه بهذا الانسجام بين الذات والقصيدة، بين القصيدة والعالم خاصة، عندما تحول إلى الكتابة للأطفال الذين كان يرى فيهم تعويضا عن الانكسار وهزيمة الحلم العربي؛ لأنه كما يقول:

ولست بشاعر إني

مواجع أمة تولد

شاعر ولد وهو يحلم، وعاش وهو يحلم، ورحل وهو يحلم، ليصبح مسيرة من الحلم لا تنتهي، ولتبقى في أحلامه مجسّدة في هذه المختارات التي أرادها أن تكون وجهه الشعري، وسره في تحقيق انسجامه التام بين ذاته والعالم.

هذا هو الشاعر سليمان العيسى الذي غنى للحلم، غنى للوطن، غنى للحرية:

يحلو نشيد الحب حيث

أكون حرا في غنائي. ص ٤٨

غنى للطفولة، وللحياة، وللإنسانية:

كل مصلوب على الرمل رفيقي

كل محروم على الأرض شقيقي. ص ٩١

لتبقى أغانية تنبض بالحياة بقدر ما فيها من إخلاص للكلمة، وإخلاص للتجربة، وإخلاص للذات؛ لأن الشعراء يشتعلون كي تتنفس الدنيا بعطرها المختلف، وتأتلف بوجودها البكر:

هم الشعراء ما زالوا

حريق الغابة البكر

ويشتعلون كي تتنفس الدنيا

غريب اللون والعطر. ص ١٥٢

مدركا بذلك الحسَّ العميق الذي تنبثق منه القصيدة، حسَّ الطفل الشاعر الذي يتحرك في اللغة، والمعنى في الذات والعالم. إنه الطفل الذي ينبض في القصيدة كنبض النبع في الأرض:

أكتب الشعر مثلما يضحك الطفل

ويبكي ويستغيث ويشهق. ص ٧٤

فالشاعر سليمان العيسى.. بهذه المختارات، بل هذه المرايا، إنما يُنشئُ ذاكرة للتجربة الشعرية، ومن ثَمَّ يُنشئُ ذاكرة الشاعر والمتلقي الذي يبحث عن وجه الشاعر في مراياه المختلفة عبر مسيرته الشعرية، ليبقى الشاعر العيسى ذاكرة لأجيال تربت على قصائده، وعلى حسّه الإنساني الذي كان ينهض من الإنسان، ومن أجل الإنسان، ليبشر بالإنسان القادم الذي يحمل شعلة الخلاص لهذا العالم.

---

* شاعرة وناقدة سورية.

(١) سليمان العيسى، بيت وفكرة، وزارة الثقافة، سورية، ٢٠٠٢م

مطرٌ في غَيرِ أَوَانهِ..

■ إيمان مرزوق*

لا شيءَ يُقلق الكاتبَ أكثر من حالة «العجز» الإبداعي، عندما لا تجدُ «أفكاره الجَوفيَّة» سبيلاً للوصول إلى القشرة الوَرقيةِ!

مرَّ وقتٌ طويلٌ منذُ آخر مرة استطاع فيها حياكةَ حِكاية شَيِّقة..

فكُلّما هَمَّ بكتابة شيء جديد، وجدَ نفسه مَسلوباً..!! وكأنما جِنّيةً قد سرقت كلماته، وتركت هواجِسهُ محبوسةً في قُمقُمٍ «مَرصود» بحيّةٍ ذاتِ أربعة رؤوس..

ما هو جَديدُكَ؟؟ سؤالٌ قَميءٌ يَكرَهُهُ.. لأنه لا يعرف له جواباً!

فكَّر مليَّاً عَلَّهُ يجدُ تفسيراً منطقياً لِما يَمُرُّ به..هل هو تمرد لا شعوري على كلمات بالكاد تُقمِّنَ أَوَدَه!

أَمْ هو تَريُّثٌ قَسري وسط رُكام الكلمات المنزلقة بسماجة على الأسطح الحساسة.. زرقاء وخضراء، تغريدات وعبارات وثرثرات توزع بالمجان في كل مكان تطأه عيناك الجافتان من قراءة أشياء كثيرة لا تعرف لها رأسا من قدم، هل هي حديث نفسٍ أم سواه! حكمة هرمة، أم قصيدة، أم نصيحة أم مقال أم عظة، كلمات وكلمات وكلمات في كل مكان.

أصبحت الكتابة أسهل من تناول رقائق «الشيبس»، وأصعب من إدخال بهجة حقيقية على قلب يتيم!

ربما لا يتجاوز الأمر برُمَّته حالة كسلٍ كانت عابرة.. قبل أن تستطيب الإقامة في ظلِّ وِحدَته!

انتَقلَ خطوةً للأمام..

- ليس مهماً أن أعرِفَ السبب.. و"عُمرينُه" ما بَطُلَ العَجَب..!

أنا أحتاجُ لِحلٍّ.. أريدُ أن أعودَ لِلكتابة.. وليسَ أيّ كتابة!

وجدتها..

في كلِّ يومٍ حكاية.. نعم سأكتب في كُلِّ يومٍ حكايةً.. "هيك خَاوة"! سأكتُب، لن يُهمَّني أعجبني ما كتبتُ أمْ لَمْ يعجبني.. عَلَيَّ ببعضِ تمارينِ الإحماءِ قبل أن تعودَ لي لياقتي الإبداعية..

هكذا دونَ عميقِ تَفكير، و«بِتَناحَة» منقطعة النظير؛ فتح جهاز «اللاب توب» الخاص به، أنشأ «فولدراً» جديداً أسماه (كل يوم حكاية)..

ثم تَركَ أصابِعَهُ تَنقُرُ وَجهَ «الكيبورد».. وشَفَتَيهِ تُتَمتِم بأولى الكَلمات: مطرٌ في غَيرِ أَوانهِ على زَهرٍ يُحبِطُ الثَّمَر..

* كاتبة وقاصة من الأردن.



كَلْبَنَةُ

■ محمد مباركي*

يلتقي السُّيّاحُ من جنسيات مختلفة في مدينة ساحلية جميلة من وطني، للاستمتاع بحمّامات الشّمس والسّهر في السّاحات، حيث تقامُ مهرجانات الموسيقى الفولكلورية. يأتي هؤلاء صحبة كلابهم المدلّلة. يشاركونها المأكلَ والمشربَ والأسرّة، ما كان يغيظ مُديري الفنادق والإقامات ومُسْتخدميها، لكنّهم كانوا يُدارونَ غَيْظهُمْ بالابتسامات وعباراتِ التّرحيبِ بالسّيّاح وكلابهم.

كانت أغلبُ السّائحاتِ تُـنادي على كلابها كما تنادي الأمهاتُ على أبنائها. ومِنهنّ سيدةٌ أوربية، اصطحبتْ معها كلبا من نوع «الكانيش» اسمه «سوسو». تحمله بين ذراعيها حيثما حلّت، بعد أن تنظّفه وتمشط شعره وتحوّله إلى دمية متحركة لتباهي به السّائحات الأخريات. ركبتْ مَرّةً صحبة كلبها عربة «كوتشي» يجرّها حصانٌ بربريٌ قويٌ. وأمرتِ السائقَ أنّ يتجوّل بها في الأطراف. أرادت اكتشافَ الوجه الخفيّ للمدينة الجميلة. مكّنتها هذه الجولة البطيئة من مشاهدة مظاهر الفقر المدقع الباعث على التّقزّز. كانت تخاطب كلبها بين الحين والآخر قائلة:

- أُنظرْ هناك يا «سوسو». أُنظرْ هناك!!

لكن الكلب كان مُتضايقا من سيّدته ومن عنايتها الكبيرة به، والتي جعلته يشعر بالأسر الدّائم. لم تكن تتركه لحظة واحدة يُناجي فيها نفسَه ويُحدّثها. كره أن تناديه بعبارة «سوسو ابني العزيز». رفض أن

يكون «آدميا» كما أرادت سيّدته. أراد أن يكون كلبا يتمتّع بكامل «كَلْبَنَتِه». حاول إفهامها ذلك بالنّباح وعضّ الأطفال والعجائز. وحاول بعض معارفها إقناعها بـ «كَلْبَنة» «سوسو»، لكنّها كانت ترفض ذلك وتردّ عليهم بعناد: «هو كلبي وابني العزيز».

في تلك الجولة، راق للكلب «سوسو» منظر الكلاب الضّالة. شاهدها تنبحُ وتتهارش، فتمنى لو كان معها ينبح ويتهارش هو الآخر. وصَرَخَ في داخله صرخةً مدويةً:

«يا عالم!! هذه هي الكلابُ الحقيقيةُ. أُنظروا كيف تتمتّعُ بحريتها وتعتزّ بـ «كَلْبَنَتِها». كم هي جميلة ورائعةٌ!!».

غافلَ سيّدتهُ في صبيحة اليوم الموالي وهرب من الفندق، واتّجه إلى هوامش المدينة، حيث رأى تلك الكلاب. وقف مُتوجّسا يُراقبها، وهي منهمكة في اللّعب.. شاهدته، فجرتْ إليه وتَحَلّقَتْ حوله. تشمّمتهُ وعطستْ بشدّة. سأله كبيرها: «مَن أنت؟ ».

ردّ «الكانيش» باسما في أدب: «أنا سوسو».

نظر الكلبُ الضّالُ إلى رِفاقهِ وقال: «إنّه كلب سائح».

وعاد يسأله: «ما هذه الرّائحة الطّيبة التي تفوح منك؟».

غضّن «الكانيش» ملامح وجهه وردّ: «هي رائحة عطر خاص بالآدميين، وأنا أكرهها. أنا أحبُ الرّائحة التي تفوح منكم. من أين لكم بها؟».

ضحكت الكلاب الضّالة من سؤاله، وردّ عليه كبيرها: «هي رائحة البراغيث والتّراب. نحن لا نَستحمُّ مثلكم. نحن نستحمّ مُكْرَهينَ تحت المطر».

وتنبّهت الكلاب إلى تلك القِلادَةِ المُذهّبةِ التي تُطَوِّقُ عُنُقَ «الكانيش». وسأله جَرْوٌ: «ما هذه القلادة التي حول عنقك؟».

تَنَهّدَ «الكانيشُ» بعمقٍ واغْرَوْرَقَتْ عيناهُ بالدّموعِ ورَدّ بصوتٍ مخنوقٍ: «هذه القلادة هي القيد السّالِبَ لحُرِيَتي المهدورة».

سأله الجَرْوُ ثانية: «هل أنت عبدٌ مملوكٌ؟».

ردّ الكانيش رَدّاً حَزيناً: «أجلْ، أنا عبدٌ مملوكٌ».

نظر الجَرْوُ إلى رفاقه وقال: «إنّنا ننعمُ بالحرّية ولا نَشعر يا رفاق!

لحظتها، سَمِعَتِ الكلابُ جلَبَةً من ورائها، ففرّت مُردّدة: «الهروب. الهروب».

اسْتنفرتْ السيّدة الأوربية كلّ مُسْتَخْدِمي الفندق - بما فيهم المدير - للبحثِ عن كلبها. وخَصّصَتْ لمنْ يَعثرُ عليه مكافأةً مالية مُغْرِيَة. وحين عُثِرَ عليه وجيء به إليها، وَبَّخَتْهُ ورَبَطَتْهُ بسلسلةٍ في شرفةِ غُرفتِها بالفندق. منها كان يُراقبُ الكلابَ الضّالة الهائمة في وَسَطِ المدينةِ مساءً ويبادلها النُّباحَ ويُلَوِّحُ لها بقائمتيه، مُمارِسا جزءاً من «كَلْبَنَتِهِ» في غيابِ سَيّدته.

---

* قاص من المغرب.

القطرة التي سقطت على وجه الدبّ

■ علي عطار*

إلى كل طفل من٧ إلى ٧٧سنة

كان دبٌّ يسكن في بيت جميل.صحيح أن تصميمه قديم، لكنه متسع بما فيه الكفاية، ويتوافر على حديقة لا ينقصها سوى شيء من العناية.

اعتاد الدبّ، صاحب البيت، أن يسهر إلى ساعة متأخرة خارج البيت، في مقهى الحي لكن برد هذا الشتاء أجبره على الإقلاع عن تلك العادة، في البيت يمكنه الاستمتاع بمشاهدة التلفاز وهو ملفوف بأغطية سميكة.

بدأت قطرات المطر ترتطم بزجاج النوافذ وسرعان ما انهمرت بقوة، فقال الدبّ في نفسه:

حسنا فعلت، لو تأخرت في المقهى إلى هذا الوقت لتبللت بهذا المطر.

نزلت قطرة مطر مباشرة على وجه الدبّ،رفع الدبّ رأسه نحو سقف الحجرة، لقد كانت قطرة أخرى تتأهب لأن تسقط على وجهه لكنه تلقاها بكفه.

قام الدبّ وحوّل سريره إلى مكان آخر ووضع سطلا فارغا في المكان الذي كان فيه السرير. فكر بجديِّة: «إن سقف الحجرة بحاجة إلى إصلاح».

توالت القطرات على السطل مثل الأنغام الموسيقية. غط الدبّ في نوم عميق.

في الصباح كان الجو صحوا، نسي الدبّ أمطار تلك الليلة ومشكل السقف

رغم أنه اغتسل بماء السطل الذي كان موضوعا في غرفة نومه.

عندما عاد الدبّ إلى بيته في المساء،كانت بقعة كالقرص مبللة على السقف. قال الدبّ لنفسه: «إن طقس اليوم كان مناسبا لإصلاح سقف البيت لكن ما العمل؟ لقد نسيت. غدا سأقوم بما يجب.. سأتصل بعامل البناء واتفق معه حول إصلاح السقف.. ربما يستحسن أن أعرض المشكل على صديقي القط،إنه يعرف الكثير من عمال البناء، سيدلني على أكثرهم مهارة».

في تلك الليلة لم يستطع الدبّ أن ينام، صارت القطرات بحجم حبات العنب وصار لها صوت أقوى وصار السطل يمتلئ في وقت أقل. في اليوم التالي ذهب الدبّ إلى المقهى حيث وجد صديقه القط. شربا معا القهوة ولعبا الورق.

- لم تستطع أن تربح أي دور. أي مشكل يشغل بالك يا صديقي الدبّ؟
- إنه مشكل عويص.. إن سقف بيتي بحاجة إلى إصلاح. صارت قطرات الماء تنفذ منه.

ضحك القط وقال ساخرا:

- لذلك أنت مزكوم..
- دعنا من المزاح. قل لي: هل تعرف بنّاءً متخصصاً في إصلاح السقوف؟
- طبعا أعرف.
- دلّني عليه. أرجوك.
- لو جئت في الصباح لطلبنا منه أن يخصص هذا اليوم لإصلاح سقف بيتك.

وتأخّر إصلاح السقف يوما آخر.

لم يعد سطل واحد كافيا لجمع القطرات التي تنزل من السقف، لذلك وضع الدبّ عددا من الأواني في عدة أركان من البيت، وغيّر موضع السرير عدة مرات، لكن في كل مرة كانت القطرات تصيبه، ونام في المطبخ.

وضع البنّاء السلم على جدار البيت وبخفة صعد إلى السطح، طلاه بالإسمنت، ثم أخذ يصفف قطع الزليج بسرعة ذكّرته بالطريقة التي يصفف بها صديقه القط أوراق اللعب على مائدة المقهى، وفي أقل من ثانية كان كل شيء قد تم إصلاحه. نزل البنّاء الماهر من السطح، وضع سلّمه على الأرض.شكره الدبّ وقال:

- كم يلزمني أن أدفع لك؟
- عشرون ورقة نقدية.
- هذا المبلغ كثير، صديقي القط قال لي: إن هذا العمل لا يكلف سوى ورقتين نقديتين.

غضب البنّاء وأمسك الدبّ من عنقه حتى كاد أن يختنق.

استيقظ الدبّ مذعورا، وقال: «يا له من كابوس»..

* كاتب من المغرب.

رحَلت وبقيت الذكرى

■ محمد المبارك*

صاحَبَهُ حتى وصلا إلى الغرفة المطلّة على الشرفة، وقد خيّم عليها الصمت، فقال له اجلس.. أريدك في أمر مهم، بعدما جلسا طلب من (عبدو) أن يحضر لهما الشاي، وما أن جلسا حتى أخذ يحدّق في وجه صاحبه، وكأن نظراته تستعجله في أن يبوح بما صحبه من أجله.

بدأ حديثه - وهو ينظر إلى الأعلى ويضع يده على رأسه وكأنه يحاول أن يسترجع الماضي ليستحضره أمامه- قائلا: أتذكر تلك الفتاة التي رأيناها وقد صدمتها السيارة الخضراء بجانب مدرسة الأمل، وكم كان الشارع مكتظا بالمارة، وكيف تجمهروا عند الحادث!

- أتذكّرها جيدا، ولكن لم السؤال عنها؟! وماذا تريد منها؟

- أبـداً.. لقد شدّتني وجذبتني نحوها بأخلاقها العالية وتعاملها الراقي، أتذكر عندما حاول صاحب السيارة أن يحركها ليرفعها من مكانها إلى السيارة.. كيف رفضت ذلك مع حالتها تلك، وعندما تقدم لمسكها من يدها، كيف وضعت عباءتها كي لا يمسها بشكل مباشر.

أتذكر عندما ذهبنا بها إلى المستشفى بصحبة والدها، كم كانت لطيفة مع المرضى والممرضات والطبيبات، ومع كل مَن كان حولها في غرفتها.

لقد أعجبتني أخلاقها كثيرا، وددت لو كانت زوجةً لأحد إخواني.. فلو لم أتزوج لوددتها زوجة لي.. (يضحك).

ابتسم صاحبه ابتسامة المشفق الذي انتابه الحزن، وبانت على وجهه المرارة والحسرة. سأله بعد أن لاحظ عليه التغير ما بك؟ ما الذي حدث؟! قال: لعلك لا تعلم مَن تلك الفتاة التي تتحدث عنها كل هذه المدة بأنها صاحبة الأخلاق الفاضلة والأدب الجم، وربما لا تعلم أيضا مَن هذه الزوجة الطيبة والأم الحنون؟

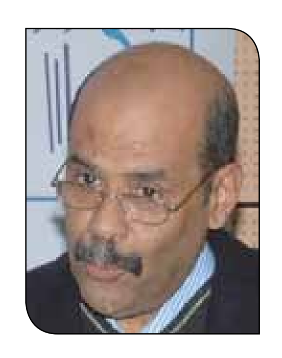
زوجة طيبة وأم حنون!! كيف..؟

نعم.. إنها مَن شيّعناها ودفنّاها بالأمس!! إنها زوجة أخي الأصغر وأم أولاده.

انتحب متأسفا لرحيل الطيبين من هذه الدنيا.. وكيف لها أن تستقيم بعد رحيلهم..!!

---

* قاص من السعودية.



قصص قصيرة جدا

■ حسن برطال*

برج (الرقابة)

في الصباح قرأ الجريدة.. وفي المساء كان

متهما بالتكتم عن مجموعة من الجرائم..

الجريدة الرسمية

بيتنا بغرفة واحدة، ومع ذلك لا نعرف أين يُخفي والدي جرائده..

ولما قصصتُ عليه حلمي وتكلمتُ عن (إعادة تصوير الجرائم)، و(تفكيك العصابات)، عاقبني على استعمال وسادته والنوم في سريره..

العدد رقم (٠)

صنعتُ طيارة من جريدة ورقية.. ولما فشلتُ في السفر عبر العالم، أدركتُ أنها (محليّة) لا أقل ولا أكثر..

واقية ورقية

قال لي ولدي: رأسي يبرد خلال فصل الصيف كلما غطيتُه بصفحة من صفحات الجرائد..

- ربما ليس فيها شيء من الأحداث (الساخنة).. يا ولدي..

الصفحة الأخيرة

تبللت الجريدة وطمس السائل (الأسود) معالم البياض..

لم أستطع قراءة (الحروف) لكنني تذكرتُ (حروف) الوجه العزيز، حينما كان يختلط (الكحل) بالدمع في عين أمي.

رئيسة التحرير

وصلتها قصة عشقه فمزقتها.. كل ما كُتب بخط

اليد يظل حبرا على ورق..

صفحات من غبار

(الحساسية) الجديدة التي بحث عنها طويلا، انتقلت من الملحق الثقافي إلى (أنفه)..إنه يشم ولا يقرأ..

تغطية إعلامية

ذلك الذي يتوارى خلف الجريدة يوما بكامله، رجل خائف أو خجول..

أعداد غير صحيحة

رغم زياراتها (اليومية)..(الأسبوعية).. و(الشهرية).. كان يشعر بالوحدة..هي ليست صديقة جميلة كما كنتُ أعتقد

بل صحف ومجلات ليس إلا..

* قاص من المغرب.

ألقِ عصاك

▪ ميسون طه النوباني*

أدركَنا الوقتْ
قمْ كي نجمع أمتعة الغدْ
نهرٌ في كفك لي
و حدائق وردْ
و أنا في كفي ساقية وسنابل
أعددتُ النار لنخبزها
في يوم البردْ

***

قم فأنا مثلك جائعة
أحرقت سنين العمر لأشعل بعض
النور
يهربُ من كفي
سربُ أيائل
فَتَلقفْ بالكأسِ مناقيرَ الطير
دعها تشربُ من خمرتنا
و اتركها ترحلُ في عالمنا
لا تُبقِ ولو عصفورا
في اليد

***

أدركِني الآنَ
يذوب الثلجُ على الصحراءْ
أرحلُ من ذاكرتي
و أغيّر ذاكرة الأشياءْ
ألقِ عصاكَ
سأرحلُ مني
كي أُولد من ضلع العنقاءْ

***

اقرأ
تغريدَ الطيرِ
وتمتمةَ الأغصانِ صباحا
وصهيل النسماتْ
و اسمعني حرفا حرفا
من خلفِ بحورٍ ومسافاتْ

***

اقرأ
دندنة العودِ
و صمتَ الفيروزِ
و صرخةَ طفل
خانتهُ الكلماتْ
و اقرأ عينيَّ إذا رحل الأمسُ

تخط تعاريج القهوة

إذ جلست عرافتنا تتأمل ما هو آتْ

***

خبِّئني بين ذراعيكَ

إذا ما لمع البرقْ

و استُرْ عورةَ هذا الليل

ما زال الزنبقُ في حجرتنا

يترقَّبُ مشيتنا

يركض كالأطفال إذا البابُ يُدقْ

***

فتّشْ عن أزمنة أخرى

لا يسقطُ فيها لونٌ الصفرة في دمنا

فيهدُّ ندانا

لا يحمرُّ الإسفلتُ

فيقطفُ زهرَ خطانا

***

أمطِرْ بالخضرة هذا الدربْ

و تمهَّلْ

كي لا تسقيَ برعمةَ الصبارِ

فينبتَ بين شفاهي

من غيرك يجترُّ الألوان من الأرض؟

أحمرُ

أبيضُ

أخضرُ..........

فتعودُ بلا ذنبْ

***

أدركني الآنْ

ألقِ عصاكَ لتلقف

هذا البركانْ

واصنع من فوَّهة الموتِ

قرابينَ وشطآنْ

و أعدْ للشجر الأخضرِ بسمتنا

جرِّدْ هذا الصبحَ من العتمة

و اشربْ من شفة الفجرِ ضياءً

يوقظ دوارَ الشمسْ

و امسح عن خد النور

دموع الأمسْ

***

مشّطْ شعر الأرضِ

و ردَّ أنوثتها

كي تولدَ شمسٌ من رحم الأحجارْ

و تعودَ الريحُ تداعبُ وجنتَها

تنثر بيضَ الزهر على الأشجارْ

فيحلقُ عصفورٌ بين الأغصانْ

يبني من عيدان الزنبقِ عُشهْ

يهمسُ في أذن الأرض نشيدا

فيواري سوأتها

و يكحّلُ عينيها بالوردْ

ينقشُ فوق يديها الحناءَ

و يغمرها بالشهدْ

تلبس ثوبا أبيضَ

لا يعرف طعم البردْ

فيتوَّجُ رأسَ الأرضِ بغاباتِ اللوزِ

و ألوان ترسمُ بسمتنا

فيميسُ القدْ

---

* كاتبة وشاعرة من الأردن.



عنف السنين

■ عبدالله احمد الأسمري*

دهري يذكرني
حديد سلاسلي
عنف السنين
وَرِقَّةَ المتفائل
ما كنت أعرف
أنَّ تحت
سمائنا ميلاد عاصفة ودمار منازلي
سدوا على النور في زنزانتي
فتوهجت في القلب
شمس مشاعلي
كتبوا على الجدران رقم هزيمتي
فَنَمَتْ في البيادر
مَرَحُ سنابلي

***

رسمت على
الجدران
صورة حسرتي
فمحت ملامحها
ظلال شجاعتي
تذكرت أيام
الزمان الراحل
و أغمدت في لحن
الظلام هزيمتي
وغرزت في ضوء
الشموع أناملي
استبكيت أطلالي
فلم أجد غير
منجلي

***

طرحت عصا الترحال
وعدت متعبا
ناءت بي السنين
والعمر راحل
أصوات أحفادي
تغرد حول مضجعي
أردد آهاتي
وأحسب خطوتي
ابني يردد
تعبتَ من
كثرة الترحال
قف يا أبي
فقلت إن اعتكفت
على سجادتي
أصبحت عابدا
بزي مزارع

* شاعر من السعودية.



أكتبي ما شئت والعني خطوي

■ نجاة الزباير*

يُعجبها اندفاع النهر في الإيقاع..
كن نهراً لتعجبها!
(محمود درويش)

(١)

كانتْ تمشي الهوينى
بين القصيد والقصيد
وكنت أتعثر همسا
ولمجازها يغني الماء
كلما التقيت الرفاق
رسمتُ ألوانها موناليزا
وحولت خنجر ابتسامتها
لأجنحة تصطلي بنار دمي.
تصببتُ آيات هوى أمامها
لعلي أشرب من كأس فصولها
ففي غربتي العطشى
أتلوى
وأعد أصابع هوى كفيف
كي ألمس نورها

(٢)

كنت أتمطى بين سطورها
تضيق بي خيمة الصبابة
فأعدو وسط حبات رمالها
أبحث عن شبيهي
المتعب شغفا

(٣)

كانت الحيرة تشد جوارحي
أخيط شتات ذاتي بمفرداتها
وأسألني عن رحلة قوافيها
فلا أجد غير منفاي في روابيها

(٤)

تبللت بأمطار الوساوس
لكن صوت يتمي قال:
هي الهديل يرقص فوق عشب البصيرة
وانحنيت أرجا فوق قصيدها
فتحتُ أقواسا زرقاء
ووقفت على الأطلال
كالظمآن
أسكر من وشوشات العابرين.

(٥)

قالت لي:
بيني وبين هواك
أشجار ليل تمد أعناقها
هنا كاف المحال
وهناك نون الوهم
تستوطن مهجة انشطاري
فكيف أُشرق هوى
وفساتين الروح
مزقها ضجيج الوجع؟

(٦)

تركتْ خيول يدي تصهل
عدوت في حيرتي
وجلست بين خطوي
أنفض عني غبار هواها
لكني في مُزقي انزويت
كيف لها أن توصد باب نهري
وتنثر قصاصاتي بين رموزها
فأغدو مجرد حرف؟
تنهدتْ سلال دمي
وعبت من ذكرياتي أحزانها.

---

* شاعرة من المغرب

سنة أولى

■ مسفر الغامدي*

أمي تحيط عنقي بذيلين نحيلين لعمامة بيضاء
تعقدهما من الخلف وتترك بقاياهما تتدلى على ظهري
تضع في حقيبتي كسرة من الخبز
مع قطعة مثلثة من الجبن
توصيني: لا تأكلها قبل الفسحة!
تختتم مسلسل التمرين على الحذاء الجديدة ببروفة أخيرة..
تخلط الفردتين،
تراقبني وأنا أعيد نفس الخطأ:
أضع القدم اليمنى في الفردة اليسرى،
أضع القدم اليسرى في الفردة اليمنى..
لا بد أنها تضحك لكني لا أرى ضحكتها؛
لأن رأسي يتدلى باتجاه الأسفل
أمي تضع قدميَّ في مكانهما الصحيح
تضغط عليهما بقوة وكأنها تريد
أن تلصقهما بالفردتين..
توصيني ثانية: لا تجْرِ حتى لا تختلط قدماك.
تدفعني إلى الطريق الذي تقع في نهايته
مدرسة عارية بلا أسوار أو بوابات
تظل واقفة على الباب
فيما أمشي وأنظر إلى الخلف
كان الطريق طويلاً.. طويلا جداً
رغم أن المدرسة لم تكن تبعد عن بيتنا

.. سوى عشرات الأمتار.

---

* شاعر من السعودية.

والتفّت الساق بالساق في عناقٍ أخير

■ رامي هلال*

(١)

تنبت روحك على ضفاف روحي..
اخضرت ثم أزهرت وأينعت..
أطلقت فراشات ربيع لتلوّن سماء الروح..
وتوقظ نباتات الأرض الناعسة.. وتزيح ستائر الغمام عن شرفة القمر..
وأسرجت فتائل النجوم.
روحك علمت روحي الركض في مروج الشمس.

(٢)

لا تمنحيني السكينة..
بل أطلقي نوافير القلق في الشرايين..
يا وجهاً يستنزف دموعي كل ليلة..
لقد نبعت في خرائب قلبي الأحزان
عندما هبت أعاصير الذكريات

(٣)

أنا علامة استفهام وأنت من ورائها
علامة تعجب..
أنا وأنت حرفان في أبجدية الحب..
وكسرتان في الإعراب..
وسكونان في النغمة..
مائة ألف رسالة بعثتها إلى طيفك كي لا يزورني،
وقلت له كلاما كثيرا عن نومي..
فزارني في اليقظة.
طيفك يزرع في الليل أشجار الورود على وسادتي.

(٤)

يا نقطة غيّرت معنى وجودي..
والوجود كما الكلمات تغيّر معانيها النقط.
أحبك..
همسة غائرة كصوت قطرة ماء خرت من جبل.
أحبك..
رعدة تنداح في الأعماق.

أحبك
نغمة مخنوقة في حلق الوتر
أحبك
كما تحب الأشجار العصافير
وكما يحب المطر الأطفال
أحبك
ولن أستطيع أن أواجه أعضائي في محنة الحب مرة أخرى
أحبك
طوعا وكرها
خوفا وأمنا
سرا وهمسا
أحبك في وحشة الفراق أكثر
أحبك بلسان القلم وحبر القلب
أحبك بلغة جديدة لم تتشكل في النفس

(٥)

أنا وأنت مذبوحان بمدية القدر
ملقيّان على شعب الطريق
تتخطفنا نسور الفراق الجائعة
تتقاذف أشلاءنا الريح العاوية
ويرقص الليل رقصة الذئاب على أنخاب الشتات
المجنون قرر أن يعيد النظر في استرداد عقله.. فليلى ليست من الظباء.. ليلى من البشر المجنون.. قرر أن يرجع طفلا حتى يقابل ليلى عند جبل التوباد..
أنا وأنت سحابتان اكفهرّتا فساقتهما الريح إلى بلاد بعيدة
أصابعي لم تزل فيها رائحة من أصابعك
أصابعي لم تزل تحكي لبعضها عنك
أصابعي لم تزل تجهش بالبكاء
أصابعي في مأتم بعد فراق أصابعك
الفراق تجربة للموت
الموت تجسيد للفراق
ربما كان قيس هو العاقل الوحيد في بني عذرة

(٦)

كيف افترق عنك؟!
وأنا ما زلت في حضانة الحب
الفراق
هو وجه الذباح
الذي كان يغم على البيوت بالليل ليذبح الأطفال في عصر فرعون
صوت الفراق
هو صراخ الأطفال وأنين الأمهات وشخب الدماء وانطفاء الحياة..
الفراق
سكين في الظهر
ويد سقطت منها الراية
الفراق أعمى
الفراق أحدب
الفراق حجر وقف في طريق الموج
الأمواج عرائس يتلألأ في وجناتها نور الشمس
كانت تتراقص
مع النسائم تحت ظلال الأشجار
ارتطمت فجأة
بصخور السد

انفرقت

الفراق كان السد

عصفورة تنتظر منذ ثلاث ليال قرب

الموعد..

اقترب

فاقتربت دقات القلب

قبلتها الشمس قبيل أن تغرب

وبعث إليها البحر بنسمة

ابتسمت حين زقزقت لها عصفورة كانت

تعرف سر الموعد..

نادتها أشجار الطريق لكي تسوى لها زينتها

كان ثمة عصفور هنالك منتظرا خلف زرقة

السماء

رأته.. انطلقت.. تركت القلب يرفرف..

انطلق دوي الصوت

صوت رصاصة

الآن تساقط روحها الشفيفة في قطرات الدم

سقطت

الفراق هو الرصاصة

(٧)

شمعتان ذائبتان من الحب

من الأنس تراقص ضوؤهما

لبسا الفساتين البيضاء

لعبا.. ضحكا.. فأضاءا الغرفة

وفر الظلام كفأر هارب.

تعانقا.. تشاكيا.. بكيا..

وفجأة قفز الإعصار من النافذة ولطمهما

بعنف..

سقطا.. وجرى الظلام في الغرفة ككابوس

مرعب

الإعصار كان الفراق

هل سنلتقي عند جبل التوباد؟!

أم في مدخل قصائد ابن زيدون؟!

أم عند المشنقة؟!

أنا وأنت محبوسان في أسلوب الاستثناء..

إذا قلت أنا وأنت فالواو التي بيننا كاذبة..

وكل حروف العطف بيننا خادعة..

يا سرابا يتراءى لعيني..

قرأت في مذكرات أبي آدم

(الفراق قرار أزلي)

«لقد عشت محنة الفراق سنين طويلة..

كانت تجربة قاسية أن أفارق حواء الجنة

من غير حواء خواء فما بال الأرض دوامة

اللامعنى

حواء حياة

أنا لست إلها

ناقص ناقص.

بيني وبينك واو العطف والحنان والوصل

لن يستطيع الفراق أن ينشب أظفاره في

القلب فأحبيني..

لن يستطيع الفراق أن يبعثر صناديق

الذكريات فاذكريني..

---

* معلم في مدارس الرحمانية الأهلية للبنين في سكاكا.

نصان شعريان

■ محمد حبيبي*

شرطُ

العمر مَرَّ
ونحن في قلق نراوحُ بالمتاهةِ ذاتها
لا نحن طلنا ما نريدُ من الحياة؛
ولا الحياةُ بسيطة في صفوها، ابتسمتْ لنا
العمر مَرَّ
ولم نعدْ في زهْو عصفورين؛ من غصنٍ
لآخرَ خائفَين؛ بأنْ تهبَّ الريحُ تفزعنا؛
وتفشي ما نخاف..
العمر فَرَّ
بنصفه المملوءِ
مسحورَين؛ كيف أنا وأنت
نُرَى بعين الناس!! أبهى ما نكونُ؛
وغافلين عن الزمااان يقُصُّ؛
ثانيةً تمرُّ؛ وليس يمكنها تعود!!
نموتُ فقراً،
نستدينُ؛
نزيحُ أحلى الذكريات؛
لكي يروا ضحك الحوائط للستائر؛
كل زاوية تضجُّ سعادةً؛ لا عمْقَ في لمعانها
عمّا بنا
العمر فرَّ
ولو يعودُ؛
تركت ذرّات الغبار على الجدار؛ بكل ركنٍ
دون أن نقتصّ ثانية تكون لغيرنا
العمر مرّ
بشرطها القاسي
تعلمنا الحياة؛
لكي أكونكِ؛ أو تكونيني
نحبّ كما عرفنا
أن نحبَّ الآن بعضينا
ولا نفشي إلى أحد
بإكسيرِ الخلودِ لسرّ هذا الحبُّ
فيما بيننا..

فناجين

شكراً لمنْ
نثروا على جرحي ملوحةَ وُدِّهم؛
عبَروا بوقْعِ كعوبهمْ قلبي؛
ولم يتبصّروا أنَّ الهشاشة في الضلوعِ
الحانياتِ بحبهم قُلٌّ لبتْلاتٍ سهارى..!!
قُلْ لهم يا ليلُ:
فيمَ؟!
أنا وقلبي لا ننام؟!!
إلامَ صدري هكذا؟!:
أوتادُ خيمة عاشقٍ؛
تستقبلُ الغرباءَ والأحبابَ
تسقيهم دِلالاً من فناجينِ الغَمَامْ؟!!

* شاعر من السعودية.

في رثاء ناهد المانع
عادتْ شهيدة علمها للدار

■ د. نسرين بنت ثاني الحميد*

عــــادتْ شـهـيـدةُ عـلـمـهـا لـلـــدّارِ
بـحـجـابِ سـتـرٍ لـفّـهـا ودِثـــارِ

وبـكـى الـعـفـافُ بـحضـنِ جَـوف ضـمّـهـا
وارتـــدّتِ الأشـــواقُ دمـعـــاً جــاري

عــــادت مـآقـيـنـا بـغـصـات ومــــا
عـــادَ الـهـنـــاءُ بعـــودةِ الــزُّوارِ

عـــادتْ مُـحـمَّـلـةً ولـكـنْ كـلّـمـا
غَـفـيَ الـفــؤادُ، تـلـفّـتَ الإبْـصـــارُ

لـيـت الـحـنـيـنُ لـهـا يُـدارُ بـمـقـــود
لـيـت الـمـآقـي بـالـيـديـنِ تُـــدارُ

لـكـنّـهُ أمـــرُ الإلـــه وقـــدْ قَـضَـى
قـــدرٌ يـصـيـــبُ ولا يـفـيـدُ قـــرارُ

لـوخـيَّـروهـا لـم تــزلْ بِـخـمـــارهـا
لـمَّـا قـضـتْ والـمـوتُ لا يُـخـتـــارُ

ذهـبـتْ كـطـيـرٍ جـامـحٍ يـرنُـو الـعُـلـى
عـــادَ الـيـمـــامُ: اغـتـالـه الـغـدّارُ

غُـــدِرَتْ بـظـلـمٍ والـعَـلـيـــمُ قـد اكـتـفـى
بـالـغـادريـنَ يـزُجُّـهــم بـالـنّـــارِ

قُـتـلـتْ ومــا نـدري أيُـقـتـل بـعـدهــا
غـيــداءُ أم أسـمـــاءُ أم أبــــرارُ؟!

احتار صبرُ الصّابرينَ لما جرى
وتطايرتْ برياحها الأقدارُ

وعزاؤنا أنَّ الإله اختارها
لجواره أنعِمْ بِحُسنِ جوارِ

وقضى بخاتمة الشهادة حينما
خرجتْ لِعلمٍ ؛ لم تعُدْ للدّارِ

يا ناعقاً بأذىً خسئتَ ولم تزل
العارُ أنتَ وما تُغرِّدُ عارُ

بئس العقولُ عقولهم ولبئسما
خَطّت شمائِلُهم بإفكٍ جاروا

آن الأوان: فقد تطاول بعضهم
فلْيُنذَروا أو يُبْعَثَ استنكارُ

فلنا أسودٌ حولنا تحمي الحمى
وتغارُ حتى لا يُشقُّ غبارُ

آه على من أتقنَتْ بحجابِها
فنَّ العفافِ ودُثّرت بخمارِ

شرفٌ لناهد علمها وعفافها
ولمثلها التبجيلُ والإكبارُ

يا أمّ ناهدَ كفكفي دمعاً جرى
فلناهدٍ في العالمينَ فَخارُ

قد تُوِّجتْ للأتقياء منارةٌ
وللشهيدِ بعلمهِ أنوارُ

ولها نصيبٌ في قلوب لم تزل
تدعو لها في الغيبِ والإظهارِ

---

* جامعة نورا.

ناهد الزيد

عروسٌ من ضوءٍ وأمل، رحلتْ لتملأ الأرجاءَ والأرواحَ صُبحًا لا ينتهي

■ ملاك الخالدي*

تناثرتِ في كُلِّ الصباحات إشراقا
وأمسيتِ لـلَأيـامِ نبضـاً وأحـداقـا

تعيشينَ كالنجمِ المسافرِ في الدجى
وتمضين في أرواحنا تلكَ ترياقا

تُـغـرّدك الأطـيـارُ ألـحـانَ خـافقٍ
نما في سبيل الضوءِ ماءً وأشواقا

فبلّل أصـــداءً وإن كـان مُـوجـعـاً
و لّونَ وجهَ الشمسِ فانثالَ برّاقا

رحيلكِ أدمى الصبحَ والقلبَ والرؤى
و لكنّه في سُلّمِ المجدِ ميثاقا

لكِ في سبيل العلم أغـرودةُ العُلا
تـغـرّدهـا الـدنـيـا فـتـنـداحُ آفـاقـا

ستذكركِ الأحـلامُ والعزمُ والثرى
ويـنـسـابُ ذكـراكِ عـزيـزاً ورقـراقـا

شهدناكِ في الدنيا تضاهينَ صُبحها
طموحاً وآمـالاً وفهماً وأخلاقا

و نشهدكِ بعد الرحيل مُهابةً
يُشيعكِ الآلاف فخراً وإشفاقا

فـيـاربُ مـا هـذا الـبـهـاء لـنـاهـد
إذا رحلتْ فاضتْ منَ الضوءِ إغداقا

«عروسٌ» وأطيابُ الدماء خضابُها
وزُفّـتْ إلـى العلياءِ ورداً وأطواقا

أحـار إذا مـرّ الـرحـيـلُ بخاطري
أأبكيكِ أم أذرو من الفخرِ أوراقا؟!

عـلـيـكِ مـن الله الـكـريـم رحـائـمٌ
إذا بـانَ لـيـلٌ أو أتـى الصبحُ خفّاقا

* شاعرة وقاصة من الجوف.

قُبلةُ شتائي نحْرُكِ لها قِبْلة

▪ يوسف عايد العنزي*

ها هيَ قد يمّمَت إليكِ الرّكاب
فلا تُطيلي الغياب..
و لا تُشْهري على ناصيَتي
سيفَ العتاب
بعدكِ قد أصبَحتُ هُوَيساً
أشْكو للجرادِ عن مساوئ النّمْلة
قُبلةُ شتائي نحْرُكِ لها قِبْلة

***

أنت عذرائي أنت سمائي
وحْدكِ من يهْتكُ ستر كبريائي
يا أرجوزة الفصولِ الأربعة
يا حنانَ الثّكلى..
تموتُ عيْناها من أجلِ دمْعة
أنت أشعاري.. أنت أوتاري
أنت تحتَ أنغام النغم «موسيقاري»
لا وربّ عينيكِ اللّتينِ إليْهما يأوي بنو آدم
لا أصبرُ عنْكِ وهلة
قُبلةُ شتائي نحْرُكِ لها قِبْلة
أحبّكِ على محملِ الجدِّ
وهل للجدِّ عندَكِ محْمَل
أحبّكِ أكثرُ من عبث المتسكّعين
و أكثرُ من رقَصات الثمّل
وجدْتُ فيكِ جمالُ الرّوح
و حينَ لددْتُ للخلْقَة إذ بها أجمل
أحبّكِ كفيلسوف يعبثُ بحروفه
مصرِفي لا يقْبل غيرك عمْلة
قُبلةُ شتائي نحْرُكِ لها قِبْلة

***

فيكِ أرى قافيةَ ابن قبّاني
فيكِ أراني..
أراني فيكِ أناني
و هل يجودُ الحاتميُّ بحُسْنكِ
تباً لي ولقريني..
إن كانَ لذاكَ الفعل أغْواني
أنت أجملُ من ألفِ ليلة وليْلة
و عشقْتُها إن كُنت بينَ أحشائها جُمْلة
قُبلةُ شتائي نحْرُكِ لها قِبْلة

---

* شاعر من الجوف.

كلنا أحباب ...

حامد أبو طلعة*

وطني، وأرضك جنةٌ وعذابُ
ومثابةٌ يا موطني وعقابُ

سِلْمٌ إذا صَدَقَ الولاءُ، وإن يكنْ
غير الولاء بواترٌ وحِرابُ

فسحابةٌ للمخلصين تظلّهمْ
وعلى قلوب الخائنين شهابُ

الله أكبر، جنةٌ طابتْ بها
لمن ارتضاها لقمةٌ وشرابُ

ولمن أبى، فجهنمٌ يصلى بها
قلبٌ ظلومٌ خائنٌ كذّابُ

هو موطنٌ تهفو النفوس لأرضه
وإليه يهوي الخافق الأوّابُ

من أرضه شمس الهداية أشرقتْ
وبها تجلّتْ غُمَّةٌ وضبابُ

بمحمدٍ شعَّ الضياء فأبصرتْ
نورَ الهدى الأرواحُ والألبابُ

فأنار للناس الطريقَ فوحّدتْ
معبودَها وتفرّق الأربابُ

وأقام في الأرض الشريعةَ فاستوتْ
وتهاوت الأزلامُ والأنصابُ

ومضى على نفس الطريق صحابةٌ
خيرُ الورى الصدّيقُ والخطّابُ

وأتاهما عثمان ذو النورين في
دربٍ بها كان القرار صوابُ

وأبو الحسين وقد مضى في إثرهمْ
لله درُّ أولئك الأصحابُ

واليوم، في أرض الجزيرة دولةٌ
والشرع فيها سنةٌ وكتابُ

عبدالعزيز أقامها في عزةٍ
ملكٌ شجاعٌ فارسٌ ومُهابُ

برجاله الأبطال خاض معاركاً
والوقت جِدٌّ شدائدٌ وصِعابُ

نادى: الجهاد، فأقبلتْ أفواجهمْ
وإلى الجنان تسابق الطلاّبُ

جمع الجزيرة في كيانٍ واحد
ومضى التفرّقُ وانتهتْ أحزابُ

ومحا الجهالة والعداوة وانقضى
عهدُ العداء، فكلنا أحبابُ

ملكٌ، وأسس دولةً وبها مضى
للسائلين عن البُنَاةِ جوابُ

وتوارث المجدَ الكبيرَ بواسلٌ
همْ سادة الدنيا، هم الأنجابُ

عدلٌ وانصافٌ وحسنُ قيادة
وثوابتٌ وبصيرةٌ وحسابُ

نحن السعوديين نفخر في الورى
فملوكنا همْ خيرةٌ أطيابُ

وولاؤنا لله ثم مليكنا
ولموطنٍ فيه الترابُ سحابُ

أمـــنٌ وإيمـــــــــــانٌ وطـيـب معـيشـــة
مـــــا راعـــنـا غـــدرٌ ولا إرهـــــابُ

نـحـن الــســعــوديـيـن نقســـم أنـنـا
مـــن دون أمـــن بـلادنـا الـخُـطَّـــابُ

خُـطَّـابُ إحــدى الـحُسـنـيـيـن عـلـى هـدى
مُـتَـيـقّـنـين فـمـــــا بـنـا مُـرتــابُ

فـبـيـوتُ كـلِّ الـمـخـلـصـين عـوامـــــرٌ
وبـيـوتُ كـلِّ الــخـــائـنـيـن خَـــرابُ

وتـظـل يـا وطـنـي الـحـبـيـب بـغـيـر مـــــا
بــأسٍ، فـدونـكَ يـــا حـبـيـبُ رقـــابُ

وتـظـل فــي هـــذا الــوجـــود مُـقـدّمـــاً
فـــي كـلّ أمـــرٍ سـيـدٌ ومُـجَـــــابُ

فــي كــلّ مَـفْـخَـرةٍ رأيـتُـكَ حـــائـزاً
لـلـسـبـق، فـاسـلـم أيـهـــا الـوثّـابُ

فـمـحـاسـن الـدنـيـــا إلـيـك تـسـابـقـتْ
فـعـلـيـك مـنـهـــــا حُـلّـةٌ وثـيـابُ

فـي الـعـز تـرفـل فــي الـزمـــان مُـنَـعَّـمٌ
فـارفـل فُـديـتَ فــربُّـكَ الـوهّـــابُ

واهـــنـأ بـمـــا أوتـيـت يـا وطـنـي، وفــي
أفـــواه كـل الـحــــاقـديـن تـــرابُ

فـلأنـت فـي الـدنـيـا الـكـريـم بـفـضـلـه
ولأنـت فيهـــا الـسَـلْـسَـلُ الـمُـنـسـابُ

ولأنـــت نـبـضٌ فــي الـفــؤاد وأنـــت فــي
الـعـيـنـيـن ذاك الـمـنـظـرُ الـخـــلاّبُ

* شاعر من السعودية.

سُمّار الدار

■ عبدالناصر الزيد*

١

يسألونك عنه

أحقاً يراها وحقاً تراه، فتبّت يداها

وتبّت يداه

وكل الذي يضمرونه تحت السؤال..

أذىً واعتزال

وشيئاً يُقال كما لا يُقال

وشيئاً يُنال بوجه انتحال

وشيئاً يُزال قُبيل الزوال

فقل هو طين.. قل هو أحمر.. فاهتبلوه

وقل هو ماء.. قل هو أزرق.. فانتهبوه

وقل هو أبيض.. حيضٌ أبيض

قل هو أخضر.. مثل المرمر أو هو سكّر

أسمر، أصفر، أشقر، أزهر

وقل هو هاه.. فصكّت يداها وطاشت يداه

٢

باباك مَدميّان

والحيل البعيدة والقريبة

والشقاوة والذكاء

مثل الهباء

من كان كان

يحيي عروق الشامتين

ويتقي غدر الزمان.

فاندر صيامك

لا أبا لك!

إن الذي خلق المكانة والمكان

خلق الأمانة والأمان.

فاسرج خيولك

إن بدا لك

واستعد

٣

تحمل في جيبك قطرة ماء

ورغيفا من حجر صمّاء

تتلو أورادك كل مساء

بذكاء تتلوها وغباء

وتبحلق في وجه الأشياء

أصداء تتلوها أصداء

يا معنى الحاء

ما معنى الحاء

يا معنى الباء

ما معنى الباء

إعياء يأتي بالإعياء

٤

فلتتئد

وانشر عبير الورد

لا تخشَ الحسد

هذه السُّرّة سرٌ

حوله حام الرِصد

مركز الجذب لديها

والشقيّ المنطرد

استدارت فأدارت

كامناً في كل فرد

٥

وإذا أتيت اليوم يحدوك الغرام

والبوم حولك والحمائم واليمام

فسل اليمام الجافلات

أهو طبع أم تطبّع؟

وسل اليمام الواقفات

هل تعشقين تصنّع؟

وسل اليمام النازفات

اواه، كم تتوجّع؟

٦

رتّق فتوقك وانتهض هذا أوانك

ها قد شبعت اللهو، واللعب المباح

ها قد بلوت اللغو، والكسل الصُراح

ها قد أكلت ونمت ما أعطيت شيئا

فلم تعمل.. ولم تعجل

ولم تكبد.. ولم تكدح

بأمر الله

ولم تأرق.. ولم تقلق

ولم تشحذ.. ولم تقدح

دليل العقل

وحكم الجسم إذ يعرق وإذ يسبق

وإذ يسلك فجاج الأرض

وخنت الحب إذ يضرب شغاف القلب

فادخل إلى التنّور

مسحوراً بفيض النور

منذوراً لوهج النار

والراح المُباح

رقّع خروقك واحترق من ذا يطالك

٧

من ذا يطال الليل

حين يحلّ كالضيف الثقيل

إذ أقبل الغول الطويل

وبال

في فم البئر

ومن حول التلال

ورأينا فوقنا سبع سنابل

فوقهم سِرب بِغال

وغزال

وتماثيل عجيبة

وأساطير غريبة

من تخاييل الظلال

٨

كنا ثلاثة والكلب رابعهم

وكانوا خمسة سادسهم خبثهم

بقيلهم وقالهم بعشقهم وعزفهم

وجدهم وهزلهم.. العطر فرّقهم

وأقداح الشفاه

٩

ثمانيةٌ همُ سُمّار الدار

ورابع الأشعار

ملطّخ بالعار

يُقاد مثل بقرة

وخدّه مورّم

وأشعثٌ شعره

ما أتعس الشجرة

حتى إذا قوّست ظهرها فراشة قذرة

فنأى الناي عنها، وعاقبتها العيون

تموت في سكون

هزيلة ثملة

* كاتب وشاعر من الجوف - السعودية.

الجوبه تلتقي

الشاعر مسفر الغامدي

يستطيع أن يقنعك بطريقة قد تزرع في بالك الدهشة؛ شاعراً أو كاتبَ مقال، أوفي مقارباته النقدية، أو حين تجالسه..! حتماً أنا أقصد الشاعر مسفر الغامدي، صاحب المجموعة الشعرية «حيناً من الضوء»، الصادرة عن دار المدى – دمشق، ٢٠٠٣م، وهو يعد الساحة الشعرية بإصدار مجموعته الجديدة قريباً، والتي ستوثّق تميّز تجربته الشعرية؛ وأنا أثق أنه يفشل أن يكون محابياً أو مجاملاً، نعم، يفشل! لذا، تعمدت أن أطرح عليه هذا السؤال: تطفو على السطح الاتهامات بين الناقد والمبدع، من مثل: «النقد لا يواكب الحركة الإبداعية»، «غياب النص الإبداعي الجاد الذي يستحق أن يُقرأ»، وأنت بوصفك شاعراً هل تنصف طرفا على الآخر؟ فأجاب: «حتى غياب النص المتجاوز، المحرض على القراءة، إذا افترضنا ذلك، يمكن أن يكون محرضا على القراءة النقدية بشكل أكبر. مشكلة النقد لدينا أنه جبان (مثل رأس المال).. لا يحب اللعب إلا في المناطق الآمنة. يقف عند حدود الروّاد، عند حدود النصوص الجاهزة، ولا يتجاوزها إلا نادرا..» هذه الديباجة قد تقودنا إلى فضاء شاعرنا..

■ حاوره / عمر بوقاسم - السعودية

الشعر لم يعد كافياً للقارئ..!

● أن يكتب شاعر «ما» رواية أو عملا سرديا، لم يعد شيئا غريبا، فهذه الحالة أصبحت منتشرة في الساحات الثقافية العربية؛ فمن الكتّاب مَن يرفض وصف هذه الحالة بالتحوّل، بل يعدّها تواصلا طبيعيا بين فضاءات الكتابة، ومن حق الشاعر أن يحضر في أي فضاء إبداعي، وأن هذه الحالة ليست بالجديدة على

الشاعر؛ ومنهم مَن يرى أنها عقدة التصنيف، ولها سلبياتها التي تعاني منها الساحة الثقافية. الشاعر مسفر الغامدي، ماذا يقول في هذا الاتجاه؟

■ أعتقد أن الشعر لم يعد كافيا للقارئ، ولا حتى الشاعر. «النثر فضيحة الشعراء».. هذه المقولة لمحمود درويش تنظر إلى (الفضيحة) نظرة سلبية، الآن في زمن يكثر فيه التلصص أصبحت الفضيحة مطلبا، الرواية من هذا الباب هي مساحة كافية لكي نظهر تحت الشمس.. لكي (نُفتضحَ) بالمعنى الإيجابي للكلمة.

في الأزمنة (الغنائية) التي كان يذوب فيها خطاب الفرد مع خطاب الجماعة، ويختلط صوته مع أصواتهم، كان الشعر كافيا إلى حد بعيد. الآن، وقد تفتت الجموع.. أكاد أقول: حتى الفرد ذاته لم يعد واحدا، لم يعد يكفي الشعر وحده، لا بصيغه التقليدية الغنائية، ولا حتى تلك الصيغ الحديثة التي تنحاز للفرد وهمومه. النثر (ومنه الرواية) ليس تعويضا عن الشعر، ولا بديلا له، ولكنه مكمل له. مع ذلك، يستطيع الشاعر أن يظل وفيا لشعره في كل ما يكتبه. الشعر في الأساس، هو زاوية رؤيا: ينظر الناس إلى الأشياء بوصفها أدوات، وينظر إليها الشعر بوصفها ذوات.. كائنات حيّة؛ تولد وتموت، تحب وتكره، تفرح وتحزن. على الشاعر أن يستثمر كل طاقاته وخياراته الكتابية، بشرط أن يظل وفيّاً لشعريته؛ فهي الوحيدة القادرة على تحريك الجمادات، وبث الحياة في عالم يحاصره الموت من كل جهة.

* **قصيدة النثر هي محاولة للنفاذ إلى جوهر الشعر مباشرة. ربما فتش أستاذنا محمد العلي فلم يجد ذلك الجوهر فيما تناثر حوله من نصوص..!!**

* **مشكلة النقد لدينا أنه جبان (مثل رأس المال) لا يحب اللعب إلا في المناطق الآمنة..**

* **الشاعر الذي يكتب وهو يجر قرابة الألفي سنة وراءه، لا يستطيع أن يكون وفيا لزمنه، للغته وذاته في المقام الأول.**

في يوم من الأيام..!

● **وهل نحن على موعد مع روايتك الأولى؟**

■ كل منا مسكون برواية ما، قد نفلح في كتابتها في يوم من الأيام، وقد لا نفلح أبدا. إذا استطعت أن أكتبها دون خيانة للشعر، فسأفعل، بكل تأكيد.

زلازل في عالمنا العربي

● **ليس هناك أثر واضح على مضمون أو شكل الخطاب الإبداعي، في ظل التغيّرات السياسية والاقتصادية التي يشهدها العالم العربي في السنوات الأخيرة، برأيك ما سبب غياب الأثر؟**

■ لا نستطيع أن ننكر أن هناك أثرا ما، لما

يحدث الآن، قد تسرّب إلى بعض النصوص الإبداعية (السردية بشكل أكبر)، بل إن بعض الصيغ الإبداعية كالغناء أو الغرافيتي كان في صلب عملية التغيير. لكن السؤال: هل ما كتب أو يكتب يوازي أو يقترب من الـزلازل التي تحدث في عالمنا العربي؟ بالتأكيد لا. ما نعيشه هو لحظة تاريخية بكل المقاييس، قد تؤدي إلى إعادة تشكيل هذه الدول بصيَغ عصرية قابلة للحياة، ولو عبر مخاض عسير، ربما يحتاج إلى عقود؛ وقد يكون ما نعيشه لا سمح الله هو سكرات الـمـوت... الأمـم أيضا قد يُحكم عليها بالذوبان أو الفناء.

أن يمدحك الآخرون وتمدحهم..!

● **تحدثنا كثيرا عن الإضافات التي تضيفها الشبكة العنكبوتية وبإيجابية، أليس لهذه الشبكة أي سلبية على الشاعر أو المثقف بصفة عامة؟**

■ بالتأكيد هناك سلبيات، ربما أسوأها هو الإيهام بالسهولة.. سهولة أن تكتب وتصل. أن يمدحك الآخرون كما تمدحهم. أن تكتب من كل مكان، وفي أي مكان. هـذه الحالة ستحيل الكتابة إلـى شـأن يومـي عـادي.. حالة بديهية وتلقائية لا تحتاج إلى معرفة أو مراجعة وتدقيق، مثل المشي، أو مشاهدة التلفزيون، أو الدخول إلى الحمام.

بلا حرية لا يمكن أن تزدهر الفنون

● **فـي حـوار لـي مـع الـشـاعـر عـبدالـعـزيـز المقالح، سألته عن ما قاله الشاعر سعدي يوسف، أيضا ضمن حوار لي كان معه: «إنني متحمّس للعربية وشعرائها، وأعتقد أن الـشـعـر، فـن يـؤخـذ بـالـجـد الـلازم من لـدن الـشـعـراء الـعـرب، لـكن المقارنة بين شعرنا الحالي، وشعر الأمم الأخرى، لن تجعل كفة الـمـيـزان تميل إلـى صالحنا. نحن لا نـزال مكبّلين بأغلالنا»، فكان رد**



المقالح: «... لكنني لا أتردد عن القول بأن في شعرنا المعاصر نماذج تساوي إن لم تتفوق على بعض نماذج مما قرأناه من شعر عالمي، وأرى أن الأحداث التي مرَّ بها الشعراء العرب الحقيقيون قد صهرت أرواحهم وجعلتهم يقتربون كثيراً من المعنى الحقيقي للشعر». أنت ماذا تقول؟

■ كون «الأحداث التي مر بها الشعراء العرب قد صهرت أرواحهم وجعلتهم يقتربون كثيرا من المعنى الحقيقي للشعر»، كما قال أستاذنا المقالح، لا يعني أنهم الأفضل. المشكلة كما قال سعدي يوسف تكمن في (الأغلال). دون حرية حقيقية لا يمكن أن يزدهر فن من الفنون. الأغلال ليست أغلالا سياسية أو اجتماعية أو دينية فقط، بل هي –وهذا هو الأخطر– أغلال داخل الشاعر ذاته. الشاعر الذي يكتب وهو يجر قرابة الألفي سنة وراءه، لا يستطيع أن يكون وفيّاً لزمنه، للغته وذاته في المقام الأول. كيف له أن يكتب عصره ولحظته وذاته وفي فمه (حجر جاهلي)، بحسب تعبير صديقنا الراحل الكبير محمد الثبيتي؟!

*** ... سلبيات «الشبكة العنكبوتية»، ربما أسوأها هو الإيهام بالسهولة.. سهولة أن تكتب وتصل. أن يمدحك الآخرون كما تمدحهم. أن تكتب من كل مكان، وفي أي مكان.**

*** على الشاعر أن يستثمر كل طاقاته وخياراته الكتابية، بشرط أن يظل وفيّاً لشعريته، فهي الوحيدة القادرة على تحريك الجمادات..!**

*** قصيدة النثر هي حاجة ماسة للشاعر المعاصر عربيا كان أم أجنبيا، الشاعر الذي لم يعد ينتمي إلى قبيلة أو دولة أو لغة..!**

*** لا يكون يومي كاملا حين يخلو من «شرب شاي السماور»، هذا الطقس اللعين.. عادة ما أحاول الكتابة في بدايته، وحين أفشل أنتقل إلى القراءة أو مشاهدة التليفزيون.**

مشكلة النقد لدينا أنه جبان

● تطفو على السطح الاتهامات بين الناقد والمبدع: «النقد لا يواكب الحركة الإبداعية»، «غياب النص الإبداعي الجادّ الذي يستحق أن يقرأ»، وأنت، شاعراً هل تنصف طرفا على آخر؟

■ حتى غياب النص المتجاوز،



المحرّض على القراءة، إذا افترضنا ذلك، يمكن أن يكون محرضا على القراءة النقدية بشكل أكبر. مشكلة النقد لدينا أنه جبان (مثل رأس المال).. لا يحبّ اللعب إلا في المناطق الآمنة. يقف عند حدود الرواد.. عند حدود النصوص الجاهزة، ولا يتجاوزها إلا نادرا. وحتى لا نكون منحازين، علينا أن نعترف أن المشكلة عامة، ففي غياب السياق الحضاري لا يمكن أن ينهض الإبداع أو الفكر أو النقد. حين تكون هناك نهضة في مجتمع من المجتمعات، تنتقل عدوى النجاح من حقل إلى آخر: السياسة والاقتصاد والإبداع والنقد والفكر والرياضة... إلخ. في لحظات الانحدار لا يمكن لنا إلا أن ننهش بعضنا بعضاً.

الشاعر أصبح ينتمي لذاته..!

● «قصيدة النثر ترتبط بالذائقة الأجنبية والتراث الأجنبي، وليست نابعة من التراث العربي»، هذه العبارة تحمل تصور بعضهم، مسفر الغامدي، ماذا يقول؟

■ قصيدة النثر لا ترتبط لا بالذائقة الأجنبية ولا بالتراث العربي. قصيدة النثر هي حاجة ماسّة للشاعر المعاصر عربيا كان أم أجنبيا، الشاعر الذي لم يعد ينتمي إلى قبيلة أو دولة أو لغة أو دين أو مذهب، بل أصبح ينتمي لذاته فقط. هي إعلان استقلال: من دونها لا يمكن أن تكون له دولته الشعرية حتى لو كانت صغيرة جدا، وغير مرئية بالنسبة للكثيرين. نعم هي حرّضت على القطيعة مع الحشود، ولكنها – في المقابل – أتاحت للشاعر أن يكون هو بالذات وليس أحدا سواه.

هي أيضا تطور طبيعي للشعر الذي بدأ غناء وبصوت عالٍ، وانتهى إلى حالة تأمُّلٍ وإصغاء لما تنطق به الأشياء، وهي حالة تحتاج إلى مزيد من التركيز والهدوء.

جوهر الشعر..!

● «قصيدة النثر لون أدبي، وليست شعرا». هذه مقولة «أحياها» الأستاذ الأديب محمد العلي في أحد حواراته، ما رأيك؟

■ من المعروف، ومنذ زمن بعيد، أنَّ الشعر محمولٌ من أكثر من رافعة: الإيقاع، المناسبة، الشعار، الأيديولوجيا...إلخ. مع ذلك ظل النقاد الذين يُعتدُّ بآرائهم يُلِحُّون على الدوام أن الشعر لا يكمن في أيٍّ من تلك الروافع، بل في الروح التي تسكن الكلمات. قصيدة النثر هي محاولة للنفاذ إلى جوهر الشعر مباشرة. ربما فتّش أستاذنا محمد العلي فلم يجد ذلك الجوهر فيما تناثر حوله من نصوص، لكن ذلك لا يعني أنه غير موجود وغير متحقق في الكثير من التجارب.

جهاز الآيباد حالة شعرية..!

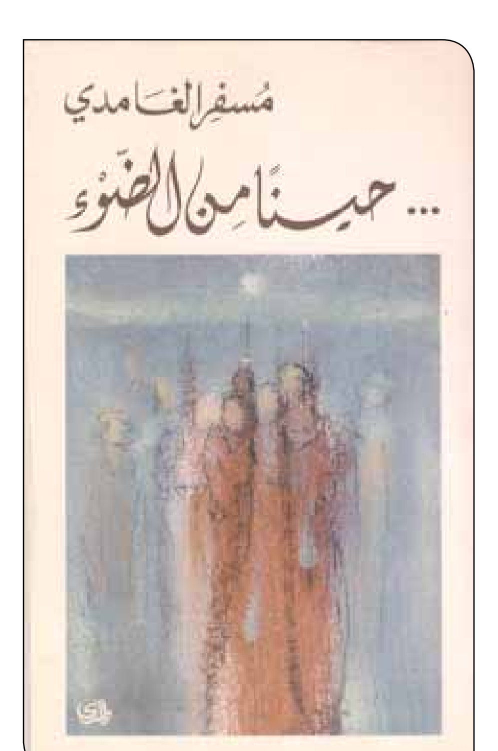
● **أجـدك حـريصـا علـى اصـطـحـاب جـهـاز «الأيباد».. حتى في المقهى، ما السرُّ؟**

■ جهاز الآيباد حالة شعرية بشكل أو بآخر، هو في ظني كالشعر لا يحمل الأشياء بل صورها/ظلالها. قبل سنوات كنت أصطحب الجريدة إلى المقهى. تزعجني كثيرا حين أحـاول أن أجـد لـها مساحة كافية على الطاولة، دون أن يقع فنجان الشاي أو علبة المناديل.. الآن أنا أمتلك كل الجرائد وآلاف المواقع الإلكترونية الأخـرى فـي مساحة ضيقة، يمكن أن تكبر أو تصغر بمجرد تباعد أو تقارب الإبهام والسبابة. لقد استعدنا مع الآيباد بعضا من طفولتنا.. لقد تخلينا عن كثير من وَقارِنا، وأصبحنا نلعب مع الحياة أكثر مما نعيشها!!

«شاي السماور».. الطقس اللعين..!

● **في جلسة حميمة، وبين الأصدقاء، أذكر أنك تحدثت عن «طقس» يومي يرافقك، وتلتزم به وهو شُرب شاي السماور، هل هذا «الطقس» يرافقك أثناء القراءة أم الكتابة أم ماذا؟ وما هو «شاي السماور»؟**

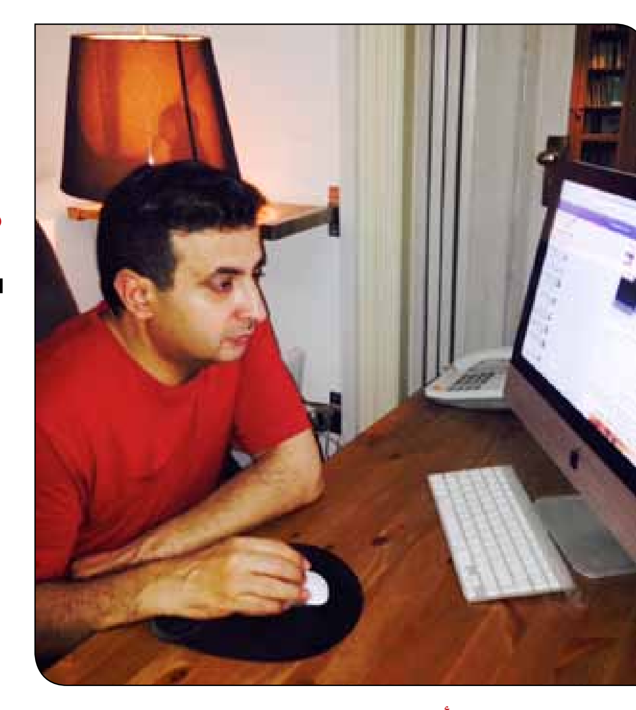
■ لا يـكـون يـومـي كـامـلا حين يخلو مـن هـذا الطقس اللعين.. عادة ما أحاول الكتابة في بدايته، وحين أفشل أنتقل إلـى القراءة أو مشاهدة التليفزيون. الأمر محكوم بالمزاج في أغلب الأحيان. تعرّفت على شاي السماور في مطعم تركي في شارع المكرونة منذ أيام الجامعة. تستطيع أن تقول إنه وطّد علاقتي بالشاي، التي بـدأت منذ الطفولة، ونقلها



من حيّز الكم إلـى حيّز الكيف. السماور يسحب اللون الأحمر من أوراق الشاي برقة ونعومة، عكس الطريقة المتسرعة والخشنة التي تعودنا عليها في الشاي الاعتيادي. على مدى ثلاث ساعات أو أكثر يتخمر الشاي وتتصاعد حمرته مع كل موجة بخار تهبُّ على البراد الصغير من الأسفل. تصب قليلا من الشاي المتخمر وتحلّه بالماء الساخن، وتظل تشرب، من دون أن تصاب علاقتك معه بالفتور أو البرود. السماور يجلس في الركن منتصبا بكل كبرياء، هو كائن يحترم نفسه كثيرا: لا يأتي إليـك، وإنمـا يفرض عليك الذهاب إليه.

أتلصص أحيانا على تويتر

● **«تويتر، فيس بوك، كيك، وغيرها»، هذه**



أسماء لنوافذ للتواصل الاجتماعي المهمة والمنتشرة على الشبكة العنكبوتية، ما مدى اهتمامك بهذه النوافذ؟

■ عدا الفيس بوك، وعلى استحياء، لست متفاعلا بشكل جيد مع هذه المواقع. أتلصص أحيانا على تويتر، وبعض المواقع الأخرى. يهولني كمُّ الأمراض والأحقاد (الفكرية) التي نعيشها. مع كل ذلك، فإنَّ هذا التعرّي، شبه الكامل، مهم جدا بالنسبة لنا قبل أي مجتمع آخر. في الغرب مثلا هناك مجتمعات مكشوفة في الغالب، عرفت منذ وقت مبكر كيف تجعل مشاكلها دائما على السطح، دون أن يخلخلها ذلك أو يفككها. نحن، في العالم العربي، عشنا قروناً طويلة من الخداع: من الخارج يبدو الجسد في صحة جيدة، لكنه معطوب ومتأزّم من الداخل. هذه البثور الإلكترونية هي محاولة من الجسد لكي يطرد أمراضه إلى الخارج.. أو هذا ما أتمناه على الأقل.

لن أسرد عليك قائمة طويلة..!

● **ما أهم الكتب التي قرأتها، هذا العام؟**

■ «أيها الروث، أيتها المياه القذرة، سأجعل منك وردة.. هذا ما تقوله شجرة الورد». هذا ما كتبه نيكوس كازانتزاكي على لسان كريستوفر كولومبس، حين أرسله – في مسرحية من مسرحياته – في مهمة لتوسيع العالم. وهذا ما أقرأه في هذا الأيام في مقدمة مسرحية (عطيل يعود) والتي عرّبها نعيم عطية عن اليونانية، وصدرت عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت. لن أسرد عليك قائمة طويلة أو قصيرة من الكتب التي قرأتها، أو سأقرؤها، لأن ذلك لا يعنيني. ما يعنيني أن أجد ما أقرأه الآن.. الآن فقط. ما يعنيني حقا أن أكون شجرة ورد لا أكثر ولا أقل.

استعارة الطفولة مجددا..!

● **.. هنا أجد نفسي ملتزما بالخاتمة التقليدية، وأسألك عن جديدك؟**

■ جديدي هو بعض النصوص التي أعكف على كتابتها منذ عامين، محاولا استعارة الطفولة مجددا. أحاول ألا تكون الاستعارة هنا نوعا من الحنين إلى الماضي، أو الهروب من الحاضر، بل لاستعادة الأشياء كما كانت وكما يجب أن تكون: جديدة ومدهشة على الدوام! أتمنى أن تكون مكتملة في كتاب في السنة المقبلة.

أدب البكاء والضحك

■ عبدالرحيم الماسخ*

التزم الأدب في كل زمان ومكان بدوره الرائد، كلسان حال مُعبِّر عن دقائق الأحداث في الهموم والأفراح، وكان بحق مرآة كونيّة عُظمى، ترى الأجيال من خلالها تشخيصا شاملا للأحداث المهمة، ومُتنفّسا صافيا لتبرير المواقف أو رفضها، في كل الأحوال.

لكن اختلاف الظروف المحيطة بالحياة نفسها، وتدرُّج المساحة المتاحة للفكر والإبداع بين انفتاح كامل -مثلما حدث في العصر العباسي من حركة واسعة للتأليف والترجمة في ظل تشجيع وتكريم مناسبين للنابهين- وبين احتباس كامل في ظلام اليأس وملاحقة محاكم التفتيش في عصور الظلام التي أحاطت بالواقع العربي طويلا، هذا الاختلاف في الظروف المناخية، عكَس اختلافا بيِّنا في وسائط التعبير، وأجبر في كثير من الأحيان الأدباء والشعراء على التلميح والرمز الذي يكاد يشفّ عن قضاياهم دون كشفها؛ وكان وما يزال هذا النوع من الأدب يقوم بدور فعّال في التنفيس عن هموم وآمال وتطلعات المجتمع.

لم يتتبع كُتّاب التاريخ روافد الأدب

الساخر التي يبدو أنها ضاربة في القِدَم؛ ففي متون الأهرام المُسماة «كتاب الموتى» والموجودة في لفائف من البردي في متحف لندن، والمنسوخة في برديّات أخرى وُجِدت قصة الفلاح الفصيح التي حكت قصة أحد البسطاء من سكان جنوبي مصر، والذي ظل يزرع أرضه ويغذّي ماشيته، حتى جنى محصوله الوفير الذي كانت ترصده عيون كثيرة، وإذ ذاك لم يمهله القائم على أمور الإقطاعية.. فهجم عليه في جُنده، وانتزع منه ثمرة كدّه وجهده، وضربه ثلاثين مقرعةً ليُميِته خوفا، لم ييأس ذلك الفلاح.. وذهب ماشيا على قدميه حاملا شكواه إلى قائد الجنوب في أسيوط، الذي سمع شكواه ولم يصدّقه، فأمر بجَلده ثلاثين مقرعة أخرى، لكن الفلاح لم ييأس وسار إلى فرعون مصر الأعظم، فاستأذن عليه وتلا عليه مَظلمته؛ لقد كانت تلك الشكوى قطعة أدبية مُحكمة فائقة البيان، إذ بدأها الفلاح بذكر أمجاد الفراعنة، ثم خصَّ الفرعون الحالي بمحامد كثيرة فيه، ثم ذكّره بآمال شعبه في عدله ورحمته، ثم شكا له حاله وما جرى له من ظلم، وبعد سماع الشكوى أمر الفرعون بحبس الفلاح، ثم أرسل لجنَّة لتقصّي الحقائق حتى يثبت صدق الشاكي من عدمه.

وعندما أراد أحد الفلاسفة الهنود النصح للملك ألَّفَ «كليلة ودمنة»، ملحمةً إنسانية متفرِّدة في مملكة الحيوانات، فحصل بها ذلك الفيلسوف على فائدة النُصح مع انتفاء شرط المحاسبة.

كذلك دخلت امرأة على أحد الخلفاء قائلة له: رفع الله قدرك، ففرح الخليفة بها، لكن أحد رفاقه همس في أذنه: إنها تقصد في جلالتكم قول الشاعر:

ما طار طيرٌ وارتفع
إلا كما طار وقع

الأدب الساخر لسانُ حال الخائفين من الاضطهاد في كل زمان ومكان. وقد اخترع العرب الأفذاذ شخصية أسطورية، ينتظم تحت لوائها جُند الحكمة البالغة، فلا يغادر بابها المفتوح الصِياحُ الدائم بكلمة الحق، لقد كان اختراع شخصية «جُحا» من أعظم ما أنتجت البشرية من لاذع النقد، الذي يدغدغ الحسَّ، ويروي الظمأ الفكري، الذي يصطدم في كثير من الأحيان بصخور نافرة. وقد ورد فيما يُروى عن «جحا» أنه كان يمرُّ ذات يوم بأطفال يتشاجرون على الفستق، فاختصموا إليه في ذلك، فقال لهم «جحا»: سأقسم الفستق بينكم قسمة الناس.

– الأطفال: لا. نحن نريد قسمة الله.

فاغترف جحا معظم الفستق مانِحا إياه لأحدهم، ثم فرّق الفستق الباقي بين بعضهم، وحرم الباقين من الفستق تماما. فتصايح الأطفال متهمين إياه بالكذب على الله بنسبة هذه القسمة إليه مع أنها جائرة، فلم يغضب جحا، وقال لهم: انظروا إلى فلان أعطاه الله

قصرا وأملاكا واسعة، وانظروا إلى فلان.. لقد أعطاه الله بيتا ورزقا متوسطا، وانظروا إلى فلان وفلان وفلان، لم يعطهم الله رزقا، فهم أُجَراء عند غيرهم.

الأدب الساخر له دور ناقد لكل مِعْوَجٍّ، وهادٍ لكل إصلاح؛ وهو كالنسيم الذي يلطِّف الجو القائظ بحُنُوِّه وشفافيته، وهو بعيد كل البعد عن مساحب التملُّق ومقاصير الرياء؛ وكلما تطاول الظلم وانكسر الحق وتكدر صفو الحياة.. برز دور الأدب الساخر حادًّا قاطعا لا يتوانى عن تصريف النُّكتة الناقدة، ولكن ليس على حساب أحد، فنجاح الأدباء في اختراع هذا النوع من الأدب فاق كل نجاح، فهو عكس أدب المنافسات والأدب المكشوف، وغيرهما من الأصناف الأدبية الهشة التي تُلغى بالتقادم.

فعندما يبدع أحدهم قصة الفيل الذي يدوس النمل بأقدامه الهائلة، ولا يحسُّ بإحساسه ولا يتألم لألمه، ولا ييأس النمل من مقاومة هذا الظلم بالحيلة، وفي محاوله للدفاع عن النفس يحفر النمل في طريق ذلك الفيل المغرور حفرة يغطيها بالبوص ثم يسترها بالتراب، ويأتي الدور على الفيل ليصيح وهو داخل الحفرة بعدما سقط فيها، على حين غِرَّة.. فلا يجد مِن مُنقذ له إلا ذلك النمل، إنها قصة رمزية تليق بمعظم شعوب الأرض الذين يرزحون تحت وطأة الظلم.

لقد تجاوز الأدب الساخر شعرا ونثرا هذه القصص الخيالية الهادفة إلى منحنى السخرية من النفس، كجزء من العالم بالإسقاط على العيوب الإنسانية الشائعة كالجهل والبخل، فعندما يقول الشاعر:

أصبحتُ أفقرَ مَن يروح ويغتدي
ما في يدي من فاقتي إلا يدي

فكأنه يتمثل نهاية الوجود بأكمله، فإذا نظرنا إلى خاتمة أباطرة الظلم والطمع والفسوق، فلا نبصر إلا التجرد الكامل من كل تلك المعاني التي سعوا إلى ترسيخها.

إنها الدنيا بكل تناقضاتها المتوازية، وكما قِيل: «الكلاب تنبح والقافلة تسير»، فلن يفلح حاكم ظالم مهما تطاول في الظلم في إخراس الأفواه الشاكية، كما لن يفلح حِلم وعدل أي حاكم عادل في إخراس الأفواه اللاهجة بالشكر.

ولقد تعددت اتجاهات السخرية في الأدب العربي كما في الآداب العالمية من كتاب «البخلاء» و«نوادر جحا»، إلى أدبيات «زكريا الحجاوي الشعبية» و«شعر عبدالحميد الديب»... إلخ

وما يزال تجاوب الأدب الساخر للأحداث يكمل ملحمة الدراما العبثية، مِن تناحُر، فتناثر، فتجميع في إطار كوني جديد، كما يحلو للمبدعين في طريقهم الدائم لتجميل وتزيين الحياة على كل حال.

---

* كاتب من مصر.

الإنسانُ.. وتقلُّب الأيّام

■ غازي خيران الملحم*

الأيام دول؛ تارة مع المرء وأخرى ضده. إنها لعبة الحياة وتصاريف الدهر، ذلك السرمدي المجهول المترع بصنوف المفاجآت والتعرّجات، التي قد تباغت الفتى فتصرعه.. أو تأخذ بيده فترفعه. ولا يسع العاقل والحالة هذه إلا التسليم لقضاء الله تعالى وقدره، من دون التوقف عن السعي والاجتهاد، وليتمثل قول الشاعر:

دع الأيـــام تـفـعـل مـا تـشـاء
وطـب نفساً بما فعل القضاء

ولا تـجـزع لـحـادثـة الـلـيـالـي
فـمـا لـحـوادث الـدنـيـا بـقـاء

ولا حــزن يـــدوم ولا ســرور
ولا بـؤس عـلـيـك ولا رخـاء

أو قول الشاعر:

جديد همُّك يبليه الجديدان
فـاصـبـر إن الـدهـر يـومـان

يـوم يـسـوء فـيـكـون، فـيـذهـبـه
يـوم يـسـر، وكـل زائـل فـان

ومن مأثور القول في هذا الصدد، ما أتت به كنوز الحكمة والأمثال، فيقال: (إن العطاء قد يكون في المنع.. وإن وراء كل محنة منحة).

ويحضرني في هذا المقام ما رُوِيَ عن «محمد المهلبيّ» الذي انتابه الفقر، بعد طول غنى، وشقاء بعد طول مسرة، أثر نكبة ألمّت به فأودت بالزرع والضرع والبناء، لدرجة لم يُعد يطيق البقاء في بلده، فالتحق بقافلة كانت مسافرة إلى إفريقيا، وفي الطريق ضاق صدره، وهانت عليه نفسه، لكثرة ما لاقى من نصب السفر، وقلة الزاد وانعدام الراحلة، فانتبذ مكاناً قصياً وأخذ يردد:

ألا مــوتٌ يُـبـاع فـأشـتـريـه
فـهـذا الـعـيـش مـا لا خـيـر فيه

ألا مـوت لـذيـذ الـطـعـم يـأتي
يخلصني من الوضع الكريه

إذا أبـصـرت قـبـراً مـن بـعـيـد
وددت لــو أن أكـــون فـيـه

ألا رحـم الـمُـهـيـمـن نـفـس حـر
تـصـدَّقَ بـالـوفـاة عـلـى أخـيـه

فسمعه رفيق له في القافلة كان يراقبه، فرثى لحاله، ومنحه بعض الزاد، ونقده مئة درهم، كي يتجّر بها.

- ٢ -

وتمرُّ الأيام تترى، يعتني المهلب خلالها بنفسه ويجتهد بعلمه وعمله، ففتح الله عليه الكثير من أبواب الفلاح، وترقّى في المراتب حتى أصبح وزيراً لأحد ولاة زمانه.

ولما كان شأن الأيام التقلب، ضاقت الحال بصاحبه الذي ساعده وهم في القافلة، فقصد بابه، ولما لم يوفق بالدخول إليه، أرسل إلى المهلبي مع أحد أعوانه صحيفة كتب عليها:

ألا قل للوزير فدته نفسي
مذكراً إياه ما قد نسيه

أتذكر إذ تقول لضنك عيش
ألا موت يباع فاشتريه

وما كاد المهلب يقرأ الرقعة، حتى أمر بإدخاله فوراً، ومنحه سبعة آلاف درهم، مع الاعتذار إليه، وأخذ يتلو قول الله تعالى:

﴿مثل الذين يُنفقون أموالَهم في سبيل الله كمَثَلِ حبَّةٍ أنبتت سبع سنابل، في كل سنبلة مائة حبة والله يُضاعف لمن يشاء والله واسعٌ عليم﴾ (البقرة: ٢٦١).

وهذه القصة بما فيها من عبر، تذكّرنا بقول الشاعر:

لكل ضيق من الأمور سعة
والليل والصبح لا بقاء معه

لا تبخسنَّ قَدْرَ الفقير علّك
تلقاهُ يوماً والدهر قد رفعه

- ٣ -

وقريباً من ذلك ما يروى عن معن بن زائدة، الذي كان أحد وزراء الأمويين في آخر عهدهم، ولما زالت دولتهم وحلَّ محلهم العباسيون، أخذوا يلاحقونه وجَدّوا في طلبه، لكنه أفلت منهم بأعجوبة.. عندما تنكب الصحراء وتلاشى في مجاهلها، يضرب في عبابها ليل نهار، يرعى الماشية ويخالط الرعاة، ولا يحصل إلا على القليل من غثّ الطعام، ويلبس الخشن من الثياب، بعد ذلك العز والسلطان الذي ولّى.

وذات يوم خرج الخليفة المنصور في رحلة صيد إلى الصحراء، وتشاء الصدف أن يكون معن في تلك المفازة القفر، عندما شاهد شرذمة من شذّاذ الآفاق، تتعرض لموكب الخليفة، وتُضيِّق الخناق عليه.. حتى أشرف هو ومن معه على هلاك محقق، فيهبُّ معن لنجدتهم كأنه الإعصار، يضرب في وجوههم حتى فرق جمعهم ونجا المنصور، الذي التفت إليه وقال:

ويحك مَن أنت؟ فكشف عن وجهه وقال:

أنا طُلبتك معن بن زائدة.. فسُرَّ به وقدّمه وكرّمه، ثم ولّاه على اليمن.

وهكذا تحوّل معن بين ليلة وضحاها من راعٍ نكرة، إلى أمير تُشد إليه الرحال وتتحدث بحديثه الركبان، وكأنَّ الشاعر كان يرقبه عندما قال:

عسر وفرج يأتي بهما الله
له كل يوم في خليقته أمر

إذا لاح عسر فارتجا ليسر
بعده، إن العسر يتبعه اليسر

- ٤ -

وأبلغ من هذه وتلك، ما ورد عن يعقوب بن داود، عندما اعتقله المهدي على أثر وشاية حيكت ضده، فزجّ به في قعر بئر نصبت فوقها قبة، فمكث بمحبسه خمس عشرة سنة، كان خلالها يدلى له كل يوم برغيف وكوز ماء، فلما كان رأس عشرة ذي الحجة، أتاه أتٍ في المنام فقال:

حنَّ على يوسف رب فأخرجه
من قعر جب عميق حوله غمم

فاستشعر الأمل في آخر النفق المظلم، ولسان حاله يردد مع الشاعر:

أعلِّلُ النفسَ بالآمال أرقبها
ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

وبعد مضي حولٍ آخر، رأى في الحلم من يهمس في أذنه:

عسى فرج يأتي الله به
إنَّ له في كل خليقة أمر

ومكث في معتقله عاماً آخر لا يرى شيئاً، ولا يتناهى لسمعه سوى زئير الريح في الخارج، وعويل جنبات البئر في الداخل.

وفي يوم رموا إليه بالرغيف المعتاد، ففوجئ بجرذ ضخم ينقض عليه ويخطفه، وعندما حاول الإمساك به تعثر بالسراج فانطفأ، وفي الظلمة ارتطمت رجله بإبريق الماء فكسره، فحزن من هول ما مر به، لكنه تجلد، عندما تذكر قول الشاعر:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى
ذرعاً، وعند الله منها المخرج

ضاقت، ولما استحكمت حلقاتها
فرجت وكنت أظنها لا تفرج

ثم انزوى مهموماً في قاع الجب، يعاني العطش والجوع والعتمة، فصلى العشاء ونام، وإذ بهاتف يأتيه في الحلم يقول:

عسى الكرب الذي أمسيت فيه
يكون وراءه فرج قريب

فيأمنُ خائف ويفك عان
ويأتي أهله النائي الغريب

فأخرج في ضحى ذلك اليوم، وذهب إلى داره واجتمع بأهله، وصفا دهره بعد طول عناء وتكدير.

وبعد، هذه لقطات منوّعة، استقيت مادتها من واقع التراث العربي التليد، بما يحمل من مضامين شعرية وقصصيه وطرائف وعبر، يمكن لها الحدوث في أي زمان ومكان، وبصور شتّى، غلفت مصادرها بمسوح المرح أو الترح.. والضيق أو الفرج، وكل ذلك يجري بأمر الله سبحانه، وقد قال الشاعر معتبراً:

إذا أرهقتك هموم الحياة
ومسَّك منها عظيم الضرر

وذقت الأمرَّيْن حتى بكيتَ
وضجَّ فؤادك حتى انكسر

وسُدَّتْ بوجهك كل الدهور
وأوشكت السقوط بالمنحدر

فيمم وجهك شطر الإله
وبث شكواك لرب البشر

المصادر:

١- الغالي، الأمالي، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٩٠م.
٢- المسعودي، شذرات الذهب، دار الكتب، بيروت ١٩٩٨م.
٣- التنوخي، الفرج بعد الشده، دار الفكر، بيروت ١٩٨٨م.
٤- الإبشيهي، المستطرف، دار الكتب، بيروت ١٩٨٦م.
٥، الحموي، ثمرات الأوراق، دار الكتب بيروت ١٩٨٦م.

* باحث وكاتب من سوريا.



«جيران أسفل الدرج»

جيران اللغة الإنسانية..!!

■ محمد خضر*

هناك مقولة مشهورة في أوروبا تقول: خاطب الهولنديين بالشعر إذا أردت أن يُصغوا لك. بين يديَّ «جيران أسفل الدرج» مختارات شعرية ترجمها الشاعر رائد الجشي، والصادرة عن دار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠١٣م. ما يميز هذه الترجمة أنها لمجموعة نصوص معاصرة من الأدب الهولندي، وأنها من الترجمات النادرة المأخوذة عن شعراء مجايلين ومعاصرين أغلبهم لا يزال بيننا إلى اليوم، أو ولدوا في بدايات القرن الماضي..

ومن هنا، جاء الفرق ونحن بصدد قراءة مختارات من تجارب حديثة ومواكبة، نتقاطع معها إنسانيا ومعرفيا وشعريا كذلك؛ إذ الشعر في مجمله مأخوذ عن أمكنة مشتركة للوجدان والإحساس الإنساني باختلاف اشتغالاته أو تقنياته؛ يرفض أن يرتهن لجملة أو ذاكرة مؤقتة، بل هو ديمومي وسرمدي قادر على الوصول لأي مكان. هذا ما نشعر به جليا في الكثير من النصوص التي اختارها وترجمها رائد الجشي من الإنجليزية، بعد أن ترجمت عن الهولندية من قبل آخرين..

فتح نافذة..!

عرفت رائد الجشي وهو مهموم بهذا العمل وإنجازه منذ فترة طويلة.. يبحث ويحاور ويحاول أن يصل إلى التجربة الحديثة التي لم تترجم كثيرا نحو العربية، رغبة منه في فتح نافذة جديدة للقارئ العربي، يأخذنا في «جيران أسفل الدرج» إلى «روتجر كوبلاند» الذي ولد عام ١٩٣٤م،

وترجمت بعض دواوينه في العام ٢٠٠١م والعام ٢٠٠٥م، وفق رائد. نصوص «كوبلاند» فيها ذلك الحسَّ الإنساني، والحالة الفردية العميقة، والمفارقات الموحية التي تشي، من جهة أخرى، في كيف يفكر شاعر في مكان آخر على حدٍّ تعبير «كونديرا»، وكيف يتقاطع معه شعراء كثر في الصورة والاستخدام اللغوي للمفردات؛ وهذا هو الحال مع شاعرة أخرى يختارها لنا المترجم، وهي «إيفا جيرلج» التي ولدت عام ١٩٨٤م، ولها مجموعة حديثة (٢٠٠٦م)، إنها شاعرة من هذا الجيل والعالم، في كونه الجديد وخطابه الجديد وأسئلته وقلقه.. لذا نقرأ لها نصوصا تتقاطع مع ذلك القلق المشترك وتلك الأسئلة الجديدة، وعلاوة على ذلك، موضوع الشعر أو ناحيته التي تطرقها معبرة عن واقعٍ متشظٍّ ويحمل الكثير من التساؤلات.

لدى الشاعرة «إيفا جيرلج» لحظات تسجلها قصائد، وتقتنص المفارقات والحالات الإنسانية التي تنعكس على واقعها وأفكارها.. وهذا أكثر وضوحا مع «ماريا فان دالين»، و«ريمكو كامبرت»، ولنقرأ مقطعا لـ«البرتينا سويبور» في قصيدة عنوانها «ديسمبر أبرد الشهور»: «لم يصبح القمر ثلجيا كهذه المرة من قبل، اشتريت له زوجا من القفازات الزرقاء الملكية في أول يوم لنا لعب دور الرضا.. السعادة النقية هي تحليق عشرة أصابع خلال الفضاء من شرفة النافذة.. الأيدي متدفقة فوق الأبنوس، والعاج تلتمع فوق الكريستال الثلجي، لم تقم بتعديل نغمة وحسب، بل قامت بخلقها.. كنا نبدو ونحن واقفين هناك لاحقا.. قرب النافذة أبيضين كموسيقى شتوية ودافئة..»



المترجم رائد الحبشي

شعراء من أصل عربي..!

وما يلفت في المجموعة وجود شعراء من أصل عربي، كالفلسطيني «رمزي ناصر»، الملقب بشاعر مدينة انتروب، كما أطلق عليه عام ٢٠٠٥م، يذهب مع الشعر في حالته الراهنة وفي ذوبان هويته مع هذا الاندماج الكوني والإنساني. وقد ظهر للمرة الأولى شاعرا عام ٢٠٠٠م في مجموعة ٢٧ "قصيدة ولا أغنية".. تبعها بديوان "أزهار سمج" عام ٢٠٠٤م. وثمة شاعر آخر هو «مصطفى ستيتو» الذي ولد في المغرب، ثم عاش وكتب في هولندا باللغة الهولندية، يقول في أحد نصوصه المترجمة التي يعبر فيها عن أزمة وجوده: «أنا المغربي الشاب.. وحديثه الأجنبي العقلاني رثٌّ من القداسة.. شعار أبي وأمي يذكرني كثيرا وبشكل هامشي بموطني الأم».

ماذا نترجم..؟!

«وبين سؤال الشعر والترجمة وقضاياها التي طرحت عنها، عدة محاور وأسئلة في فترة سابقة حول ماذا قد نترجم؟ وهل الترجمة هي خيار شخصي وعاطفي يخضع للذائقة فقط، ولقدرتنا على الترجمة، أم هي خطة مدروسة لترجمة ما نحب وما لا نحب، حتى يكون الأمر أكثر عملية وإنتاجية؟ هل المترجم هو سلطة على القارئ ويتعين علينا أن نقرأه فقط حسب ميوله وذائقته؟ أم أن هناك مشروعا يترجم كعمل مستقل عن كل هذا، وكمحاولة لنقل أكبر قدر من التجربة الإنسانية الأدبية..؟

وهذا ما أعتقد أن المترجم الجشي قد تنبه له وهو بصدد بحثه الطويل عن هذه التجارب، بل وهي الطريقة المثلى لترجمة عملية وجادة، لا تخضع المعنى واللغة لمجرد ذائقة شخصية نسبية بين شخص وآخر، وهذا ما قد تحسمه مسألة اختيار التجربة الحديثة والجغرافيا والبحث فيهما كمحور محدد، ثمانية شعراء قدمهم المترجم، في مصافحة جديدة للقارئ العربي، ومن بلد يطلق عليه الأوروبيون «البلد الذي لغته الشعر»، أو الشعر لغة الهولنديين، فهناك، على سبيل المثال، كما يذكر الشاعر والمترجم صلاح حسن في كتابه «انطولوجيا الشعر الهولندي المعاصر» «في عيد القديس نيقولا يكون اجتماع العائلة لتبادل الهدايا المرفقة بقصائد قصيرة موزونة ومقفّاة، تتناول موضوعات مختلفة: كالعتاب والحب وطلب المساعدة أو الزواج.. إلخ، ولكن بأسلوبٍ فكهٍ ولغةٍ مباشرة». كما أن هناك بعض المدن الهولندية التي تزيّن القصائد جدرانها؛ فمثلاً هناك قصيدة للشاعر والروائي العربي جبرا إبراهيم جبرا «أيّامنا كالشتاء القطبيّ..» بالعربية مع ترجمة هولندية قام بها زميلي الأستاذ ويلم ستوتزر، تزيّن أحد جدران مدينة ليدن.

ولا بد أن نذكر أن روتردام تستضيف «مهرجان الشعر العالمي» في حزيران من كل عام، يشارك فيه العديد من الشاعرات والشعراء العرب. علاوة على ذلك في ٢٧ كانون الثاني من كل عام، يقام «يوم الشعر» في مدن هولندا كافة.. منصات، وورشات، ومسابقات شعرية».

إلى جانب الجشي وصلاح حسن.. هناك عدة تجارب جميلة ومحاولات رائعة في ترجمة الشعر الهولندي الحديث؛ منها ترجمة محسن السراج الذي أقام في هولندا، وترجم لمجموعة شعراء مهمين وجدد، ومختارات لمهدي النفري، وترجمات مميزة لميادة سامح. فضاءات الشعر الهولندي وأفقه الذي قد لا نعثر عليه في أدبنا العربي أحيانا، الاقتراب من الحالة قبل الموهبة الشعرية الخام، ومن العمق في التصورات وأسئلة الحياة، القصيدة التي يبتكرها الهولنديون من أمكنة لا متوقعة تلامس أدق تفاصيل الحياة.

أهدى المترجم «جيران أسفل الدرج» إلى اللغة الإنسانية التي تحتضن جميع اللغات.. وهي باكورة أعماله في الترجمة، وخطوة أولى في هذا المضمار الشيق..

---

* شاعر سعودي.



فيلم «الماضي» لأصغر فرهادي..

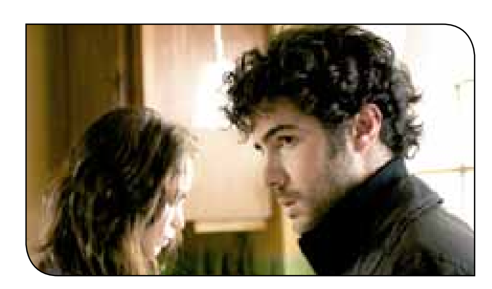
منمنمات دراميّة عامرة بالجمال

■ عبدالله السفر*

فيلم «الماضي» للمخرج الإيراني أصغر فرهادي ليس فيلماً بوليسياً، وليس من أفلام الإثارة والتشويق، لكنه كذلك من باب الغموض الذي يخفي الأسرار، ينطوي واحدها على آخر تباعاً، مثل لعبة الدمى الروسية. وهو كذلك من جهة الأنفاس المحبوسة، والإيقاع المتصاعد، الأشبه بلهاث، قبالة الاحتدام والمواجهة، في غالبية المشاهد.

من «انفصال»، فيلم فرهادي الحائز على أوسكار ٢٠١٢م لأفضل فيلم أجنبي، تعرّف المتابع على موضوعة العائلة والشقاق الذي يقوم بين الزوجين وينتهي بطلب الطلاق لاستحالة الحياة بسبب رفض أحدهما طريقة الآخر وخطّته في استئناف الحياة، وعلى هذا العمود الرئيس يجري استدماج حكاياتٍ لا تُعدّ تفريعاً وإنما حفراً في جوانب المشكلة، وبيان المأزق الذي يطال حياة الجميع. في هذا الفيلم «الماضي» تتكرّر الموضوعة نفسها بوصفها شاغلاً إبداعيّاً واجتماعيّاً وثقافيّاً للمخرج، رغم اختلاف الحاضنة البيئية والثقافية لكلا الفيلمين. فـ «انفصال» يدور في إيران وباللغة الأم. أما «الماضي» فتربته فرنسية ولغته كذلك، وإن كان الأبطال بجذور ثقافية متعددة (فرنسية؛ إيرانية؛ عربية).

بعد سنواتٍ من القطيعة، يعود أحمد «يقوم بالدور علي المصطفى» إلى باريس قادما من وطنه إيران؛ يعود، لا ليجتمع شملُه ثانيةً مع زوجته ماري «بيرينيس بيجو» وابنتيها؛ المراهقة لوسي والطفلة ليا من زيجة سابقة، ولكن ليتمّم إجراءات الطلاق في المحكمة ليصبح الانفصال رسميا، تستطيع معه الزوجة الارتباط بصديقها العربي الجديد سمير «طاهر رحيم» والذي يقيم معها في منزلها نفسه ومعه طفله فؤاد من زوجته الواقعة الآن في غيبوبة عقب محاولة انتحار فاشلة لشكّها في خيانة الزوج، وفي الوقت نفسه تطلب ماري من أحمد أن يؤثّر على ابنتها لوسي ليقنعها بزواج الأم الذي ترفضه لسبب، في السطح، أن الرجل الجديد سوف يترك الأمٍّ كسالفيه الثلاثة الذين ارتبطت بهم، غير أن السبب الأبعد أنها تشعر بالمسؤولية عن حادثة محاولة الانتحار لزوجة سمير، ولا تريد ذنبها ماثلاً أمامها؛ فيما سمير له روايته في محاولة



انتحار الزوجة، وتتصل بعمله في مغسلة الملابس، وخلاف الزوجة مع زبونة، التي أغلظت معاملتها ولم تقبل اعتذارا؛ فعنّفها سمير وطردها في حضور العاملة نعيمة، التي لها نصيبها أيضا في وجهٍ آخر من رواية الانتحار الفاشلة.

هذه الشبكة المعقّدة من العلاقات القائمة في الأزمات؛ ومن الأسرار المحجوبة؛ ومن المنظورات التي تتبعها، يتصدّى لها فرهادي بلغة سينمائية تعتمد البساطة؛ إن في اختيار أماكن التصوير (منزل بحديقة منزلية بائسة، شارع، محطة مترو، مطعم) أو في زرع الدلالات التي يستشفّها المشاهد في يسر، مثل اللقاء الأول بين أحمد وماري في المطار، والحديث غير المسموع بينهما عبر الزجاج الفاصل، والذي يعبّر عن الضفاف الثقافية المختلفة والتشكيك في قابليتها للاندماج، كما هي إشارة إلى الهوّة بينهما، والأمر نفسه في المنزل، بوضع أغراض أحمد التي تركها قبل رحيله إلى طهران في المستودع، وفي الوقت عينه تقوم ماري بتجديد طلاء المنزل كعلامة مزدوجة للتغيير المقبل مع سمير، وللتأكيد أن أحمد ينتمي إلى مرحلة سابقة. علماً أن الطلاء لم ينشف إبّان مجيء أحمد، وفي هذا أيضاً إشارة إلى الوضع الرجراج الذي تعيشه ماري. كذلك يُضاف إلى هذه البساطة الاختيار الملائم لطقس الشتاء الممطر أو الغائم كإطار زمني للأحداث؛ لأن ما يجري أبعد ما يكون عن الصفاء والإشراق.

بساطةُ فرهادي تنطوي على دقة متناهية تظهر في عمرانِ الفيلم بالتفاصيل التي تنبجس من حياة كلّ شخصية من شخصيات الفيلم جميعها (أحمد، ماري، لوسي، ليا، سمير، فؤاد، زوجة سمير، نعيمة العاملة في المغسلة)، وكأنه يقوم برسم منمنمات صغيرة جداً، لكنّ داخلَها عامرٌ بحيواتٍ تزخرُ بغنىً، يتنوع ويتعدّد مع إنعام النظر والتقاطٍ الجمال الثاوي، ومعه أيضاً الدلالات الغائرة طيّة كل منمنمة، ومما يزيدُها - تلك التفاصيل؛ المنمنمات- إيغالاً في التأثير الحواراتُ والمواجهاتُ بصيغةٍ احتداميّة، إذ يتضرّجُ الوجه، بخاصة بطلة الفيلم، بنورٍ غامر، كما لو أنه يأتي من بركانٍ داخليٍّ فوّار؛ فتصطبغ الملامح بشتّى التعبيرات والانفعالات العالقة في الحيرة والتردد والوقوف على الأعراف بين واجبين: الأول نحو الذات وحقّها في التمتع بالحياة، والثاني نحو مراعاة ابنتيها وعدم تعريض حياتهما لزلزال ارتباطٍ جديد وفشلٍ ينتظر.

والغريب أن هذه التحفة الفنية عنوانها هو «الماضي» لكن المشاهد لم يرَ في الفيلم لقطاتٍ استرجاعيّة «فلاش باك» تعود به القهقرى للإضاءة والاكتشاف والعود على بدء. البناء يجري من لحظة المطار في تصاعد وفي تقاطعات من دون عودة إلى الماضي الذي تنعدم حاجة العودة إليه. ذلك أنّهُ عائشٌ بأثره في الحاضر وممسكٌ بتلابيبه، وهذا أقسى ما يكون أن تخطو الشخصية في الحاضر بأقدام الماضي، وهذا لا يعني غير إنتاج الحاضر بصيغة الماضي وبالجروح ذاتها كما هو الحال مع ماري التي تركّبُ خطأً حياةٍ سابقة على خطأٍ مستأنف.



* كاتب من السعودية.

الكتاب : اتجاهات حديثة في تعليم التعبير

المؤلف : د. محمود عبد الحافظ وآخرون

الناشر : نادي الجوف الأدبي ٢٠١٤م



يقدم هذا الكتاب استقراء لكل ما يتعلق بتعليم التعبير بشقيه الشفوي والتحريري؛ إذ انطلق من تشخيص واقعي لتعليم التعبير في عالمنا العربي، في جميع مراحل التعليم، بدءاً بالأهداف، ومرورا بالمحتوى وطرائق التعليم، وانتهاء بالتقويم. إلا أنه قد أولى اهتماما بالنظريات التربوية والمداخل التدريسية، والاستراتيجيات والطرائق التدريسية المنبثقة عنها، التي أولها الدراسات والبحوث الحديثة اهتماما في تعليم التعبير.

تميز هذا الكتاب بعدة سمات، نسردها ليس على سبيل تفضيله عن غيره من الكتب، أو تنزيهه عن النقائص، فليس في ذلك مزية.. فقيمة العلم في تأصيله للنقص ليس في ترسيخه للكمال؛ لأن تأصيل النقص يعد اكتمالا في التسليم بالنقصان.

وإذ يسرد السمات.. فهو بهدف تيسير التعاطي مع هذا الكتاب من مختلف القراء.. فهو إذ يتبنى قضية واحدة، إلا أنه يخاطب جمهورا متنوعا؛ لذا سوف يستطيع كل قارئ بعد الاطلاع على هذه السمات قراءة الكتاب من المنظور الذي يناسبه.

الكتاب : من جهة معتمة

المؤلف : إبراهيم زولي

الناشر : مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر



من جهة معتمة، عنوان الديوان الجديد للشاعر إبراهيم زولي، الصادر مؤخرا عن مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر في القاهرة. العمل هو السابع منذ بداية مشروعه الشعري، والذي استهلّه في العام ١٩٩٦م بديوان «رويدا باتجاه الأرض»، تبعه بعدة إصدارات هي: (أول الرؤيا، الأجساد تسقط في البنفسج، تأخذه من يديه النهارات، رجال يجوبون أعضاءنا، قصائد ضالة – كائنات تمارس شعيرة الفوضى).

جاء الديوان في (١٠٧) صفحات، وضمّ إحدى وثلاثين قصيدة، منها: (تطلّ عليه شياطينه، على حافة الفجر، عزلة فاجرة، داخل الحجرة العائلية، لا خلاص من الرقص، فقرهم باسط ذراعيه).

نقرأ على الغلاف الخلفي للكتاب:

ربما تقبل الآن،
في ساعة السهو،
أو تتساقط في دمعة المحبطين
تقاسمنا لغة تتراكض في ساحة خالية
لغة من نخيلّ وشوق مصفّى
ستأتي على غيمة تتخفّى بذاكرتي
سأعدّ المساءات وحدي
أزخرف آنية الكلمات
فإن حضر الليل وشّحته بالنعاس.
داخل الحجرة العائلية
يفترس الشعر أظفاره
والشبابيك نائمة
يدها في الفراغ معلّقة.
ليس لي بهجة في العشيّ سواك
أريد أقلّ القليل
وتأويل نصف الكلام.

الكتاب : جماليات النص الشعري (قراءات نقدية حديثة)

المؤلف : د. إبراهيم مصطفى الدهون

الناشر : نادي الجوف الأدبي ٢٠١٤م



يسعى هذا الكتاب إلى محاولة فهم آليات النص الشعري قديما وحديثا، ووسائل تكوينه،والمضمرات النسقية التي أسهمت في إنتاجه، وتماسكه.

كما يهدف إلى إعادة قراءة المنجز الشعري العربي ووضعه في إطاره الصحيح، إضافة إلى تفعيل آليات النقد الحديثة، من خلال توسيع مساحة التقويم والتحليل الموجّه للخطاب الشعري.

يحتوي الكتاب على تسع دراسات نقدية، طبقت على سبع منجزات شعرية قديمة ومنجزين اثنين معاصرين، كان الأول لشاعرة، والثاني لشاعر من المملكة العربية السعودية.

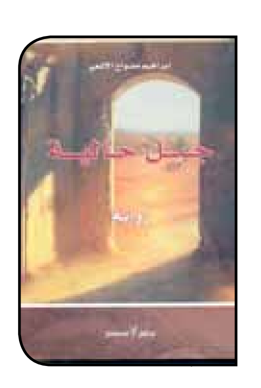
جاءت عناوين الدراسات النقدية مرتبة على النحو الآتي:

١- التأمل الفكري عند الهذليين؛ حفر في رؤى أبو ذؤيب الهذلي الشعرية.
٢- لوحة العسل عند الهذليين بين الرؤية والإبداع الفني؛ ساعدة ابن جؤية أنموذجا.
٣- جمالية النص القرآني عند حسان بن ثابت وأثرها في بناء النص الشعري.
٤- الإشعاع التناصي في شعر أبي العتاهية: همزيته الزهدية أنموذجا.
٥- تمظهرات التكرار في شعر ديك الجن الحمصي؛ مرثيات الزوجة- دراسة تحليلية.
٦- التناص بين الرؤية والتطبيق؛ مرثية المعري الإنسانية عالم اللفظة والصورة.
٧- النص الغائب في شعر البهاء زهير؛ قراءة من منظور تناصي.
٨- أثر النص الشعري السعودي في بناء المواطنة؛ ديوان غواية بيضاء كلمات تتقارب.
٩- نماذج من التناص في شعر أحمد السالم؛ دراسة وتحليل.

الكتاب : جبل حالية - رواية

المؤلف : إبراهيم مضواح الألمعي

الناشر : جداول للنشر والتوزيع ٢٠٠٨م



تتعدد المداخل إلى رواية (جبل حالية)، الحائزة على جائزة الشارقة للإبداع العربي عام ٢٠٠٨م؛ فهي رواية مهمومة بإشكاليات كثيرة، وربما كانت إشكالية الموت من المداخل المهمة لقراءة هذا العمل، فهو الكيان الذي يمر بالكائنات الحيّة جميعها، ولا يتجلى هذا المدخل بعيدا عن المداخل الأخرى؛ فهي متشابكة، وميزة العمل الجيد أن تتشابك وتتعدد مداخله، فيكون الوقوف عند مدخل واحد كفيلا بتناول جزئيات عديدة؛ فالموت يلح في الرواية بوصفه حقيقة ملموسة.

وإذا كان العنوان (جبل حالية) يجعل الرواية وثيقة الصلة بالمكان، الذي يُحدّد هوية أهل السورَجَة ونزوعهم وآمالهم وإحباطهم؛ فكون هذا الجبل يحتوي المقبرة، يجعل الرواية -أيضا- وثيقة الصلة بالموت، وبالأسئلة الوجودية التي تلازمنا على ا لدوام..

هذه حكاية الحكاية

■ عبد الهادي روضي*

أعترف بدءاً أن المصادفة قد لعبت دورها في الاهتداء إلى مجلة الجوبة، إذ وأنا أبحث في محرك غوغل السحري، وجدتني بين ظلالها، فكان لزاما عليّ أولا أن أسبر أغوار موادها، وأبوابها، وأتعرف على لفيف من كتّابها أيضا، وخطها التحريري الثقافي والإبداعي، ثانيا، ولو من بعيد، تلك هي حكاية الحكاية.

مع توالي الأيام توطدت العلاقة بيننا، هي كمجلة جادة في رسالتها الثقافية، وأنا كقارئ مغربي،متابع جيد للمشهد الثقافي والإبداعي العربي عبر كل الوسائط الممكنة(صحف، مجلات، وغيرها)، وحريص على اقتفاء تحوّلاته، وجديد مبدعيه ومبدعاته، والتواصل معهم، من دون إنكار أن النشر لحظتها، لم يعد يغريني بما يكفي، لأسباب ولأخرى، أهمها الحصار الذي يمارسه بعض رؤساء تحرير المنابر الإعلامية المتخصصة في الثقافة والإبداع والأدب، تجاه الأسماء الإبداعية الجديدة غير المكرّسة من قبل المؤسسات الثقافية الرسمية لبلدانها، وجشع بعض مراسلي تلك المنابر، وتلك قصة أخرى.

غير أن رغبة ملحّة تملكتني في مدّ رئيس تحرير الجوبة، الأستاذ إبراهيم الحميد، ببعض المواد، أذكر أنه كان من بينها نصوصا شعرية لكنها لم تنشر لحد الآن، ومع ذلك بقيت محافظا على اقتفاء أعداد المجلة عبر بوابة موقعها الإلكتروني، بحكم أنها لا توزّع في الدار البيضاء بالشكل الكافي والمنتظم، لأن وشائج



متابعة المشهد الإبداعي شعرا ونقدا وقصة وإصدارا، هو ما كان يشغلني، والجوهر الذي بنيت عليه علاقتي لحد الراهن.

لا أتصور شخصيا المشهد الإعلامي الثقافي السعودي والعربي منقوصا من مجلة جليلة كالجوبة، التي قدّمت على مرٍّ أعدادها ملفات ودراسات إبداعية مهمة، مسَّت القصة القصيرة في المغرب مثلا (العدد ٢٨)، وشهادات شعرية (العدد ٤٠)، وشهادات إبداعية في القصة القصيرة (٣٩)، إضافة إلى احتفائها بزخم وافر من الدراسات النقدية في متون شعرية وسردية ونقدية لأسماء عربية متداولة، ونصوص في القصة والشعر، من دون نسيان استضافتها ومحاورتها لعدد من المبدعين والمبدعات في الوطن العربي.

إنَّ الجوبة يحقّ لها أن تفتخر بنفسها، وبحضورها المستمر في وسط إعلامي ثقافي وازن، توافرت له من المقوّمات والإمكانات ما لا يُعَدُّ ولا يُقارَن، وحُقَّ لنا أن نفتخر بتألُّقها واستمراريتها في خدمة المبدعين والإبداع، على حدٍّ سواء، متمنين لها ولأسرة تحريرها دوام الاستمرارية والعطاء والتألق.

---

* شاعر وكاتب من المغرب.

المباني الحكومية.. وظيفتها ودورها

■ إعداد: عماد المغربي



المهندس عبدالله الدهام، والمهندس صالح العشيش

مداخلات الجمهور

ضمن خطة النشاط الثقافي لمؤسسة عبدالرحمن السديري للعام ١٤٣٦/٣٥هـ أقيمت محاضرة بعنوان: «المباني الحكومية.. وظيفتها ودورها في الإضافة الجمالية للمدن»، ألقاها المهندس صالح بن ظاهر العشيش، وذلك مساء يوم الثلاثاء ٢٠١٤/٠٦/٢٤م، في قاعة دار الجوف للعلوم، وأدارها المهندس عبدالله الدهام، ونقلت للقسم النسائي عبر الدائرة التليفزيونية المغلقة.

المهندس صالح العشيش، قدَّم الشكر لمؤسسة عبدالرحمن السديري والقائمين عليها لدعوته لزيارة المنطقة والالتقاء بأبنائها، ثم قدم عرض (باوربوينت) عن المباني الحكومية وظائفها ومزاياها، تضمّن: الوظائف الثانوية - الثراء المعماري والمادي - إبراز الهوية - العمارة النجدية - الطراز الحجازي المشربيات - إشهار المكان - الحماية المدنية للمبنى - والمباني التي ترمز للسلطة والهيبة، مثل: (مبنى المحكمة - مبنى وزارة الداخلية - برج التليفزيون)؛ والمباني الحكومية الخدمية مثل: (الإدارية - التعليمية - الصحية - الاجتماعية - الثقافية - الرياضية)؛ والمباني الدفاعية (القوات المسلحة - مراكز الشرطة - السجون).

تلا ذلك مداخلات وأسئلة من الجمهور.

من إصدارات الجوبة











صدر حديثاً عن برنامج النشر في

مركز عبدالرحمن السديري الثقافي

